المعارضات الشعرية في الأندلس

في عصر الموحدين

(٥٤٢ هـ - ٦٦٧ هـ - ١١٤٧ م - ١٢٦٨م)

إعداد

سعاد محمد حسين العقيل

إشراف

الأستاذ الدكتور صلاح جرار

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

١٩٩٩ / ٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

" ... رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ،

واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي "

سورة طه ٢٥-٢٨

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ١ / ٥ / ٢٠٠٠

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
١ - الأستاذ الدكتور صلاح جرار	رئيساً	.....
٢ - الدكتور محمد علي أبو حمده	عضواً	.....
٣ - الدكتور حمدي منصور	عضواً	.....
٤ - الدكتور فايز القيسي	عضواً	.....

الإهـــــــــداء

إلى اللذين قال الحق سبحانه وتعالى في شأنهما :

"فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولاً كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا "

صدق الله العظيم

إلى اللذين رباني وزرعا الورد والرياحين في دربي... فغاب الشوك والبرد والظلام ...

إلى والديَّ الكريمين أهدي هذا العمل ...

وإلى الأصدقاء الأوفياء إذا عز الصديق ... إخواني وأخواتي

ســـعاد

شـــكـــر وتـــقـــديـــر

الشكر أولاً وآخراً لله سبحانه وتعالى ...

ثم لوالدي العزيز الذي كان العون والسند لي دائماً، وفي الحقيقة إني لم أجد كلمة الشكر التي تفيه حقه، وأسأل الله العزيز القدير أن يديمه عوناً وسنداً لي ولإخواني ...

وإنه لمن دواعي الإخلاص ، والوفاء بالجميل أن أتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان إلى المشرف الأستاذ الدكتور صلاح جرار؛ على تفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة ورعايتها طيلة فترة الدراسة، وعلى ما قدمه لي من جهد وإرشاد أخذ من وقته وجهده الكثير، وفي الحقيقة أنه لولا علمه وإرشاداته لما استقام البحث على ما هو عليه الآن ، كما أتقدم له بالشكر الجزيل أيضاً على ما لقيته عنده من سعة الصدر وحسن المعاملة ، وجزاه الله عني كل خير .

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الأساتذة الأجلاء : الدكتور محمد علي أبو حمده، والدكتور حمدي منصور، والدكتور فايز القيسي ، على تفضلهم بقبول مناقشتي . لما بذلوه من جهد في قراءة الرسالة قراءة أولية، ولما قدموه لي من إرشادات وملاحظات أفادت البحث كثيراً.

كما أتقدم بالشكر لكل من قدم لي يد العون والمساعدة وأخص بالذكر خوالي الأعزاء : حمد ومحمد وسليمان الذين لم يتوانوا عن مساعدتي أبداً وكانوا معي طيلة فترة الدراسة .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	د
شكر وتقدير	هـ
فهرس المحتويات	و-ز
ملخص الدراسة باللغة العربية	ح-ط
- المقدمة	١-٣
- التمهيد .	٥-١٧
- دخول الموحدين إلى الأندلس	٥
- الحياة الأدبية والعقلية في عصر الموحدين :	٦-١٧
- العوامل المؤثرة في الحركة الأدبية في عصر الموحدين .	٧-٩
- مظاهر النشاط الأدبي في عصر الموحدين :	١٠-١٧
- المجالس الأدبية	١٠-١٣
- المطارحات	١٣-١٥
- المساجلات	١٥-١٧
الفصل الأول	
المعارضات الشعرية في الأدب المشرقي والأندلسي	
- المعارضات الشعرية في الأدب المشرقي :	١٨-٣٢
- مفهومها	١٩-٢٠
- الفرق بينها وبين النقائض وبينها وبين الإجازات الشعرية	٢١-٢٦
- نشأتها	٢٦-٢٨
- عوامل ظهورها وتطورها	٢٨-٣٢
- المعارضات الشعرية في الأندلس :	
- نشأتها	٣٣-٤٣
- عوامل ظهورها وتطورها	٤٣-٤٩
- العصور التي تألق فيها هذا الفن الأدبي	٥٠-٥٥
- أشكالها	٥٦-٦٥

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني	
موضوعات المعارضات الشعرية في الأندلس في عصر الموحدين	٦٦-١٣٣
- الوصف	٦٧-٩٥
- الغزل	٩٥-١٠٥
- الإخوانيات	١٠٥-١١٦
- المديح	١١٦-١٢٢
- الهجاء والتهكم والسخرية والمداعبة	١٢٢-١٢٧
- أغراض أخرى	١٢٧-١٣٣
الفصل الثالث	
الخصائص الفنية للمعارضات الشعرية الأندلسية	١٣٤-١٨٧
- البناء العام لقصيدة المعارضات	١٣٥-١٥٦
- اللغة	١٥٦-١٦٤
- الصور	١٦٤-١٧٢
- أثر البيئة الأندلسية في فن المعارضات	١٦٢-١٧٨
- التأثر والتأثير	١٧٨-١٨٧
- الخاتمة	١٨٨-١٩٠
- قائمة المصادر والمراجع	١٩١-١٩٩
- الملخص باللغة الإنجليزية	٢٠٠-٢٠٢

ملخص الدراسة

المعارضات الشعرية في الأندلس في عصر الموحدين

(٥٤٢ هـ - ٦٦٧هـ)

إعداد :

سعاد محمد حسين العقيل

إشراف :

الأستاذ الدكتور صلاح جرار

لم ينل فن المعارضات الشعرية حظا كبيراً من الدراسات الأدبية على الرغم من أهميته الكبيرة في تنشيط الحركة الأدبية وتطورها في عصور الأدب المختلفة، وقد جاءت هذه الدراسة لبيان أهميته ودوره في تنشيط الحركة الشعرية في الأدب العربي بعامة وفي الأدب الأندلسي بخاصة، وبيان العوامل التي أدت الى نضجه وتألقه في عصر الموحدين بشكل خاص.

وقد تكونت الدراسة من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، أشرت في المقدمة إلى موضوع الدراسة ومسوغاتها ومنهجيتها وأهميتها والأهداف التي يرجى تحقيقها، والصعوبات التي واجهت البحث، والدراسات السابقة له.

وبحثت في التمهيد الحياة الأدبية والعقلية في عصر الموحدين، وبيان العوامل المؤثرة في الحركة الأدبية آنذاك، كما عنيت ببيان مظاهر النشاط الأدبي في عصر الموحدين أيضا.

فقد قسمت الفصل الأول إلى قسمين، أما القسم الأول فقد عني بدراسة المعارضات في الشعر العربي بشكل عام وبيان بعدها التاريخي وتطورها، والعوامل التي أدت إلى ظهورها في الشعر العربي بعامة. في حين ركز القسم الثاني على دراسة المعارضات في الأندلس بشكل خاص وتتبعها منذ ظهورها في الأندلس في العصور الأولى حتى العصور التي تألق فيها هذا الفن الأدبي وتمثلت في عصر الموحدين العصر الذي سبقه بقليل، كما عني ببيان العوامل التي ساعدت على ظهور فن المعارضات وتطوره في الأندلس ، وتحدث عن أشكال المعارضة الشعرية الأندلسية في ذلك العصر.

وتعرضت في الفصل الثاني إلى دراسة موضوعات المعارضات الشعرية في عصر الموحدين، واهتممت بترتيبها حسب أهميتها وكثرة النتاج الشعري منها عند شعراء المعارضات في عصر الموحدين، فجاءت على النحو التالي: الوصف، الغزل، الإخوانيات، المديح، الهجاء، وأغراض أخرى.

وناقشت في الفصل الثالث الخصائص الفنية للمعارضات الشعرية في الأندلس في عصر الموحدين، وركزت على مدى تقيد الشاعر المعارِض بالشاعر المعارَض من حيث البناء العام لقصيدة المعارضات، واللغة، والصور، وبيان مظاهر التأثر والتأثير بين الشعراء، كما ركزت على مدى تأثير البيئة الأندلسية في شعر المعارضات في عصر الموحدين.

وخلصت الدراسة إلى ما يلي:

- إن فن المعارضات في الشعر العربي - بشكل عام - فن ضارب في القدم؛ إذ يعود في أصله إلى العصر الجاهلي، وهو كذلك في العصر الأندلسي- بشكل خاص ؛ إذ يعود في ظهوره إلى العصور الأندلسية الأولى.
- تتعدد صور المعارضات في عصر الموحدين في الأندلس ما بين القصائد، والمقطوعات الشعرية القصيرة، والإجازات، والمطارحات الشعرية.
- لم يبدأ شعر المعارضات الأندلسية بالازدهار إلا بعد مطلع القرن الخامس الهجري ثم أخذ في التطور والتألق حتى نهاية القرن السادس الهجري، وذلك بسبب نضوج الحركة الأدبية والثقافية في ذلك الوقت، وقبل ذلك كان النتاج منه ضئيلاً، إذ لم يول الشعراء شعر المعارضات عناية كافية آنذاك.
- تتعدد مظاهر التأثر والتأثير بين الشعراء، فقد يكون التأثير بينهما جزئيا وقد يكون كليا، فبرز أثر البيئة الأندلسية جليا في شعر المعارضات من حيث الألفاظ والأسلوب، إذ انعكست ببساطتها وسهولتها على شعر المعارضات.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام وسيد المرسلين سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

يعد فن المعارضات من أهم العوامل التي ساعدت على تطور الحركة الأدبية والشعرية في الأدب العربي، ولكنه لم يحظ باهتمام كبير من قبل دارسي الأدب، فقد عانى هذا الفن من الإهمال لوقت ليس ببعيد ؛ ولعل ذلك يعود إلى أن قصائد المعارضات مبثوثة ومبعثرة في بطون الكتب والمصادر القديمة هنا وهناك فلم تجمع في ديوان مستقل يلفت نظر الباحثين ويحثهم على دراسته.

وعندما قطعت شوطاً في دراسة الماجستير وكنت بصدد اختيار موضوع لرسالتي، وجدت في نفسي هوى يشدني نحو الأدب الأندلسي وميلاً لدراسة الشعر منه ، فاستقر الأمر على موضوع (المعارضات الشعرية في الأندلس في عصر الموحدين) وكان ذلك بإشارة من المشرف، أما تحديد الدراسة في عصر الموحدين ؛ فذلك لما امتازت به هذه الحقبة الزمنية من ازدهار في الحياة الأدبية والثقافية والعقلية، وكثرة شعراء هذه الفترة وتعلقهم ببيئتهم الطبيعية؛ مما أدى إلى غزارة نتاجهم الشعري، فاتسمت بوضوح ظاهرة المعارضات وتجليها فيها بحيث بلغت درجة النضج والاكتمال.

ولم تخلو الدراسات الأدبية تماماً من دراسة فن المعارضات، فقد أولى بعض الدارسين هذا الفن عنايتهم ، منهم الأستاذ علي الجارم حيث نشر بحوثاً عن المعارضات في مجلة الكتاب المصرية فتحدث عن المعارضات في العصر الجاهلي والأموي والعباسي، ولكنه لم يتناول في أبحاثه المعارضات في الشعر الأندلسي.

ومنهم الدكتور محمد محمود قاسم نوفل في كتابه (تاريخ المعارضات في الشعر العربي)، وقد أفرد جزءاً من الفصل الثالث لدراسة المعارضات الشعرية في الأندلس عبر عصوره المختلفة ومنهم يونس طركي سلوم البجاري في بحثه الذي أعده لنيل درجة الماجستير وعنوانه المعارضات الشعرية في الأندلس في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

ومنهم أيضاً الدكتور منجد مصطفى بهجت ؛ إذ خصص قسماً من الفصل الرابع من كتابه (الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطه) بعنوان المعارضات.

وقد أشارت جمانة رجب باشا في بحثها الذي أعدته لنيل درجة الماجستير وعنوانه (الأندلسية وأثرها في أدب الأندلس) إلى المعارضات الأندلسية.

ومن هنا تنبع أهمية اختيار المعارضات الشعرية في الأندلس في عصر الموحدين، وذلك لسد نقص في المكتبة الأندلسية.

أما أهم الصعوبات التي واجهت البحث أن نصوص المعارضات لم تكن مجتمعة في كتاب أو ديوان مستقل، بل نجدها مبعثرة في بطون كتب التراجم والمصادر الأندلسية القديمة ، كالذخيرة، والنفح وتحفة القادم، والمغرب وغيرها. فاضطررت إلى البحث والتنقيب في بطون هذه المصادر لجمع ما فيها من معارضات لتكون زاداً للدراسة، فضلاً عن قلة الدواوين الشعرية الأندلسية .

كما اقتضتني طبيعة الدراسة الرجوع إلى دواوين الشعراء المشارقة على امتداد عصور الأدب المختلفة ؛ لتوثيق نصوص القصائد المعارَضة.

وقد جاءت الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول، أما التمهيد فقد تناولت فيه الحياة الأدبية والعقلية في عصر الموحدين وما هي عليه من ازدهار وتطور وتطرقت للحديث عن العوامل المؤثرة في أدب هذا العصر وعرضت لبعض مظاهر الأدب فيه كالمجالس الأدبية والمساجلات والمطارحات.

وقد جاء الفصل الأول في قسمين : أما القسم الأول فقد تناولت فيه دراسة المعارضات الشعرية في الأدب العربي ووضحت مفهومها في اللغة والاصطلاح، وبينت الفرق بينها وبين النقائض وبينها وبين الإجازات الشعرية. وعرضت للحديث عن بعض صور المعارضات كالمعاظمات وغيرها.

كما عنيت في هذا القسم بتتبع فن المعارضات في الشعر العربي منذ نشأته في العصر الجاهلي إلى ما صار إليه في العصور اللاحقة. وبينت العوامل التي أدت إلى ظهوره وتطوره في الأدب العربي. في حين جاء القسم الثاني في دراسة المعارضات الشعرية في الأندلس حيث تتبعتها منذ نشأتها ووضحت العوامل التي أدت إلى ظهورها وتطورها، وقسمتها إلى عوامل عامة وخاصة. كما عرضت للعصور التي تألق فيها هذا الفن الأدبي في الأندلس، ثم وقفت على أشكال المعارضات وضروبها فوجدتها اثنى عشر ضرباً.

وفي الفصل الثاني كان الحديث عن موضوعات المعارضات الشعرية، وقد رتبت موضوعاتها حسب كثرة النتاج منها فكانت وقفتي عند الوصف ، فالغزل، فالإخوانيات، فالمديح، فالهجاء، وأغراض أخرى.

وقارنت بين القصائد المعارضة والقصائد المعارضة من حيث الأفكار والمضامين والمقومات الأساسية للمعارضة، ووقفت على المعارضات التامة والناقصة منها.

وكان الفصل الثالث متخصصاً في دراسة الخصائص الفنية للمعارضات الشعرية الأندلسية فكان هدفي في هذه الدراسة بيان مدى تأثر الشاعر المعارض بالشاعر المعارض من حيث البناء العام لقصيدة المعارضات الأندلسية ، - وبينت من خلالها العناصر الأساسية في بناء قصيدة المعارضة وهي: المقدمة وحسن التخلص والخاتمة-، واللغة ، والصور ، وأثر البيئة ثم التأثر والتأثير. وختمت دراستي بخاتمة تضمنت النتائج التي أسفرت عنها الدراسة.

وبعد ، فلا أدعي أني وصلت درجة الكمال في هذه الدراسة ولا أستطيع القول إني حققت ما أصبو إليه من أهداف، ولكنني أعد ما قدمته جهداً متواضعاً لا يخل من النقص ولا يصل حد الكمال لأن الكمال لله وحده ، وقد حاولت في هذه الدراسة أن أجمع عدداً لا بأس به من المعارضات مجتمعة في بحث واحد تسهل على الباحثين بعدي الصعوبات التي واجهتني وتفتح أمامهم آفاقاً جديدة. وأسأل الله العلي القدير أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم فهو نعم المولى ونعم النصير .

التمهيد

- دخول الموحدين إلى الأندلس
- الحياة الأدبية والعقلية في عصر الموحدين :
- العوامل المؤثرة في الحركة الأدبية في عصر الموحدين.
- من مظاهر النشاط الأدبي في عصر الموحدين :
  - المجالس الأدبية
  - المساجلات
  - المطارحات

دخول الموحدين إلى الأندلس :

قامت الدولة الموحدية في المغرب في بر العدوة على أساس ديني، بدأ بفكرة الأمانة الدينية والدعوة إلى التوحيد على يد مؤسسها محمد بن تومرت (٤٧١هـ-٥٢٤هـ) وعرف عنه أنه رجل سياسة قبل أن يكون رجل دين، وكان بحراً متفجراً من العلم؛ إذ ابتدأ حياته رحالة في المشرق من أجل العلم والدين[١]. وكانت حركته في أول أمرها دينية سرعان ما تحولت إلى حركة سياسة[٢].

توفي ابن تومرت (٥٢٤هـ) ولم يكن قد حقق أهدافه بعد، فتولى أمر الموحدين بعده تلميذه عبد المؤمن بن علي (٥٤٢هـ-٥٥٨هـ) ولقب نفسه بأمير المؤمنين، وقام بمعارك عديدة ضد المرابطين، وقد كان قائداً ناجحاً شجاعاً باسلاً؛ إذ استطاع أن يحقق النصر على المرابطين، فعبر الأندلس وكوّن دولة أعدّ لها نظماً إدارية ناجحة.

ثم امتد سلطان الموحدين في الأندلس إلى أن وصل في زمن أمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن (ت ٥٨٠هـ) من مدينة تطيلة قاصية بلاد شرق الأندلس إلى بلاد شنترين من بلاد غرب الأندلس[٣]. وبهذا كون دولة امتدت من طرابلس المغرب إلى سوس الأقصى من بلاد المصامدة، وأكثر جزيرة الأندلس[٤].

وعلى الرغم من الحروب التي دارت بين الموحدين والإسبان إلا أن هناك فترات كثيرة استتب فيها الأمن والاستقرار، لا سيما في زمن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨هـ - ٦٨٠هـ)[٥].

وقد بدأت عوامل الضعف والانحلال تدب في دولة الموحدين في نهاية القرن السادس الهجري ومطلع القرن السابع لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية لا يتسع المجال لذكرها، وكان من أهم نتائجها زوال دولة الموحدين وسقوط حكمهم على يد المرينيين سنة ٦٦٧هـ.

---

[١] ابن خلكان، وفيات الأعيان : ١٤٧/٤

[٢] المراكشي، المعجب : ٢٠٠

[٣] نفسه : ٢٠١ .

[٤] ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب : ١٧٣/٢ .

[٥] محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين : ٤٦ .

المسافر) والرعيني كتابه (برنامج شيوخ الرعيني) فضلاً عن الدواوين التي تحفظ الأشعار. كما برزت ظاهرة المراسلات والمخاطبات بين أهل الأدب. وتتمثل مظاهر هذا النشاط الأدبي في الرحلات التي قام بها الشعراء والأدباء طلباً للعلم بين الأقاليم الأندلسية وخارجها، ولم يكتفوا بطلب العلم فقط ؛ بل أخذوا ينشرون ما في جعبتهم من آداب وثقافات في المناطق والأقاليم التي يذهبون إليها.

ولا بد من توافر الظروف الملائمة والدوافع القوية التي أدت إلى تحقق النهضة الأدبية والثقافية ونضوجها في عصر الموحدين.

- العوامل المؤثرة في الحركة الأدبية في عصر الموحدين :

كان من أهم العوامل التي أثرت في أدب هذا العصر، اهتمام أمراء الموحدين بالأدب وحبهم له، وتشجيعهم للأدباء والإعلاء من شأنهم وتقديرهم لهم، حتى أن منهم من كان مولعاً بالأدب والشعر، إذ يذكر أن الأمير أبا الربيع بن سالم كان شاعراً نابغا مجيداً، ومن مظاهر تشجيع الخلفاء للأدب والأدباء. إغراقهم بالهدايا والأعطيات مما جلب إلى بلاطهم عدداً كبيراً من الشعراء ، وعندما يفد الأدباء والشعراء إلى الأندلس كان الأمراء يعقدون المجالس الأدبية والندوات الشعرية ويجمعونهم مع أدباء الأندلس، كما كانت تعقد أيضاً في قصور الأمراء، حيث يجتمع الشعراء الأندلسيون والمغاربة ويتبارون في قول الشعر، فكانت هذه الندوات مناخاً ملائماً لنشوء المناظرات والمعارضات بين أدباء الأندلس والمغرب، مما ساعد أيضاً في ظهور النزعة الأندلسية في مؤلفاتهم ونتاجهم الشعري مما ينبئ عن استقلال شخصية الأندلس الثقافية آنذاك، ونذكر من ذلك رسالة كتبها الشقندي يفاضل فيها بين علماء الأندلس والمغرب وبين الأندلس والمغرب أيضاً[١]، ونجدها أيضاً عند ابن دحية في كتابه (المطرب) وعند صفوان بن إدريس في زاد المسافر، وقد برز ذلك جلياً في الرسالة التي كتبها إلى أمير الموحدين (عبد الرحمن بن يوسف بن عبد المؤمن)، وفيها يفاضل بين مدن الأندلس[٢]، وقد قويت هذه النزعة نتيجة للتنافس الشديد بين الأندلسيين والمغاربة وبينهم وبين المشارقة أيضاً ؛ فقد اتخذوا من

---

[١] المقري، النفح : ٣/١٩١ .

[٢] المصدر السابق : ١/١٧٠.

الأدب وسيلة لإثبات مقدرتهم الإبداعية، وكان ذلك من أهم العوامل التي أثرت في أدب عصر الموحدين فساعدت على ازدهاره وتطوره.

وقد عمد الأمراء الموحدون إلى تسخير الأدب لمصلحة أهدافهم الشخصية، فاتخذوه وسيلة إعلامية تنشر من خلالها أهدافهم، لتثبيت سلطانهم وترسيخه في الأندلس؛ ولذلك شجعوا الشعراء على الاتجاه إلى شعر المدح والجهاد[١] لتسجيل معاركهم وانتصاراتهم وبثها عبر أرجاء الأقاليم والبلدان المختلفة، فأغرقوهم بالأرزاق والخيرات ليلهبوا الحماس في نفوسهم فتجيد ألسنتهم بالمدح .

كما اتخذوا من الشعر وسيلة لاستقبال الأمراء وكبار المسؤولين الوافدين إلى الأندلس والاحتفاء بهم، فإذا ما وفد أحدهم إلى الأندلس أعدوا له أفخم مراسم الاستقبال من مكان إقامة وطعام وشراب، ورحبوا به أجمل ترحيب، فيتخيرون أشهر الشعراء الأندلسيين ليرحبوا بهم بأحلى الكلام وأعذبه.

ولمثل هذه المناسبات تنشط حركة التنافس بين الشعراء فيزداد نتاجهم الشعري؛ فكل واحدٌ منهم يسعى إلى إثبات جدارته ليكون هو المختار من بينهم ويفوز بشرف الترحيب.

ومن ذلك الاحتفاء بقدوم الأمير الأعلى أبي حفص عمر بن عبد المؤمن إلى الأندلس، إذ استقبله وفد يضم كبار المسؤولين من مدن الأندلس كافة، فرحبوا به أفضل ترحيب ثم وفدت الوفود وتتالت الخطب والأماني وانتشرت الأشعار والتهاني وأنعم عليهم الأمير بالأعطيات والهدايا ودامت إقامته خمسة عشر يوماً[٢].

كما كان للمعارك والانتصارات التي كان يحققها الموحدون أكبر الأثر في انتعاش الحياة الأدبية، فقد كان الشعراء يتبارون في تصوير هذه المعارك بأحداثها وأدواتها، والانتصارات التي يحققها الخلفاء؛ وذلك ليوقدوا الحماسة في صدور المجاهدين، ويقووا عزائمهم من جهة. وليردوا على منافسيهم من جهة أخرى، ومن ذلك أنه لما عاد أمير المؤمنين يعقوب المنصور من غزوة الأرك المشهورة في سنة (٥٩١هـ) وفد عليه

---

[١] فوزي سعيد عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين: ١٠٩ .

[٢] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٢/١٣٩-١٦٧ .

الشعراء يهنئونه من كل صوب وجهة، فلم يتمكن من أن يستمع لجميع هؤلاء الشـــعراء، فطلب منهم أن يختار كل شاعر بيتين أو ثلاثة وينشدها، فدخل عليه أحد الشعراء وأنشده:

ما أنتَ في أمراءِ الناسِ كلهـــم إلا كصاحبِ هذا الدين في الرسلِ

أحييتَ بالسيفِ دينَ الهاشمي كما أحياهُ جدُّكَ عبد المؤمن بن علـــي

فأمر له بألفي دينار، ولم يتمكن غيره من الشعراء أن يصل إليه، ويذكر أن رقـاع القصائد التي تمكن أصحابها من أن يوصلوها إليه حالت بينه وبين من أمامه لكثرتـــها[1]. وهذا يدل على ازدهار الحركة الشعرية وتطورها عصر الموحدين.

ولا يخفى أثر الطبيعة الأندلسية في الحياة الأدبية، فقد حبا الله الأندلـــس طبيعـــة فاتنة تستهوي الفؤاد وتأسر الطرف، فكانت الملهم الذي يلهمهم الشـــعر والمنبـــع الـــذي يستقون منه معانيهم وألفاظهم ؛ إذ كان الشعراء يخرجون إلى الطبيعة فتستحث قرائحـــهم وينثال الشعر على ألسنتهم عذباً رقراقاً متغنين بما حولهم من مظاهر الجمال.

وقد كان الشعراء يخرجون في نزهات جماعية فيتطارحون الشعر بينهم، ونشأ عن ذلك المجالس الأدبية التي يعقدها الشعراء بين أحضان الطبيعة، وكان ذلك مرتعاً خصبـــاً لفن المعارضات والمطارحات والمساجلات الشعرية، كما ظهرت المكاتبات والمخاطبـــات بين الأدباء من شعر ونثر، والمراسلات الإخوانية التي يضمنونها غالباً الحكم والنـــوادر والمداعبات.

---

[1] المقري، النفح: ٤/١٧٢ .

- من مظاهر النشاط الأدبي في عصر الموحدين:

المجالس :

أ - المجالس الأدبية :

وهي الأماكن التي اعتاد الأدباء والشعراء أن يجتمعوا فيها لغاية أدبية كالمحاورة والإنشاد، وتطارح الشعر ونظمه، وتعد المجالس الأدبية من أبرز مظاهر الازدهار الأدبي والثقافي في عصر الموحدين ، ومن أهم ما يعبر عن الجمال والذوق؛ إذ تصور الحياة العقلية والاجتماعية تصويراً ينبئ عن حسن ذوق الشعراء ورقة طبعهم وصفاء مواهبهم.

وكان لاهتمام الموحدين بالأدب وحبهم له، أكبر الأثر في انتشار هذه المجالس وكثرتها، حيث كانوا يستقطبون الأدباء والشعراء البارزين إلى مجالسهم وكانوا يشجعونهم ويغدقون عليهم الأعطيات، كما ساعد اهتمام الأدباء في الحضور والمشاركة في هذه المجالس على نجاحها وانتشارها وتعددها، ومن هؤلاء الأديب أبو جعفر[١] الذي جعل والده عبد الملك بن سعيد يذكره أمام الأمير عبد المؤمن، ويذكر براعته في الشعر طمعاً في حضور مجلسه، وإنشاده فيه، وعندما حصل له ما أراد قبّل يد الأمير، ثم أنشد قصيدة يقول فيها :

عليكَ أحالنَي داعي النجاحِ ... ونَحْوكَ حَثّني حادي الفلاحِ

وكنتَ كساهرٍ ليلاً طويلاً ... ترنّحَ حينَ بُشّرَ بالصباحِ

وذي جهلٍ تَغلغَلَ في قفارٍ ... ويذكر للرياض شذا الرياح[٢]

ولشدة حرصهم على حضور مجالس الأدب فإنهم يعتبرون كل من يثنيهم ويؤخرهم عن حضورها حاسداً وحاقداً، كما حصل مع الأديب أبي جعفر بن سعيد، وقد عزم على أن يفد على أمير المؤمنين، وعندما شعر بعدم رغبة أصحابه في ذلك، أنشد قصيدة يتهمهم فيها بالحقد والحسد ومنها :٤

سر نحو ما تختارُ لا تسمَعنّ ... ما قالُه زيدٌ ولا عمروُ

---

[١] هو أحمد بن عبد الملك بن سعيد أبو جعفر توفي عام ٥٥٩هـ، عشق حفصة الركونية وكان بينهما مراسلات ومكاتبات شعرية. ترجمته في النفح للمقري : ١٩٧/٤، ورايات المبرزين لابن سعيد : ٩١ .

[٢] المقري، النفح : ١٨١/٤ .

كلهـــم يحمد ما رُمـــتـــه مهما يساعد رأيك الدهرْ

عجبت ممن رام صدر العُلا يروم أن يصفو له دهر[١]

وكانت المجالس الأدبية تقسم إلى ضربين :

أولاً : مجالس أدبية رسمية: وهي تلك المجالس التي تعقد في أماكن مخصصـــة للعلـم والأدب، ومنها ما كان يقام في قصور الخلفاء والأمراء والحكام، إذ جعلوا من قصورهم أمـــاكن تدار فيها الندوات وتعقد فيها المناظرات ويجتمع فيها العلماء والأدبـــاء، ومـــن أشـــهر خلفـــاء الموحدين الذين اهتموا بالمجالس الأدبية وجعلوا من قصورهم منتدى للشعراء والأدباء الخليفـــة عبد المؤمن بن علي الذي عقد مجلساً للأدباء في قصره الواقع في جبل الفتح، فـــأخذ الشـــعراء يتطارحون ويتنافسون في مدحه ووصف جبل الفتح ومنهم: الرصافي البلنسي[٢]، وأبـــو العبـــاس الجراوي[٣]، والقرشي الطليق[٤]، وأبو جعفر بن سعيد العنسي[٥]، ومن القصائد التي قيلـــت فـــي ذلك المجلس قصيدة الرصافي البلنسي التي يقول فيها :

لو جئتَ نارَ الهُدىٰ من جانبِ الطورِ قبستَ ما شِئتَ من علمٍ ومن نورِ

مِن كُلِ زهراءَ لم تُرفع ذؤابتُهـــــا ليلاً لسارٍ ولم تُشبب لمـــقـــرورِ[٣]

فيضَّيةُ[٤] القَدْحِ من نورِ النـــبـــوةِ أو نـــورِ الهدايةِ تجلو ظُلمةَ الـــزورِ

ومنها :

يا دارُ دارَ أميرِ المؤمنين بسفـــــ ـحِ الطَّودِ طوَّدِ الهدىٰ بوركْتَ في الدُّورِ[٥]

---

[١] المقري، النفح: ١٨٨/٤.

[٢] هو أبو عبد الله بن غالب الرصافي ولد عام ٥٣٦هـ وتوفي عام ٥٧٢هـ، من أهل بلنسيه عرف بشعر الحنين لوطنه وظل عازبا لم يتزوج حتى وافته المنية. وترجمته في ديوان الرصافي : مقدمة المحقق.

[٣] هو أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي (ت ٦٠٩هـ) دخل الأندلس مترددا عليها وكان عالماً بالآداب، كانت وفاته بإشبيلية، ترجمته في الفتح للمقري ٥٠٢/٢، والتكلمة لابن الأبار: ١٢٨.

[٤] القرشي الأمي القرطبي المعروف بالطليق؛ وقيل إنه سمي بالطليق لأن الرسول أطلق جده، وقيل لأن جده كان مطليق ابن أبي عامر . المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة : ١٥٩/٢، والمعجب للمراكشي: ٢١٦-٢١٧.

[٥] هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي، كان شاعراً فذاً قال عنه ابن سعيد في المغرب: سمعت أبي يقول: لا أعلم في بني سعيد أشعر منه، عشق حفصة شاعرة الأندلس وكان بينهما مراسلات ومجاوبات. ترجمته في النفح للمقري: ١٧٩، والمغرب لابن سعيد: ١٦٤/٢ .

[٢] زهراء: منيرة مضيئة. والذؤابة من كل شيء : أعلاه .

[٤] فيضية القدح: كثيرة.

[٥] الرصافي، الديوان: ٣٧ .

ثانياً : مجالس أدبية عامة : وهي مجالس تعقد بين الأدباء في أماكن عامة، ومن هذه المجالس ما يعقد في أماكن العمل، ومنها مجلس محمد بن غالب الرصافي، إذ كان يعمل في سوق مالقة وبحكم مهنته كان يجتمع في دكانه الكتاب والشعراء فيأخذون عنه، ويسمعون منه، وممن كانوا يترددون على دكانه، الفقيه أبو عمرو بن سالم، وأبو عبدالله بن الحجاري، وابن الفخار المالقي، وأبو علي بن كسرى، وبينما كان هذا الأخير عنده. خطر بباله أبيات من الشعر فكتبها في لوح وعرضها على الرصافي، ولم يذكر قائلها فعرف الرصافي الأمر وأخذ القلم من يده ، ثم كتب على البديهة :

أجعلِ العلمَ أولاً واجعلِ الشعر آخراً
فإذا ما فعلتَ ذا كنتَ لا شكَ شاعراً[١]

ومنها ما كان يعقد في المساجد فهي لا تقتصر على كونها مكاناً للعبادة فحسب، فيذكر أن أبا عمرو بن سالم المالقي خرج يوماً إلى مسجد برابطة الغبار فوجد الخطيب أبا محمد عبد الوهاب بن علي المالقي، فطلب منه أن ينشده شعراً فأنشده لأحد الشعراء:

غَصَبوا الصباحَ فقسّموه خدوداً واستوعبوا قضب الأراك قدودا
ورأوا حَصىَ الياقوتِ دون نحورِهم فتقلّدوا شُهُبَ النجوم عِقودا
ولم يكفِهِمْ حد الأَسنَّةِ والظُّبى حتى استعاروا أعيناً وخدودا[٢]

هذا فضلاً عن المجالس الأدبية التي كانت تعقد في بيوت الأدباء والشعراء، ومن هؤلاء الأدباء الذين فتحوا بيوتهم لطالبي العلم ومحبي الأدب ، القاضي أبو الفضل عياض[٣].

ب – مجالس اللهو والمجون والغناء : وهي مجالس تعقد لغايات الأنس والمتعة، ويأتي الشعر نتيجة لاجتماع عدد من الشعراء فيها، ولا تتقيد في مكان واحد إذ كانت تعقد بين أحضان الطبيعة، ومنها ما يمتد في انعقاده من الصباح حتى المساء متخذاً من الطبيعة وما تحويه من رياض وبساتين وأزهار وغيره مادة لشعرهم، ومنها ما يمتد انعقاده من المساء حتى الصباح متخذاً من الليل ونجومه وكواكبه وغيره مادة لشعرهم، ومن ذلك

---

[١] ابن خميس، أدباء مالقة : ٨٣ .

[٢] المقري، النفح : ٤٠٣/٣ .

[٣] ترجمته في رايات المبرزين لابن سعيد : ١٠٨ .

مجلس أنس وشراب عقده ابن سيد المالقي وأبو جعفر بن سعيد من المساء حتى الصباح، وأمضيا ليلتهما يشربان ويحثان القداح، ويتطارحان الأشعار واصفين الطبيعة من حولهما من ليل وسماء ونجوم، وعندما انبلج ضوء الفجر، قال أبو جعفر :

نثر الطَّلُّ عقودَهْ ونضَا الليلَ برودهْ

فقال ابن سيد :

وبدا الصبح بوجهٍ مطلعٌ فينا سعودهْ

فقال أبو جعفر :

وغدا ينشرُ لمّا فتر الليل بُنُودَهْ[١]

فقال ابن سيد :

فهلُمَّ اشرب وقبّل من غدا ينطِقُ عودهْ[٢]

وكانت هذه المجالس واسعة الانتشار، تنبئ عن ذوق رفيع ورهافة حس عظيمة لدى الشعراء الموحدين، كما كانت تجمع بين مظاهر الفرح والمرح والفكاهة، وكان لها دورها في حث الشعراء على الارتجال والابتكار في النظم، فكانت رافداً مهماً من روافد شعر المعارضات في الأندلس في عهد الموحدين.

المطارحات :

زخر الشعر في عصر الموحدين بفن المطارحات الشعرية؛ لكونها مقياساً يُحدد من خلاله مقدرة الشعراء وبراعتهم في وصف شيء ما، أو الحديث عنه، فيكون الشعر وسيلة للتخاطب بين الشعراء.

والمطارحة الشعرية هي: محاورة شعرية بين شاعرين أو أكثر يحاول كل منهم أن يبرز مقدرته الشعرية وحسن نظمه، وتفوقه على الآخر، فيبدأ أحدهم بطرح بيت من الشعر ويطارحه الآخر ببيت في الغرض وعلى الوزن والقافية، ومن ذلك ما حدث بين أبي عمرو[٣] وأبي شهاب المشعلاني[٤] وابن محمد بن الحسن بن كامل الحضرمي[٥]، إذ إنهم بينما كانوا على سفر، أخذ أبو شهاب المشعلاني نوّاراً في يده. وقال :

---

[١] البند: العلم الكبير.

[٢] المقري، النفح : ٤/١٩٩-٢٠٠ .

[٣] هو سالم بن صالح بن علي بن صالح الهمذاني المالقي، يكنى أبا عمر، كان أديبا حافلا متواضعا طيب النفس توفي عام ٦٢٠هـ. ترجمته في برنامج الرعيني: ١٠٥-١٠٧ .

لنورِكَ يا خابور[١] بوركتَ منــةً

على الصحبِ لا تفنى على قِدَمِ الدَّهرِ

فقال ابن محمد الحضرمي :

ظفرتَ بلثمٍ من بنانٍ معذبـــــي

بحيثُ ذكي النشرِ منتخب العــطـــــرِ

فقال أبو عمرو :

سَرَتْ لكَ من أنفاسهِ طيبُ نكهةٍ

فجرّر بها أذيالَ فخرٍ على الــزهـــــرِ[٢]

ومنها أيضا مطارحة في وصف دولاب بين النجاري[٣] وأبي بحر صفــوان بــن إدريس[٤]، فقد قال فيها النجاري :

وباكيةٍ تبكي فيُسلي بكاؤها وما كلُ من يبكي إذا ما بكىٰ يُسلي

فقال أبو بحر :

كأنَّ بُكاها من سرورٍ فدمعَها يُثيرُ سرورًا في جوانحِ ذي خَبْــلِ

فقال النجاري :

فيا عجباً يَنْهَلُّ واكفُ[٥] دمعَها سريعاً وإن كانتْ تدورُ على رِسْــلِ

---

[٤] هو موسى بن محمد المشعلاني، يكنى أبا شهاب، من الأدباء والشعراء البارعين. ترجمته في المغرب لابن سعيد: ٤٣٧/١، وأدباء مالقة لابن خميس: ١٩٥، والنفح للمقري: ٤٧٦/١.

[٥] هو شاكر بن محمد بن الحسن الحضرمي، يكنى أبا الحسن ويعرف بابن الفخار، كان أديبا وشاعرا ذكيا وبارعا، توفي عام ٥٨٦هـ. ترجمته في أدباء مالقة لابن خميس: ٣٨، والذيل والتكملة للمراكشي: ١٢٦/٤.

[١] الخابور : جنس نباتات طيبة وتزيينيه، لها زهر أصفر جيد الرائحة.

[٢] ابن خميس، أدباء مالقة: ٣٨٠.

[٣] هو أبو زيد عبد الرحمن المعروف بالنجاري، توفي عام ٥٧٢هـ. ترجمته في المقتضب من تحفة القادم: ١٥٥.

[٤] هو أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي الكاتب، من أهل مرسية وهو ممن جمع تجويد الشعر إلى تحبير النثر مع سداد المقصد وسلامة المعتقد، من أشهر تصانيفه كتاب (زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر) توفي عام ٥٩٨هـ قبل ان يبلغ الأربعين عاما. ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار: ١١٩، والمغرب لابن سعيد: ٢٦٠/٢، ورايات المبرزين لابن سعيد: ٧٩، ومقدمة كتاب زاد المسافر، وأدباء مالقة لابن خميس: ٢٠٧.

[٥] الواكف: المطر المنهل.

فقال النجاري :

تسلسلَ مِنْها الماءُ مِنْ كلِّ جانبٍ فخيّلتها من عَبرةِ الصَّبِّ تَسْتَملي

فقال أبو بحر :

كأنّ السحابَ الغُر ألقت بسرها إليها فلمْ تَكْتُمْ وضاقتْ عن الحملِ[١]

ولم تكن المطارحة مقصورة على مطارحة بيت ببيت ، بل قد تأتي المطارحة بين الشعراء في مقطوعات شعرية ؛ كأن يتطارح الشعراء في وصف شيء ما، كما حدث بين شعراء المقامة المحسنية في وصف الأديب عبد المحسن بن علي الأنصاري والتعزل به"[٢]

وقد شاعت المطارحات الشعرية في عصر الموحدين شيوعاً كبيراً، وكان لها دور بارز في ازدهار الشعر ونشاط فن المعارضات الشعرية آنذاك.

المساجلات :

برزت المساجلات في أدب هذا العصر، وشاعت شيوعاً كبيراً، وهي: التسابق بين الشعراء على وصف شيء ما أو شخص ما، وتكثر بين المقربين من الشعراء وهي أقرب ما تكون إلى المراسلات الإخوانية فيتسابقون في مدح بعضهم بعضاً؛ بهدف تمتين روابط الصداقة والألفة بينهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، ونذكر منها ما حدث بين ابن غالب الرصافي والكتندي[٣]، إذ كتب الكتندي إلى الرصافي شعراً يقول فيه :

أعندكمُ يا ساكني الودَّ أنّكم بمرأىً على بُعْدِ المسافةِ من حمصِ

أتقضي الليالي أن تُلمَّ بمنزلٍ ألفناه ما بينَ الأراكةِ والدَّعصِ[٤]

---

[١] ابن الأبار، تحفة القادم: ١٤٨- ١٤٩ .

[٢] سنعرض لهم في موضع اخر .

[٣] هو محمد بن عبدالرحمن بن العزيز بن أبي العافية الأزدي يعرف بالكتندي ويكنى أبا بكر، من أهل غرناطة سكن مالقة وتوفي عام ٥٨٤هـ . ترجمته في زاد المسافر لصفوان بن إدريس : ٩٥ ، ورايات المبرزين لابن سعيد : ١٥٧ ، وأدباء مالقة لابن خميس : ٨٥ .

[٤] الأراك: وهو نبات شجري من الفصيلة الأراكية كثير الفروع خوار العود متقابل الأوراق له ثمار حمر دكناء تؤكل، ينبت في الصحراء والبلاد الحارة واحدته أراكة. والدعص: قطعة من الرمل مستديرة.

وإني حريصٌ أن يعود بما مضى زمانٌ وما حِرْصُ المقاديرِ من حرصِ[١]

فأجابه الرصافي بقصيدة منها :

سلامٌ أبا بكـــرٍ عليـكَ ورحمـةٌ تحيّةَ صدقٍ من أخٍ لك مختصّ
لعمري وما أدري بصدعِ زُجاجةٍ عليك فقد تُدْني الليالي كما تُقْصي
لقد بان عنّي يومَ ودعت صاحبٌ بريء أساليب الوداد من النُقصِ[٢]

ومن ذلك أيضا ما جرى بين صفوان بن إدريس وابن مرج الكحل[٣]، فقد كـــانت بينهما علاقة قوية وصداقة حميمة، فبعث صفوان بن إدريس إلى مرج الكحل، يقول :

يا قاطعَ البيد يطويّها وينشُـرُها إلى الجزيرةِ ينضي بَدْنَ العيسِ
الثم بها عن أخي حبٍ وذي كلفٍ يد العَلا والقوافي وابن إدريسِ[٤]

فراجعه ابن مرج الكحل بأبيات منها :

يـــا من تبوأَ في العلياءِ منزلةً جدّاهُ قـــد أسّساها أيَ تأسيـــسِ
لم يتركا في العَلا حظاً لملتمسٍ سيّان هـذا وهذاك ابـن إدريـسِ
وافـى كتابكـمُ فارتدّ لي جَذَلي[٥] واعتضتُ من فرطِ أشواقي بتأنيسِ
وللنوى لوعةٌ تـطفو فيـطفئها مسكُ المدادِ وكـافورُ القراطـيسِ[٦]

وقد وجدت مساجلات بين المحبين، ومنـهم أبـو جعفـر بـن سـعيد وحفصـة الركونية[٧]، فقد كان بينهما حب كبير، وكثرت المساجلات بينهما، فقد رغب في لقائـها يوما، فكتب إليها بشعر، منه :

---

[١] ابن خميس، أدباء مالقة : ٧٦ .

[٢] المصدر السابق : ٧٧ .

[٣] هو محمد بن إدريس بن علي ، يعرف بمرج الكحل، كان مولده في عام ٥٥٤هـ ، في جزيرة شقار وتوفي عام ٦٣٤هـ، ترجمته في ابن إدريس ، زاد المسافر : ١٢٤-١٢٥ ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان: ٢: ٣٩٦/١-٣٩٧ ، وابن الأبار، تحفة القادم : ٢٤٩.

[٤] المقري، النفح : ٥٧/٥-٥٩ .

[٥] الجذل: الفرح.

[٦] المصدر السابق: ٥٩ .

[٧] شاعرة الأندلس اشتهرت بالجمال الفاتن والأدب الرائق عشقها أبو جعفر بن سعيد وكان بينهما مجاوبات ومراسلات ومات قتلا بسببها، ترجمتها في رايات المبرزين لابن سعيد: ٢٩٢ .

يا من أجانبُ ذكر اســـــــــــ مه وحســـــــــبي علامَـــــــهْ
مـــا إن أرى الوعدَ يَقْضَـــــيَ والعمرُ أخشى انصـــــرامَـــــــهْ
الـــيـــومَ أرجـــــــوكَ لا أن تـــــكونَ لي في القيامـــَـــــــهْ

فأجابته بشعر منه :

يـــــا مُدَّعي في هَوَى الحســـ ن والـغـــــرامِ الإمـــامَـــــــهْ
أتـــــــــى قـــريضُـــكَ، لكنْ لم أرضَ مـنهُ نـظـــــامَـــــــهْ[1]

ومن المساجلات الشعرية ما كان لغرض العتاب واللوم، ومنها ما جرى بين ابن غالب الهمذاني المكنى بأبي الفضل،[2] وبين استاذه أبي محمد القرطبي،[3] فقد حصـــل أن سمع الأستاذ القرطبي أنّ أبا الفضل أخذ يبيع كتبه فكتب له يعاتبه على ذلك، فقال :

نبئـتُ عباســـاً توزّع كتـبـــه نهباً وأصبح عن سواها معزلا
فعجبتُ من بطلٍ يبيع سلاحـــــه عمداً ويصبح في الكتيبة أعزلا[4]

فكتب إليه الآخر موضحاً :

يـــا موئلي ولقد اتخذتك موئـــــلاً أقصر فإنّك غير مُتهم الـقِـلى
بعتُ الدواوين الأصولَ لكي أرى بأصولِ أشجارٍ شريتُ مموَّلاً[5]

وقد كانت المساجلات والمطارحات من أبرز العوامل التي ساعدت على تطـــور الحياة الأدبية وازدهارها، كما أنها صورة من صور المعارضات، وبذلك فقد كانت دافعـــاً قوياً لازدهار هذا الفن ونمائه في عصر الموحدين.

[1] المقري، النفح : ١٧٣/٤ .

[2] هو العباس بن الغالب الهمذاني، يكنى أبا الفضل، كان أديبا حسيبا كاتبا شاعرا مطبوعا، من أصحاب أبي عمرو بن سالم وكان بينهما مكاتبات ومخاطبات. ترجمته في أدباء مالقة لابن خميس : ٢٧٦.

[3] هو أبو محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري، كان يلقب بأبي بغل توفي عام ٦٤٣هـ. ترجمته في القدح المعلى لابن سعيد: ٢١٢.

[4] ابن خميس، أدباء مالقة : ٢٨٢ .

[5] المصدر السابق : ٢٨٢ .

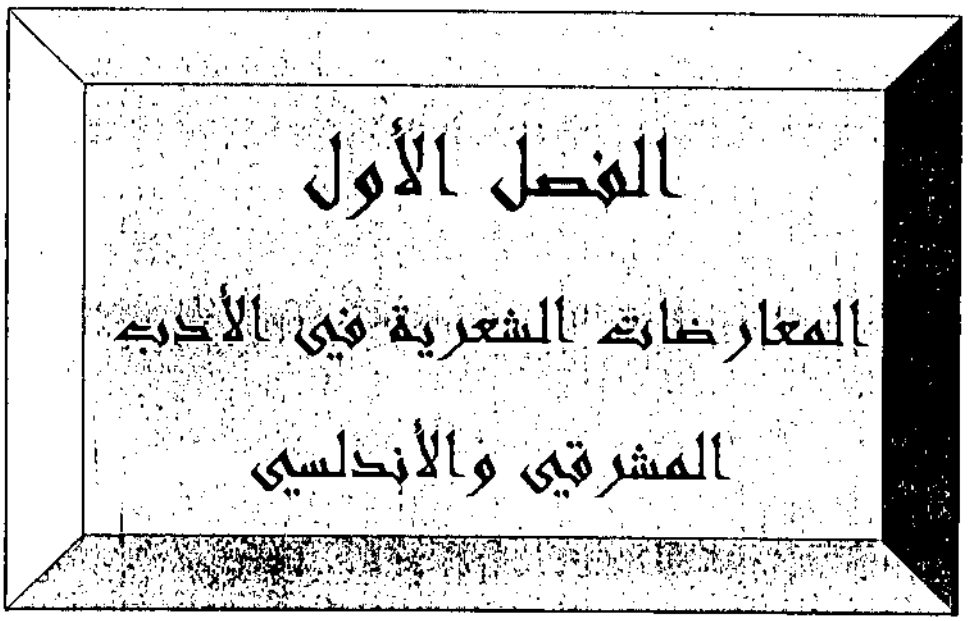

أ – المعارضات الشعرية في الأدب المشرقي

- مفهومها.
- الفرق بينها وبين النقائض وبينها وبين الإجازات الشعرية
- نشأتها
- عوامل ظهورها وتطورها

ب – المعارضات الشعرية في الأندلس

– نشأتهـــــــا .

– عوامل ظهورها.

– العصور التي تألق فيها هذا الفن الأدبي.

– أشكالها.

مفهوم المعارضات :

يتحدد مفهوم المعارضات في إطارين، أحدهما لغوي يدور ضمن مدلولات كلمة (عرض)، والآخر اصطلاحي يتعلق بالأدب من شعر ونثر :

- **المعنى اللغوي :**

المعارَضَةُ في اللغة، المقابلة، يقال: عَارَضَ الشيء بالشيء مَعارضةً، أي قابله، وعارَضْتُ كتابي بكتابه أي قابلته، ويقال: فلان يُعارِضُني أي يُبارِيني، وعارَضْتُه في السير إذا سرت حياله وحاذيته، وعارَضْتُه بمثل ما صنع، أي أتيتُ إليه بمثل ما أتى، وفعلت مثل ما فَعلَ[١].

ومن ذلك ندرك، أن المُعَارَضَةَ في اللغة هي: المحاذاة، والمماثلة، والمجاراة للشيء بشيء يشبهه لعلاقة بينهما[٢]، مما يُسفر عن تحقق التفوق لأحدهما على الآخر أو تساويهما معاً. وعند النظر في المعنى الاصطلاحي نجد علاقة قوية تربط بين المعنيين.

- **المعنى الاصطلاحي :**

المُعَارَضَةُ في الأدب بعامة هي : أنْ يحاكي الأديب في أثره الأدبي أثرَ أديب آخر محاكاة دقيقة تدل على براعته ومهارته[٣]. وفي الشعر أن يقول شاعرٌ متأخر قصيدة يحاكي فيها قصيدة شاعر متقدم في الزمان- مهما طال أو قصر- أو قصيدة شاعر معاصر له، ملتزماً بوحدة الغرض والموضوع والوزن والقافية وحرف الروي [٤]. وعندئذ تكون المعارضة تامة، وإذا اختل بعض هذه الشروط بين القصيدتين كاختلافهما في الغرض أو الوزن و القافية، مثلاً، كانت المعارضة ناقصة.

ولم تكن المعارضة مقصورة على القصائد فحسب، بل تأتي المعارضة ما بين المقطوعات القصيرة، وقد تأتي أيضاً بين بيت وبيت أو بين شطر وشطراً أيضاً.

---

[١] ابن منظور، لسان العرب: مادة (عرض).

[٢] محمد قاسم نوفل، تاريخ المعارضات: ١٣.

[٣] مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية: ٣٧١.

[٤] أحمد الشايب، تاريخ النقائض: ٧ ، ومحمد قاسم نوفل، تاريخ المعارضات: ١٣ .

وليست المعارضة حكراً على الشعر دون النثر، بل قد يعارض الأدباء بعضهم بعضاً في النثر ايضا من مقامات ورسائل وخطب، وقد ظهر ذلك جلياً بين الأندلسيين والمشارقة.

وخلاصة ما تقدم، إن المعارضات ثمرة اطلاع الأدباء على النتاج الأدبي للسابقين والسير على نهجهم واقتفاء آثارهم، وهو فنّ أدبي لم يكن حكراً على الشعر دون النثر.

الفرق بين المعارضات والنقائض :

تختلف المعارضات عن النقائض اختلافاً بيناً، كما أنها تتفق معها اتفاقاً ظاهراً ، وقد اسلفنا الحديث عن مفهوم المعارضة وشروطها.

ولكن، ماذا عن النقائض؟

النَّقائِضْ جمع نَّقيضة، وهي في أصلها النَّقْضُ، ونقول: نَقَضَ البناء إذا هدمه، والحبل إذا حله، فالنَّقْضُ إفساد ما أبرمت من عقد وبناء، ونقَضَهُ يَنْقضُهُ نَقْضاً وانْتَقَضَ وتَناقَضَ، وناقضَهُ في الشيء مُناقَضةً ونِقاضاً، خالفه، والمُنَاقَضةُ في القول أن يتكلم بما يتناقض معناه[١].

والمُنَاقَضةُ في الشعر: أنْ يَنْقضَ الشاعر الآخر ما قاله الأول حتى يجيء بغير ما قاله، ونَقيضُكَ: الذي يخالفك[٢].

فالنَّقِيضَةُ في اصلها أن يتجه الشاعر إلى الآخر بقصيدة هاجياً أو مفتخراً، فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجياً أو مفتخراً أيضاً، ملتزماً البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول[٣]، ومعنى ذلك، أنه لا بد من وحدة الغرض الذي هو مجال الجدل والمناقشة بين الشاعرين، ووحدة القافية والوزن وحرف الروي وحركته، وهي بذلك ضرب من ضروب المعارضات، كما تتفق معها أيضاً في أن كلتيهما فنّ أدبي وتأتي شعراً ونثراً فتأتي المعارضات في الشعر والنثر وكذلك النقائض أيضاً. إلا أن النقيضة تعمد إلى الالتزام بالشروط السابقة لاستخدامها في الهجاء المقذع وإبطال رأي الخصم، وتكذيبه، ومخالفته،

---

[١] ابن منظور، لسان العرب: مادة (نقض).

[٢] المصدر السابق .

[٣] أحمد الشايب، تاريخ النقائض: ٣ ، ومحمد قاسم نوفل، تاريخ المعارضات: ١٤ .

في قوالب لفظية يطغى عليها طابع الشتائم والمغالطات ونبش الأحقاد وإثارة الفتن، وهي مرآة تعكس أحداث الماضي بأدق التفاصيل، إذ لا يترك شعراء النقائض شيئاً من هفوات الخصم ومعايبه، في حين تكون المعارضة الشعرية مباراة شريفة وعفيفة بألفاظ يغلب عليها طابع المدح والثناء والعفاف.

وقد تكون النقيضة بين شاعرين أو أكثر كما هو الحال في المعارضات، ولكن يشترط فيها وحدة الزمن، إذ يجب أن يكون الشاعران متعاصرين؛ لتصل النقيضة بما تحمله من ضروب الهجاء إلى مسامع الخصم، فيسمعها ويرد عليها، ولا يشترط ذلك في المعارضة، فقد عارض أحمد شوقي وهو من شعراء العصر الحديث، كعب بن زهير الذي عاش في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعارض أبو تمام (ت ٢٣١هـ) بشار بن برد(ت ١٦٨هـ) على ما بينهما من تباعد في الزمان والمكان.

كما قد تكون المعارضة نتيجة اشتراك الشاعرين في تجربة نفسية واحدة، فيتبع الشاعر المعارِض الشاعر المعارَض في اتخاذ أسلوبه وتعبيره عن معاناته ؛ لأنها تعبر عن ذاته ومشاعره. وهذا ما لا يكون في النقيضة، إذ تأتي بدافع الهجاء والتكذيب، ولكن هذا لا يمنع أن نعد النقائض من ضروب المعارضات ؛ وذلك لتشابههما في الشروط الأساسية ؛ إذ يشترط فيها وحدة الوزن والقافية والروي والغرض.

الفرق بين المعارضات والإجازات الشعرية :

الإجَازةَ في الشعر هي: أن ينظم الشاعر على شعر غيره في معناه ما يكون به تمامه وكماله. وقد يكون بين متعاصرين وغير متعاصرين [١]، ومن ذلك ما حدث بين علي بن فرحون القيسي[٢] المكنى بأبي الحسين وبين أبي بكر الكتندي، إذ كانا يوماً عند بعض الأكابر في مالقة وكان ذلك في سنة (٥٦١هـ) وبين أيديهما لوح ومحبرة أخذها أبو الحسين وكتب، فقال أبو بكر :

---

[١] الأزدي، بدائعه البدائه : ٦١ .

[٢] هو أبو الحسن بن فرحون القيسي، كان زاهداً فاضلاً، ورعاً ، مع ما كان عليه من الأدب البارع، ولد عام ٥٦٣هـ في مالقة . ترجمته في أدباء مالقة لابن خميس ، ٣١٥.

يا ذا الذي ملك المحاسن كلَّها

فقال أبو الحسن : وحوى جميعُ العالمينَ أقلَّها

فقال الكتندي : الدهر إن قابلته متبسّماً.

فقال أبو الحسن: أبكيْتَ كُثرَ الحادثاتِ وقلَّها.[1]

وهكذا يمضي الشاعران على هذه الشاكلة إلى أن يؤلفا قصيدة مكتملة، أحدهما يأتي بالشطر الأول والآخر يتمه.

وقد تأتي الإجازة على وجه آخر ؛ كأن يأتي الشاعر ببيت متخيراً الموضوع والوزن والقافية، ويطلب من الآخر إجازته فيأتي ببيت آخر متتبعاً الغرض والوزن والقافية أيضاً، وهكذا إلى أن ينظما قصيدة مكتملة، وهي بذلك ضرب من ضروب المعارضة، إلا أن المعارضة تأتي قصيدة تامة أو مقطوعة شعرية، يطلع عليها الشاعر فيعجب بجانبها الفني أو بالغرض والفكرة التي نظمت من أجلها.

بينما تأتي الإجازة ببيت من الشعر أو بشطر منه ينظمها الشاعر عن بديهة معجلة بطلب من الشاعر الآخر كأن يقول له: أجز أو أجز قولي، أو أجز ما أقول إن كنت شاعراً، ويتضح لنا من ذلك أن الدافع وراءها هو التحدي وإبراز المقدرة الشعرية والإبداع عند الشعراء، وأنها تنتج عن اجتماعات ولقاءات بين الشعراء في المجالس الأدبية، أو في النزهات البرية والبحرية التي يخرجون فيها، وربما تأتي للمداعبة والتسلية وبيان سرعة البديهة.

وعلى الرغم من ذلك فالإجازة الشعرية لا تخرج عن نطاق المعارضة، فإذا كانت المعارضة المتعارف عليها، بين قصيدتين، فالإجازة معارضة بين بيتين أو شطرين،

---

[1] ابن خميس، أدباء مالقة: ٣١٥ .

وقد تأتي بين مقطوعتين كما في قول ابن ثعلبة[١]، إذ طلب الإجازة من أبي بحر صفوان بن إدريس، إذ قال:

خَلِيلي أَبا بحرٍ وما قرقفُ[٢] اللَّمَى
بأعذبَ من قولي خَلِيلي أَبا بَحْرِ
أَجزْ غيرَ مأمورٍ قسيماً نظمتهُ
تأَمل على مجرَى المياهِ حُلى الزهرِ

فقال صفوان بن ادريس مجيزا:

تأملْ على مجرىُ المياهِ حُلى الزَّهرِ
كَعَهدِكَ بالخضراءِ والأنجُمِ الزُّهرِ
وقد ضحِكتْ للياسَمينِ مباسمٌ
سروراً بآدابِ الوزيرِ أَبي بكرِ
وأصغتْ من الآسِ النضيرِ مسامعٌ
لتسمع ما تتلوهُ من سورِ الشعرِ[٣]

وبما أن الإجازة الشعرية تتفق مع المعارضة الشعرية في بعض الدوافع كالتحدي وإبراز المقدرة الشعرية بين الشعراء مثلاً ، فهي بذلك ضرب من ضروب المعارضة الشعرية.

---

[١] هو أبو بكر بن ثعلبة الكاتب من أهل غرناطة. ترجمته في المقتضب: ١١١.

[٢] القرقف: الخمر

[٣] صفوان بن إدريس، زاد المسافر: ٣٥

وقد كان للإجازات دور بارز في ازدهار الشعر ونضوجه ونماء مادة المعارضات الشعرية في الأندلس؛ وذلك نتيجة لكثرة اجتماع الشعراء في النزهات البرية والبحرية التي يقومون بها، وفي مجالس الأنس والأدب والتعليم.

وهناك المفاخرة وتكون بأن يفخر شاعر أو أديب بذكر مآثره ومآثر قومه، فيرد عليه الآخر بمثل ذلك دون التزام البحر والقافية، وبلا هجاء أو تساب، وعلى الرغم من أن هذا الفن كان يقام في المحافل والمجالس كثيراً ؛ وهو فن قديم كثر في العصر الجاهلي بين العرب والفرس، وبين عدنان وقحطان والأوس والخزرج[1]. فإنه يمكننا أن ندخل هذا الفن ضمن مجال المعارضات لابتعاده عن طابع الهجاء والتساب، ونعده معارضة ناقصة لعدم الالتزام بالبحر والقافية.

وهناك المعاظمة في المصائب، إذ تدعي المرأة أنها أعظم العرب مصيبة، كما حدث مع الخنساء وهند بنت عتبة، فسوّمت الخنساء هودجها في الموسم وعاظمت العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية، وقالت: أنا أعظم العرب مصيبة، فقالت هند: أنا أعظم من الخنساء مصيبة وسوّمت هودجها وشهدت عكاظاً وعاظمت الخنساء بأبيها عتبة بن ربيعة، وعمها شيبة بن ربيعة، وأخيها الوليد بن عتبة، ثم قالت كل منهما شعراً تذكر فيه من فقدت وترثيهم به، فيه وحدة الوزن والبحر والقافية[2]، ومثل هذا النوع من الشعر يُعدُّ ضربا من ضروب المعارضة أيضاً.

نشأتها :

لم تقتصر المعارضات على عصر دون آخر، ولم تكن حكراً على حقبة زمنية معينة، وتعود المعارضات في نشأتها إلى العصر الجاهلي، ومما يثبت صحة ذلك، رواية لابن قتيبة فحواها: أن تحاكم امرؤ القيس وعلقمة بن عبدة التميمي إلى أم جندب (زوجة أمرئ القيس) لتحكم بينهما، أيهما أشعر. فطلبت منهما أن ينظما شعراً في وصف الخيل على أن يلتزما الروي والقافية، فبادر امرؤ القيس قائلاً :

---

(١) أحمد الشايب، تاريخ النقائض: ٨-٩ .

(٢) المصدر السابق : ٩ .

خليليَّ مُرّا بـــي على أمِّ جندبِ

لنقضيَ حاجاتِ الفؤادِ المعـــذَّبِ

ونظم قصيدته إلى أن وصل إلى قوله :

فللســـوطِ ألهوبٌ وللساقِ دِرَّةٌ

وللزَّجْرِ منه وقع أَخرجَ مُهذَّبِ[1]

ثم قال علقمة :

ذهبتَ من الهجرانِ في كلِّ مذهبِ

ولـــــــم يكُ حقاً كل هذا التجنـــبِ

وأتم قصيدته إلى أن وصل قوله :

فأدركهنَّ ثانياً من عِنانـــــــــهِ

يمر كمرِّ الرائحِ المتـــحـــلِّـــبِ[2]

فلما انتهيا من نظمهما، حكمت أم جندب لعلقمة، فقال امرؤ القيس، وكيف ذلـــك؟ فقالت: لأنك جهدت فرسك بسوطك، ومريته بساقك، أما علقمة فأدرك طريدته وهو ثـــانٍ من عنان فرسه، لم يضربه بسوطٍ، ولا مراه بساق ولا زجره، فقال: ما هو بأشعر منـــي، ولكنك له وامق[3] فطلقها فخلف عليها علقمة، فسمى بذلك "الفحل"[4].

وقد جاءت المعارضة بينهما تامة، فهما متشابهتان في الغرض والوزن والقافية وحرف الـــروي وحركته، وهذا لم يأت عفو الخاطر وإنما هذا ما اشترطته أم جندب بقولها: (قولا شـــعراً تصفـــان فيـــه الخيل على روي واحد وقافية واحدة)، وهي بذلك كأنها وضعت يدها على مفهوم المعارضة الشعرية.

وهذه الرواية تؤكد أن المعارضات الشعرية وليدة العصر الجـــاهلي، ثـــم أخـــذت بالاستمرار والتطور عبر العصور اللاحقة، وثمة معارضة لعبيد بن الأبرص عارض فيها قصيدة لامرئ القيس فجاءت القصيدتان متفقتين في العروض والقافية، قال فيها :

---

[1] الألهوب: اجتهاد الفرس في عدوه حتى يثير الغبار. والدرة : الكثرة ولساق الراكب درة : استدراراً لجري الدابة والزجر: الحث على السرعة ، الأخرج: لونان بياض وسواد والظليم: ذكر النعام. المهذب: السريع بالجريان.

[2] الرائح: السحاب . المتحلب : المتساقط المتتابع.

[3] الوامق: المحبة بلا ريبة.

[4] ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١/١٤٥ .

يا أيُّها السائلُ عن مجدِنَا إنكَ عن مسا تِنا جاهلُ

إن كنــتَ لم تأتك أيّامنا فاسألْ تنبّأْ أيُّها السائلُ[١]

أما قصيدة امرئ القيس فمطلعها: "يا دارَ ماويةَ بالعائل" ومنها:

قُولا لِدُوَدانَ عبيد العَصَا ما غرّكمْ بالأسدِ الباسلِ[٢]

دوافع ظهورها وتطورها :

وقد استمرت المعارضات الشعرية امتدادا للعصر الجاهلي، ففي عصـــر صـــدر الإسلام أكثر الشعراء من المعارضات التي اتحد بحرها وقوافيها حتى يحارب كل خصـم خصمه، ولكنها صارت أقرب إلى شعر المناقضات منها إلى شعر المعارضات ؛ وذلـك لأن هذا العصر مثل ذروة الصراع بين المسلمين وأهل الشرك، وكانت المعارك دائـرة، ولم يكن الشعر بعيداً عن هذا الصراع بينهما، ويمكن ان نسمي هذا النو ع بالمعارضـات السياسية؛ لأن الشاعر لا يتجه فيها بنفسه ولبيان قوة فنه بل يركز اتجاهه إلى التغلب على مذهب خصمه والتفوق عليه في مجال الفخر والمحامد، أو في ميدان الهجاء والتنـابز[٣]. ونذكر من ذلك ما قاله الشعراء يوم بدر وقد نصر المسلمون نصرا مؤزرا ، حيث قـال ضرار بن الخطاب من قصيدة أولها:

عجبتُ لفخرِ الأوْسِ والحينَ دائرٌ عليهمْ غداً والدّهرَ فيه بصائرُ

وفخرُ بني النّجارِ إنْ كان معشرٌ أُصيبوا ببدرٍ كلّهم ثم صابـرُ

فإن تكُ قتلى غودِرَتْ من رِجالِنا فإنّا رجالاً بعـدَهمْ سنُـغادِرُ[٤]

فجاوبه كعب بن مالك قائلا:

عجبـتُ لأمـرِ اللهِ واللهُ قـادرٌ على ما أرادَ، ليـسَ للهِ قاهـرُ

قَضى يومَ بدرٍ أنْ نلاقيَ معشراً بَغوا، وسبيلُ البغيِ بالناسِ جائرُ

---

[١] عبيد بن الأبرص، الديوان: ١٢٣-١٢٦ .

[٢] إمرؤ القيس: الديوان: ١١٩ .

[٣] علي الجارم، المعارضات في الشعر العربي في صدر الإسلام، مجلة الكتاب، المجلد الثاني، مصر، ١٩٤٦: ٥٥٤.

[٤] ابن هشام، السيرة: ٥٤٢/١

وقد حَشَدوا واستنفروا من يليهم من الـناسِ، جمعـهمْ مـتكاثـرُ[١]

وقد وجدنا عدداً من المعارضات التي تثبت وتؤكد استمرارية هذا الفن وتطـوره خلال العصر الاسلامي، ومنها معارضة لعمر بن أبي ربيعة يعارض فيها جميل بثينة في قصيدته العينية التي يقول فيها :

عرفتَ مصيفَ الحي والمتربّعَا كما خَطّتْ الكفُ الكتابَ المرجعا[٢]

فعارضه عمر بن أبي ربيعة بقصيدته التي منها :

ألم تسأَلِ الأَطْلالَ والمَتربّعـا ببطْنِ حَلْيَاتٍ دوارِسَ بلـقَعـا[٣]

وقد كانت المعارضات في بدايتها تحمل طابع التقليـد والنقـض، وتحـدي الشعراء بعضهم بعضاً، وإثبات القدرة والكفاية، أو كان يغلب عليها الطابع الهجائي، فتأتي على شكل نقائض، ولكن هذه الدوافع ارتقت فيما بعـد لتصـل إلـى دوافـع الإعجاب والتقدير لآثار السابقين وترجمة ذلك بالسير على خطاهم ومحاكاة أشعارهم ومحاولة تقليدهم لإثبات مقدرتهم الشعرية، وقد تمثل ذلك في محاكـاة المعـاصرين لبعض شعراء عصرهم، أو المتأخرين لشعراء السلف، ولم يكن الإعجاب مقتصـراً على البنية الفنية للقصيدة، وإنما قد يعجب الشاعر بالفكرة التـي طرقـها الشـاعر المعارض. وقد يشترك شاعران في تجربة نفسية واحدة، فيقتفي اللاحق منهما أثـر السابق في التعبير عن أفكاره وأحاسيسه.

كما كان لمضمون القصائد أكبر الأثر في نفوس الشعراء ومحاولة تقليدهـا، كما في قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) التي نظمها في مدح الرسـول الكريـم صلى الله عليه وسلم- ومطلعها :

---

[١] ابن هشام ، السيرة : ٥٤٣/١ .

[٢] جميل بن معمر ، الديوان: ٧٩ .

[٣] محمد محي الدين، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٩٢ . بطن حليات؛ موضعان في اليمن، الدارس، الطريق الخالية. والبلقع المكان الخالي المقفر .

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ

متيمٌ إثرها لم يفد مكبول[١]

وهي قصيدة طويلة تبلغ ثمانية وخمسين بيتاً، وقد عارض فيها كعب طفيل الغنوي في قصيدته التي مطلعها :

هل حبلُ شمّاءَ قبلَ البين موصولُ

أم ليسَ للصرم عن شمّاءَ معدولُ[٢]

فقد حظيت لامية كعب باهتمام كبير من الأدباء والشعراء والعلماء في مختلف العصور حتى أصبحت هدفاً للتقليد والمعارضة؛ وذلك لأهميتها الدينية ومناسبة نظمها، فكثر المعارضون والشارحون لها. فحظيت بأكثر من ثلاثين معارضة[٣].

أما في عصر بني أمية فقد غلب على المعارضات الطابع الهجائي، فكانت إلى النقائض أقرب منها إلى المعارضات، كما في نقائض جرير والفرزدق وغيرهم. ومن ذلك ما حصل مع الفرزدق والأخطل وجرير ؛ إذ كانوا في حضرة عبد الملك بن مروان، فاحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار، ثم قال: ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسه، فأيكم غلب فله الكيس، فبدأ الفرزدق فقال :

أنا القَطِرانُ[٤] والشعراء جَرْبَى وفي القَطِرَان للجُرْبَى شفاءُ

---

[١] كعب بن زهير، الديوان: ٢٦ .

[٢] طفيل الغنوي، الديوان: ٢٩-٣٤ .

[٣] ومن الذين عارضوها أبو حيان الأندلسي (ت ٦٨٣هـ) في معارضته التي سماها: "المورد العذب في معارضة قصيدة كعب" ومطلعها :

لا تعذلاه فما ذو الحب معذول العقل مختبل والقلب متبول

والبوصيري (ت ٦٩٥هـ) في معارضته التي مطلعها :

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

وابن نباتة المصري ت (٧٦٧هـ) في معارضته التي مطلعها :

ما الطرف بعدكم بالنوم مكحول هذا وكم بيننا من ربعكم ميل

وقد وردت معارضاتها وشروحها في كتاب تاريخ المعارضات، لمحمد قاسم نوفل: ١٥٥-١٦١.

[٤] القطران: عصارة شجر الأرز والأبهل تطبخ ثم تطلى بها الابل، وهي مادة شديدة الاشتعال.

وقال الأخطل :

فـإنّ تـكُ زِقّ زاملـةٍ[١] فإنـي أنا الطاعونُ ليـسَ لـه دواءُ

وقال جرير :

أنا الموتُ الذي آتي عليكـــــم فليس لهاربٍ مني نَجـــــاءُ

فقال عبد الملك: لعمري إن الموت يأتي على كل شيء، وقضى له[٢].

أما في العصر العباسي فقد تأثر الشعراء على الرغم من حياة اللهو والترف والمدنية التي يعيشونها بالشعراء السابقين فأعجبوا بهم وعارضوهم، ومن ذلك معارضة أبي نواس لامرئ القيس في قصيدته التي يقول فيها :

رَبّ رَامٍ مِـــنْ بنَـــي ثُعْـلٍ مُتَـلِـــج كفّيهِ في قُتَرهْ[٣]

فأثرت هذه القصيدة بنغمتها الهادئة في نفسية أبي نواس فعارضها بقصيدة يمدح فيها العباس بن عبيدالله بن جعفر المنصور متتبعاً القافية والروي وحركته ونغمتها الموسيقية الهادئة، ومطلعها :

أيُّها المُنتَـابَ عـن عُفَـرِهْ لستَ من ليلى ، ولا سُمّرِهْ[٤]

كما عارض شعراء العصر العباسي شعراء السابقين لهم، كما هو الحال عند بشار بن برد إذ عارضه فحول الشعراء كأبي تمام والبحتري(ت ٢٨٤هـ)، في قصيدته الضادية التي تعد من عيون الشعر العربي لما تحمله من حكم بالغة وألفاظ جزلة رصينة ومطلعها :

غَمَضَ الحديدُ بصاحبيك فغمّضا وبقيتَ تطلبُ في الحيالةِ مَنهضا[٥]

فعارضه أبو تمام بقصيدة يمدح فيها أحمد بن أبي دواد ومطلعها :

---

[١] الزق : وعاء من جلد يجز شعره ولا ينتف ، للشرب وغيره ، والزاملة مؤنث الزامل، وهو من الدواب : الذي كأنه يطلع في سيره من نشاطه .

[٢] علي الجارم، المعارضات في الشعر العربي في العصر الأموي، الكتاب، المجلد الثاني، مصر، ١٩٤٦: ٦٨٦

[٣] امرؤ القيس، الديوان: ١٠٣-١٠٤.

[٤] أبو نواس، الديوان: ٣٨ . والمنتاب : الزائر ، والعفر : البعد وطول العهد.

[٥] بشار بن برد، الديوان: ٤/١٠٦-١٠٧ .

أَهلُوكِ أضحَوا شاخِصاً ومقوِّضَا ومزَحْماً يصف النَّوى ومغرِّضَا[١]

وتبعهما البحتري في الوزن والقافية وحرف الروي وحركته كما ضمن قصيدته بالحكم البالغة والأمثال الرائعة، ومطلعها :

ترَكَ السوادَ للابسيهِ - وبَيَّضا ونضا من السِّنِّينَ عنه ما نَضا[٢]

وقد بلغت المعارضات الشعرية أوج نضجها في العصر المملوكي والأيوبي وقد غلب عليها الطابع المدحي للسلاطين والملوك. وتنوعت المعارضات من عصر لآخر وفق ما تقتضيه طبيعة العصر والحياة الأدبية والاجتماعية وقد كانت المعارضات التي أنتجها شعراء هذه الفترة غزيرة جدا، كما كانت بعض معارضاتهم بدافع الأخوة والصداقة، ومن ذلك قصيدة لشهاب الدين الحلبي أرسلها وهو بمصر إلى صديقه تقي الدين الصالحي في الشام، وقد عبر فيها عن شوقه وحنينه ووده إليه ومزجها بنوع من عتابه العذب الرقيق، فقال :

هل عندَ من عندهمٌ بري وإقسامي علمٌ بأنَّ نواهمٌ أَصلُ آلامي

بانوا فبانَ رُقادي يوم بينهمٌ فلستُ أَطمع في طيفٍ بإلمامِ

كانت ليالِيَّ بيضا في دنوهمُ فلا تسلْ بعدهمُ عن حالِ أيامي[٣]

فرد عليه الصالح بأبيات منها :

يا ساكني مصرَ منكم ساكن الشامِ يكابدُ الشوقَ من عامٍ إلى عامِ

يا نازحينَ متى تدنو النَّوىٰ بكمَ حالتْ لبعدكمَ حالي وأيَّامي.[٤]

إذا، فقد شاع فن المعارضات وظهر في مختلف عصور الأدب العربي بعامة ولكنه كان أغزر ما يكون في العصر المملوكي فقد أولع الشعراء به وبمحاكاة التراث الأدبي القديم؛[٥] ويعود ذلك إلى مدى اطلاع أدباء هذه الحقبة على النتاج الأدبي القديم وتقديرهم له وإعجابهم به، وإلى بروز طائفة من الشعراء الفحول من شعراء العصر

---

[١] أبو تمام، الديوان: ١٠٣/٢ . قوض : فرق . وغرض : ضجر .

[٢] البحتري، الديوان: ١٩٨/٢ .

[٣] محمد قاسم نوفل: تاريخ المعارضات: ٧٢ .

[٤] السبكي، الطبقات : ٦/ ٢٣٢

[٥] االمصدر نفسه : ١٧٦.

الجاهلي والإسلامي والعباسي فقلدوهم وتأثروا بشعرهم وحاكوهم كما عمدوا إلى هذا الفن من أجل تقوية وشائج الأخوة والصداقة بين الشعراء فاتخذوه وسيلة لتبادل المدح والشكر والثناء، ولم يضاهم أحد في النتاج الشعري لمادة المعارضات إلا شعراء الغرب الإسلامي والأندلس[1]، وسنعرض لذلك في فصل مستقل لاحقاً.

من خلال ما سبق، نتبين أهمية المعارضات في الأدب، إذ عملت على تنشيط الحركة الأدبية وإغناء قاموس اللغة العربية بمفردات جديدة، ويعيد إلى الذاكرة المناسبة التي قيلت فيها هذه القصيدة بقالب فني جديد وتعبيرات وألفاظ جديدة ومناسبة، وبهذا فهو يؤكد مقدرته على الابتكار والخلق والإبداع، كما أنها تنمي روح الإبداع والمثابرة والتحدي لدى الشعراء، فعندما يعجب شاعر بقصيدة ما يسعى جاهداً لتقليدها ومنافسة صاحبها للإتيان بما يفوقه إن لم يكن بمستواه، وبذلك فهو يسعى وراء الإبداع والتفوق.

ومن فوائد المعارضة أنها تُعدُّ حكماً نقدياً للقصيدة المعارضة، فلا تكون عرضة للمعارضة إلا قصيدة تميزت وتفردت لأمر ما، يدفع من يطلع عليها إلى الإعجاب بها، وقد يصل ذلك إلى درجة الانبهار ولا يأتي ذلك الإعجاب وذلك الانبهار إلا لشيء يستحقه، وبمقدار ما تتعرض قصيدة ما للمعارضة بمقدار ما يكون ذلك شهادة نقدية لها، كما في قصيدة البردة للبوصيري[1] .

---

[1] محمد قاسم نوفل، تاريخ المعارضات: ١٧٦

[1] والتي مطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم.

فنجد أنها عورضت بأكثر من سبع عشر معارضة، فضلاً عن الشروحات حولها، والتأليفات والتخميسات والتشطيرات وغير ذلك. وممن تناولها بالمعارضة عدد من الشعراء منهم :

١ - صفي الدين الحلي بقصيدة مطلعها :

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم وأقر السلام على عرب بذي سلم[2]

٢ - تقي الدين بن حجة الحموي بقصيدة مطلعها :

لي في ابتدا مدحكم يا عروب ذي سلم براعة تستهل الدمع في العلم

٣ - ابن جابر الأندلسي ت (٧٨٠ هـ) بقصيدة منها :

أما معاني المعاني فهي قد جمعت في ذاته فبدت ناراً على علم

كالبدر في شيم والبحر في ديم والزهر في نعم والدهر في نقم

٤ - عز الدين الموصلي (ت ٧٨٩هـ) بقصيدة مطلعها :

براعة تستهل الدمع في العلم عبارة عن نداء المفرد العلم

٥ - الشيخ أحمد الحملاوي، بقصيدة مطلعها :

ومن فوائد المعارضات أنها تحقق الارتباط بين الأدب القديم والأدب الحديث، وتعمل على تمتين الروابط بين الأدباء المتقدمين منهم والمتأخرين، فتتوثق علاقة الحاضر بالماضي في بعث موضوعات الأدب وأفكاره أو لغته وأسلوبه، أو صوره. كذلك تمنح المعارضات الحركة الأدبية نشاطاً عظيماً فعندما يتنافس الشعراء وهم بين مقلد ومتفنن ومبدع يعد ذلك إثراء للأدب العربي، ثم أن هنالك التشطير والتخميس والتربيع وغير ذلك في مجال المعارضة. وهذا بدوره يزيد النتاج الشعري ويقوي الملكات، فيكثر الشارحون والمعلقون وأهل الرأي والانتصار لهذا ولذلك وكذلك الحال في المعارضات النثرية.[١]

ومن سلبياتها أنها تحصر فكر الشاعر بموضوع المعارضة فيجعل جل همه متابعة الشاعر المتقدم ومحاكاته في دقائق نتاجه دون الالتفات إلى ذاته[٢] ومشاعره وفكره الخاص.

وقد يكون الدافع الأول للمعارضة عند الكثيرين، هو إثبات شخصيتهم ومقدرتهم وتحقيق التفوق على الخصم، كما هو الحال عند أهل الأندلس، إذ جاءوا بالمعارضة لإثبات تفوقهم على المشارقة. كما كانت العلاقات الإخوانية بين الشعراء من أبرز دوافع المعارضات، وقد يكون الهجاء وتكذيب الخصم من دوافع المعارضات وهذه تعرف بالنقائض.

-- يا غافر الذنب من جود ومن كرم وقابل التوب من جان ومحترم

٦ - محمود سامي البارودي بقصيدة مطلعها :

يا رائد البرق يمم دارة العلم واحد الغمام إلى حي بذي سلم

٧ - أحمد شوقي بقصيدة مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم أحلّ سفك الدمي في الأشهر الحرم

[١] محمد قاسم نوفل، ، تاريخ المعارضات : ٣٢ .

[٢] المرجع السابق : ٣٣ .

- المعارضات الشعرية في الأندلس

- نشـــأتـــهـــا.

- عوامل ظهورها وتطورها.

- العصور التي تألق بها هذا الفن الأدبي.

- أشكالها

نشأتهـــا وتطورها :

نشط فن المعارضات - الشعرية والنثرية - نشاطا كبيرا إبـــان الحكـــم العربـــي للأندلس، فقد ازدهر وتطور وبلغ أوج نضجه، وكان لأهل الأندلس دور بارز في تطـوره والارتقاء به، فلم يألوا جهدا في متابعة المشارقة وانتهاج طرائقهم إذ تتبعوا البارزين مـــن شعرائهم وعارضوا أشهر قصائدهم، وعنـــوا بالقصـــائد ذات الموضوعـــات الهامـــة[١] كموضوعات الوصف والمدح...وغيرها.

وقد اهتم الأندلسيون بهذا الفن لدرجة أن وصل الأمر ببعضهم إلى معارضة كل ما يطرق أسماعهم من أشعار، حتى قصائد المجون والغزل الصريح، والقصائد التي تـــدور على ألسنة العامة هنا وهناك[٢]؛ من أجل إبراز قدراتهم الإبداعية واستعادة ثقتهم بأنفســـهم التي ضعفت بتقليدهم للغير، فمالوا إلى معارضة كل ما يصلهم من الشعر.

ولم يقف الأمر عند معارضة الأندلسيين للشعر المشرقي بل وجدت معارضـــات الأندلسيين لابناء جلدتهم كما وجدت معارضات المشارقة للأندلسيين[٣] .

وظهر فن المعارضات في الأندلس بعد الفتح العربي، حيـــث دخلتـــها عنـــاصر مختلفة، من عراقي، وشامي، ومصري.....الخ ، وعاشوا في هذه البيئة الجديدة غربـــاء يحملون عادات وتقاليد تميزهم عن أهل البلاد الأصليين. ويمتلكون الشعر الذي يعـــبرون فيه عن أنفسهم ويصوغونه بالأسلوب الذي اعتادوا عليه وتعلموه في المشرق، فلم تختلـف المعارضة الشعرية الأندلسية في مفهومها عما كانت عليه في المشرق إلا أنـــها نشـــطت نشاطا بارزا عند الأندلسيين؛ نتيجة لتعلقهم القوي بالمشرق، وقد وصف ابن بسام شدة هذا التعلق بقوله: (...إلا أن أهل هذا الأفق، أبوا إلا متابعة أهل المشـــرق، يرجعـــون إلـــى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غـــراب، أو طـــنّ بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على ذلك صنما، وتلوا ذلك كتابا محكما...)[٤]

---

[١] محمد قاسم نوفل، تاريخ المعارضات : ٧٥ .

[٢] المرجع السابق : ٧٥ .

[٣] منجد مصطفى بهجت، من الفتح حتى سقوط الخلافة : ٢٨٤-٢٨٧

[٤] ابن بسام، الذخيرة : ق١ م١/١٢-١٣ .

فكان المشرق هو المثل الأعلى الذي يسيرون على خطاه وينهجون نهجه، فشملت محاكاتهم له مجالات الحياة الأدبية و الثقافية كافة، ولم يقتصر تقليدهم على الشعر و النثر، فنجدهم يخلعون على شعرائهم ألقاب الشعراء المشارقة؛ لكثرة ما أخذوه عنهم في بناء قصائدهم ومعانيها. فلقب أبو العباس أحمد بن عبد الله التطيلي الأعمى بـ(معري الأندلس)[١] وأبو عبد الله بن غالب الرصافي (ابن الرومي)[٢] وابن اللبانه (سموأل الأندلس)[٣] وجعونة بن الصمة الكلابي (عنترة الأندلس)[٤].

وأطلقوا على علمائهم وأدبائهم ألقاب العلماء و الأدباء المشارقة، فابن طفيل (ابن سينا الأندلس)[٥]، والكاتب محمد بن سعيد الزجالي (أصمعي الأندلس)[٦]، كما قيل للخطيب البغدادي (حافظ المشرق)[٧]، وقد شبهوا بعض ملوكهم بالخلفاء العباسيين، فشبه المعتضد بالخليفة (المعتضد بالله)[٨] العباسي.

وكان للنثر نصيبه من المعارضة عند أدباء الأندلس فقد وضع الأدباء الأندلسيون عددا من المصنفات؛ معارضين فيها مصنفات المشارقة وتأليفاتهم، فقد ألف ابن عبد ربه كتاب (العقد الفريد) معارضا فيه ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار)[٩] كما ألف أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج الجياني كتاب (الحدائق) معارضا فيه كتاب (الزهرة)[١٠] لأبي بكر بن داود علي الأصفهاني ، وابن بسام في كتابه (الذخيرة) يحاكي الثعالبي في (يتيمة الدهر)[١١].

---

[١] ابن سعيد ، رايات المبرزين :١٢٤.

[٢] ابن سعيد ، المغرب : ٣٤٣/٢ .

[٣] المصدر السابق : ٤١١

[٤] المصدر السابق : ١٣١/١

[٥] محمد رضا، أدب المغاربة والأندلسيين : ١٣

[٦] المرجع السابق : ١٣

[٧] المرجع السابق : ١٣

[٨] المرجع السابق : ١٣

[٩] ابن عبد ربه، العقد : مقدمة المحقق .

[١٠] ابن بسام، الذخيرة : ق١م١/١٣

[١١] المصدر السابق: ٣٢

كما عارض الأندلسيون مقامات المشارقة، فعارض ابن شهيد مقامات بديع الزمان برسائل على غرارها، وألف السرقسطي الاشتركوني المقامات اللزومية معارضا مقامات الحريري، كما عمل الوزير أبو الوليد بن عبد العزيز المعلم مقامات أندلسية عارض بها مقامات الهمذاني والحريري، وعمل الفتح بن خاقان مقامة على ابن محمد البطليوسي تسمى (المقامة القرطبية)[١] وغير ذلك.

واستعار الأندلسيون أسماء المدن المشرقية وأطلقوها على مدنهم وحواضرهم لما بينها من تشابه، فقد شبهوا إشبيلية بحمص، وغرناطة بدمشق، وقد فسر ابن سعيد سبب تسميتها بقوله: وأنا أقول : (....إنها سميت دمشق الأندلس أحسن من دمشق لأن مدينتها مطلة على بسيطها، متمكنة في الإقليم الرابع المعتدل، مكشوفة للهواء من جهة الشمال مياهها تنصب إليها من ذوب الثلج دون مخالطة البساتين والفضلات...)[٢].

ولو تتبعنا المعارضات الشعرية الأندلسية منذ ظهورها لوجدناها في فترة ما بعد الفتح، أي في العصور الأندلسية الأولى وهي: عصر الولاة، والإمارة، وما تلاهما حتى نهاية القرن الرابع الهجري، قليلة لا تكاد تذكر، إذ كان الأدب بعامة مجرد تقليد للأدب المشرقي،وما زالت الأنظار متجهة إلى المشرق والقلوب متعلقة به، وما برح هو المثل الأعلى والقدوة التي يقتدى بها، فكان لهذا الارتباط الوثيق بالمشرق أكبر الأثر في قلة الشعر الذي يمثل مادة المعارضات آنذاك فكانت معانيهم وأساليبهم مشرقية[٣]، وكان الشعر عندهم محاكاة وتقليدا فلم يكترث الشعراء بفن المعارضات، ولم يولوه عناية واهتماما إلا ما ندر؛ لأن روح التنافس والتحدي والرغبة في إنتاج أدب مستقل يبرز معالم الشخصية الأندلسية، لم يكن قد تولد عندهم بعد، بل إن الناظر في شعر العصور الأندلسية الأولى يجده شعرا مشرقيا خالصا، بل يصعب في كثير من الأحيان التمييز بين قائليه أهُم أندلسيون أم مشارقة؟ وذلك لأن قائليه من العرب الفاتحين ذوو ثقافة عربية مشرقية، فجاءت أشعارهم مشرقية في روحها وألفاظها واتجاهاتها، كما كان الأندلسي ينظر إلى عبارة المشرق نظرة مثالية فيها كثير من الاعتزاز والرغبة بعدم الابتعاد عن تقاليدهم المعتادة؛ وذلك لأن الأساس الأول في الأدب والثقافة الشرقية والأندلسية هو القرآن

---

[١] ابن بسام، الذخيرة : ق٢م٢/:١١٣-١٢٠.

[٢] ابن سعيد، المغرب: ٢/١٠٢-١٠٣.

[٣] حنا فاخوري، تاريخ الأدب العربي: ٧٩٧ .

الكريم، وعلوم الدين، واللغة، والشعر الجاهلي[١]، فضلا عن أن العناصر البشرية التي صنعت الأدب والشعر المشرقي هي نفسها التي نقلته إلى المغرب والأندلس[٢]؛ لذا فقد عمقت نزعة التقليد وسيطرت في نفوس الأندلسيين الأوائل فلم يبرز منهم في مجال المعارضة إلا القليل، وفوق ذلك لم تكن لديهم كتب ودواوين خاصة بهم تحفظ أشعارهم وأخبارهم بل كانت قطعا مبثوثة ومتناثرة في بطون كتب التراجم والتاريخ والمصادر القديمة، وقد أشار إلى ذلك الدكتور إحسان عباس عندما قال: (...فهذه الفترة لم تصلنا دواوين شعرائها، وكل ما نملكه من الشعر الأندلسي الذي يمثلها قطع مبثوثة في كتب التاريخ والتراجم،وقطعة لعدد من الشعراء أوردها الثعالبي في اليتيمة...)[٣].

إلا أن ندرة نتاجهم من هذا الفن لم يحل بيننا وبين العثور على بعض النصوص الشعرية التي تمثل مادة المعارضات الأندلسية آنذاك .

فها نحن نجد الحكم الربضي[٥] يتغزل بجواريه قائلا:

قُضُب من البانِ مَاسَتْ فوق كُثْبانِ

أعْرَضْنَ عَنّي وقد أزْمَعْنَ هِجْرَاني[٥]

ناشَدتُهُنّ بِحقّي فاعتَزَمْنَ على

الهِجْرانِ حتّى خَلاَ مِنْهنّ هيماني

مَنْ لي بُمغْتَصباتِ الرُّوحِ من بدَني

غصبنَني في الهَوَى عِزّي وسُلْطَاني[٦]

وهو بذلك ينظر إلى أبيات مشرقية منسوبة إلى هارون الرشيد يتغزل فيها بجواريه، حيث قال:

---

[١] نافع محمود، اتجاهات الشعر الأندلسي:١٠٠.

[٢] المرجع السابق : ١٠٠.

[٣] الكتاني، التشبيهات : ١٣-١٤.

[٤] هو أبو العاصي الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالحكم الربضي، ثالث سلاطين بني أمية، ولد عام ١٥٤هـ وتوفي عام ١٨٠هـ. ترجمته في المغرب لابن سعيد ٣٩/١ والحلة السيرا لابن الأبار: ٤٧/١.

[٥] ماست: تحركت .

[٦] المراكشي، البيان المغرب : ٧٩/٢ ، ولسان الدين، الإحاطة : ٤٨٩/١.

مَـلَك الثـلاثُ الآنـسـاتُ عِنَـانـي

وحَـلَلْنَ مـن قلبـي بكـلِّ مـكـانِ

مالـي تُطَـاوِعُنـي البـريـة كُلُّـها

وأطيعُهُـن وهـنَّ فـي عِـصْيَـانى

مـا ذاك إلاَّ أنَّ سـلطـان الـهَـوى

وبـه قَويـنَ أعـزُّ مـنْ سلطانـي[١]

وعند الموازنة بين المقطوعتين نجد تشابها في الغرض والقافية والروي؛ ولكنـهما تختلفان في الوزن فجاءت المعارضة غير تامة.

ويذكر أن الأمير عبد الرحمن[٢] قد أمر لجاريته (طروب) بعقد يقدر بعشرة آلاف دينار، فجعل بعض من حضر من حاشيته يعظم ذلك عليه فردهم وقال: إنَّ لابس العقـد أنفس خطرا وأرفع قدراً، ثم دعا بعبد الله بن الشمر[٣] شاعره وقال له هل يحضرك شيء في تأكيد ما احتججنا به؟ وأطرق برهة ثم قال:

أتُقْـرَنُ حَـصْبَاءُ اليَـواقِيـتِ والشَّـذْر

بِمَنْ يَتَعَالَـى عـن سَنَا الشَّمْسِ والبَـدْرِ[٤]

بِمَنْ قَـدْ بَـرَتْ قِدْماً يَـدُ اللهِ خَـلْقَـهُ

---

[١] الضبي: بغية الملتمس:٢٦.

[٢] هو الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، يكنى أبا المطرف ولد بطليطلة ، واستمرت دولته إحدى وثلاثون سنة، توفي بقرطبة عام ٢٣٨هـ. ترجمته في البيان المغرب للمراكشي:١٢/٢ والمغرب لابن سعيد:٤٥/١، والحلة السيراء لابن الابار:١٩٧/١

[٣] هو عبد الله بن الشمر بن نمير القرطبي منجم سلطان الأندلس عبد الرحمن بن الحكم ونديمه كان متفننا في العلوم جيد الشعر. ترجمته في المغرب لابن سعيد:١٢٤/١

[٤] الحصباء: صغار الحجارة. اليواقيت جمع الياقوت: وهو حجر من الأحجار الكريمة، وهو أكثر المعادن صلابة بعد الماس ولونه في الغالب شفاف مشرب بالحمرة أو الزرقة أو الصفرة يستعمل للزينة. والشذر: قطع الذهب تلتقط من معدنه، وقيل الشذر خرز يفصل بين حبات العقد ونحوه.

ولـم يـكُ شيئـاً قـبلـهُ أبـداً يبـري

فأكـرِمْ بـه منْ صنعـةِ اللهِ جَوْهَـرا

تضـاءَلَ عنـه جَوْهَـرُ البـرِّ والبحرِ[1]

فأعجب الأمير بالشعر وأنشد مرتجلا:

قريضُكَ يا ابن الشَّمْرِ عفَّى على الشعرِ

وجـلَّ عن الأوهـامِ والذهـنِ والفكـرِ

إذا شافـهتْـهُ الأذن أدَّى بسـحـرِها

إلى القلـبِ إبـداعاً فجـلَّ عـن السحرِ

وهل برَأَ الرحمنُ مـن كـلِّ ما بـرأ

أقـرَّ لـعيـنٍ مـن منـعمـةٍ بـكـرِ

تـرى الوردَ فوقَ الياسمـينِ بخـدِّها

كمـا فوّقَ الرَّوضُ المـنعَّمُ بالزهـرِ

فلـوْ أنّنـي مَلَكـتُ قلبـي وناظري

نظمتُهمَـا منـها على الجيـدِ والنحـرِ[2]

وقد كان الدافع وراء هذه المعارضة الإعجاب، إذ أعجب الأمير بمقطوعة الشاعر عبد الله بن الشمر وعارضها بمقطوعة تبعه فيها بـالوزن والقافيـة والـروي، فجـاءت المعارضة تامة الأركان.

ولعل ابن عبد ربه[3] وهو من شعراء القرن الرابع أول من صـرح باسـتخدامه لمفهوم المعارضة ؛ إذ قال مما عارضت به صريع الغواني[4] في قوله:

---

[1] المراكشي، البيان المغرب: ٢/٩٢.

[2] المصدر السابق : ٢/٩٢.

[3] هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن سالم القرطبي، صاحب كتاب (العقد الفريد)، ولد عام (٢٤٦هـ وتوفي عام ٣٢٨هـ. ترجمته في جذوة المقتبس للحميدي: ٩٤، وبغية الملتمس للضبي:١٣٧، ووفيات الأعيان لابن خلكان:١/١١٠.

[4] هو مسلم بن الوليد من أهل الكوفة لقب بصريع الغواني لقوله: (تركتني لدى الغواني صريعا)، دخل قصور الأمراء واتصل ببلاط الخلفاء ونال حظا وافرا من الأعطيات والأرزاق، توفي عام ٢٠٨هـ. ترجمته في ديوان صريع الغواني، مقدمة المحقق : ١١ .

أديرا عليَّ الرّاح لا تَشْرَبا قَبلي

ولا تطلُبا من عنْدِ قاتلتي ذَحلي[١]

فيا حَزَني أنّي أموتُ صَبابةً

ولكنْ على مَنْ لا يحلُّ لهُ قتْلي[٢]

فقلت على رويه :

أتقتُلني ظُلماً وتجحَدُني قتلي

وقد قام من عينيكَ لي شاهِدا عَدلِ؟

أطُلاّبَ ذحلي ليس بي غيرُ شادنٍ[٣]

بعينيه سحر فاطلبوا عنده ذَحلي

حتى يختمها بقوله:

فإن كنتَ مقتولاً على غيرِ ريبةٍ

فأنتَ الذي عرَّضت نفسك للقتلِ[٤]

ويبدو من تعليقه على هذه المعارضة أنه عارضه بدافع اظهار التفوق والإبداع، عندما قال مفتخرا : (من نظر في سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه لم يفضله شعر صريع الغواني عنده إلا بفضل التقدم)[٥]. على الرغم من أن الدافع العام وراء المعارضات في العصور الأولى هو التقايد ومجاراة أهل المشرق.

---

[١] الذحل:الثار.

[٢] ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣٩٨/٥-٣٩٩.

[٣] الشادن: ولد الظبية.

[٤] ابن عبد ربه، الديوان: ٢٠٨ ، والعقد الفريد: ٣٩٨/٥-٣٩٩ ، والثعالبي، يتيمة الدهر: ٦١٢/١.

[٥] ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣٩٨/٥-٣٩٩.

وقد عني شعراء الأندلس في هذه الفترة بقصائد المديح عناية كبيرة؛ طمعا في نيل رضا الممدوح وما يغدقه عليهم من العطايا والأرزاق، فعادوا إلى التراث القديم ينهلون من معينه الذي لا ينضب، فأخذوا يتخيرون شعر القدامى وينسجون على منواله اعترافا بأستاذيتهم وتقديرا لأدبهم وشعرهم، فنالت قصائد المدح عند المتنبي مكانة عظيمة في مجال المعارضة الشعرية، فعارضه من شعراء القرن الرابع الهجري أبو المغيرة [١] (٤٣٨هـ) بقصيدة مدح بها المنصور بن أبي عامر، ومنها:

أمِنَ البراقِ التاحَ برقٌ ما سرى
إلاّ وردَّ الأفقَ مرطا أحمرا[٢]

أتبعتُهُ نَظَرَ المشوقِ بمقلةٍ
لَمْ تَدْرِ مُذْ عَهْدُ الأثيلةِ ما الكرى[٣]

عاينتهُ كالصقر صفق طائراً
فغدت غرابيب[٤] الدياجي نفّرا

ومنها:

ومشيتُ منساباً فقلْ في أرقَم
وضَحَ النَّهارُ له فعاد غضَنْفرا[٥]

ومنها:

إلاّ ترى المنصور تحت لوائه
تَلْقَ ابنهُ طلْقَ الجبينِ مُظفرا[٦]

أو لا تجد في الحفل عاقد حبْوةٍ
هُوداً فإنّا قد وجدنا حِمْيرا[٧]

---

[١] هو عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم، توفي عام ٤٣٨هـ، كان شاعرا وناثرا فطنا وذكيا. ترجمته في الذخيرة لابن بسام: ق١م١/١٣٢ ، والمغرب لابن سعيد: ١/٣٥٧.

[٢] المرط : كساء من خز وصوفاً أو كتان يؤتزر به وتتلفع به المرأة .

[٣] أثل الشيء: تأصل وتقدم. والكرى: النعاس والنوم.

[٤] الغرابيب جمع غربيب: وهو شديد السواد.

[٥] الغضنفر : الأسد. الأرقم : ذكر الحيات .

[٦] المظفر : الذي يظفر بكل ما يريد.

[٧] ابن بسام، الذخيرة: ق١م١/١٧٩-١٨٠.

معارضا بها المتنبي في قصيدته التي مدح بها ابن العميد، ومطلعها:

بادِ هـواكَ صـبرْتَ أمْ لم تَصْبـِرا

وبكاكَ إنْ لَمْ يَجْـرِ دَمْعـُكَ أو جرى[١]

ولو وازنا بين القصيدتين لوجدنا تشابهاً في الوزن والقافية والـروي والغـرض فتحققت فيها مقومات المعارضة التامة.

ومن معارضات الأندلسيين فيما بينهم مقطوعة لأبي علي بن إدريس العبـدري[٢] في وصف حمامة، قال فيها:

ورقـاً مـطوقـةً السوالـفِ سندسـاً

لم يـحكِ صنعتـها حـياكـةُ حـاكِ[٣]

تشدو على خُـضْرِ الغصون بألسـنٍ

صبغـتْ مـلاثمهـا بـلا مـسـواكِ

وكـأنَّ أرجلها القـوانـي[٤] أُلْبِسَـتْ

نَـعْـلاً مـنَ المرجـانِ[٥] دون شـراكِ[٦]

فعارضه أبو الربيع القضاعي[٧] قائلاً:

زعِـمَ العبيـرُ بـأنـه حـاكـاكِ كذَبَ العبيرُ وما حكى رياكِ[٨]

---

[١] المتنبي، الديوان:٢/٢٦٤-٢٨٠.

[٢] هو الأديب أبو علي إدريس بن اليماني العبدري اليابسي قال فيه ابن سعيد: (صار شعره سمر النادي ومقلة الحادي، وتمثل الحاضر والبادي، وطفق يتردد على ملوك الأندلس تردد الكاس على الشرب...) ترجمته المغرب لابن سعيد : ١/٤٠٠.

[٣] الورقاء: الحمامة. السالفة: جانب العنق وما تقدم منه والجمع سوالف. والسندس: ضرب من رقيق الديباج.

[٤] قنا لون الشيء قنواً: احمر فهو قانٍ.

[٥] المرجان: جنس حيوانات بحرية من طائفة المرجانيات لها هيكل وكلس أحمر يعد من الأحجار الكريمة.

[٦] ابن بسام، الذخيرة : ق٣م١/٣٤٥.

[٧] هو الأديب الكاتب سليمان بن أحمد القضاعي من قدماء الأدباء أيام المعتمد الخليفة المرواني، ومن كتاب العصر المتصرفين في النظم والنثر، وكلامه يجمع بين الحلاوة والجزالة. ترجمته في المغرب لابن سعيد: ٢/٤٢٣.

[٨] العبير: أخلاط من الطيب. والريا: الريح الطيبة.

هذا شميمك فليهبّ نسيمُهُ حتى تبينَ مقالةُ الأفاكِ
وإن ادعى ريم الفَلاة بأنّ في عينيهِ لمحةَ عينكِ السّفاكِ[1]

وقد تعرضت مقطوعة العبدري هذه إلى العديد من معارضات الأندلسيين لها، فعارضها ابن هارون الرمادي، وأبو مروان المعروف بابن البلينة وغيرهم[2]، وقد علق ابن بسام على وصف العبدري بقوله: (وأجاد ما أراد وزاد)[3]

ولو وازنا بين المقطوعتين السابقتين لوجدنا اتفاقا في الوزن والقافية والروي والموضوع. فالمعارضة بينهما تامة صحيحة الأركان.

وبعد، يمكننا أن نعد الفترة الزمنية المتمثلة من بداية الفتح العربي للأندلس وحتى نهاية القرن الرابع الهجري، المرحلة الأولى التي انطلق منها فن المعارضات في الأندلس إلى الظهور ونسميها (مرحلة النشأة والظهور) وقد اتسمت بطابع التقليد والمحاكاة للمشرق تقديرا وتمجيدا لأدبه، فصبغت بالصبغة المشرقية في البناء والمعنى، ولا بد من توافر دوافع هامة ورئيسية أدت إلى ظهور هذا الفن في الأندلس وتطوره وازدهاره في العصور الأندلسية المختلفة.

- عوامل ظهورها :

إن الباحث في فن المعارضات الشعرية يجد أن هناك علاقة وثيقة تربط بين المعارضات والأندلس! وأن هذا الفن قد نما وتطور وبلغ أوج نضجه واكتماله في عصر الموحدين.

ولا بد من وجود عوامل حقيقية أدت إلى ذلك، وساعدت على نموه وازدهاره، وجعلت منه ظاهرة تستحق البحث والدراسة.

وعند النظر في هذه العوامل نجدها تقسم إلى قسمين:

---

[1] ابن بسام ، الذخيرة : ق٣ م١/٣٤٥.

[2] المصدر السابق : ٣٤٥-٣٤٨.

[3] المصدر السابق : ٣٤٥.

أولا: العوامل العامة:

ونقصد بها تلك الدوافع التي تتخذ طابعا جماعيا؛ أي التي يشترك فيها جماعة من الشعراء الأندلسيين الذين يولون عناية واهتماما بالشعر الأندلسي والمشرقي معا، والذي يدفعهم إلى تحقيق المعارضة دافع مشترك بينهم؛ فقد اتجه شعراء الأندلس بشكل عام الى المعارضة من أجل تحقيق التفوق والإبداع على ما جاء به شعراء المشرق.

فقد كان التنافس القائم بين الشعراء الأندلسيين من أبرز العوامل التي أدت إلى ظهور فن المعارضات الأندلسية، فقد شهد الأندلس تنافسا قويا بين شعراء الأندلس والمشرق من جهة، وبين شعراء الأندلس فيما بينهم من جهة أخرى، إذ انقسم الشعراء الأندلسيون إلى قسمين: قسم رأى في الشعر المشرقي المثل الأعلى فحذا حذوه في كل صغيرة وكبيرة وكان مقلدا له في كل شيء، ويتمثل هذا عند شعراء الأندلس حتى نهاية القرن الرابع ومطلع القرن الخامس الهجريين، وقسم آثر الحرية والاستقلال ورغب في إنشاء أدب مستقل يبرز معالم الشخصية الأندلسية ويدعو إلى الابتعاد عن التقليد، ويتمثل ذلك عند شعراء القرن السادس ومن سبقهم بقليل من شعراء القرن الخامس الهجري، وقد كان موقف كلا الطرفين دافعا قويا للنظم في مجال المعارضة، وبذلك نستطيع تقسيم الدوافع العامة إلى ما يلي:

أ-الإعجاب والتقليد:

ويتمثل في تقدير الأندلسيين للمشارقة واتجاههم وتطلعهم للمشرق وتقليده في كل شيء؛ لأنهم يعدونه الوطن الأم الذي نزحوا منه فاتسم أدبهم بالسمة المشرقية، كما يظهر من أقوال الأندلسيين أنفسهم، ومنهم ابن بسام الشنتريني حين قال: (....إن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق...)[1] ومعنى كلام ابن بسام هذا أنهم بالغوا في تقليدهم للمشرق حتى وصل حد التقليد الأعمى.

ومنهم ابن حزم الأندلسي ت (٤٦٥هـ) الذي قال : (.....ولقد عرض لي في الصبا هجر مع بعض من كنت آلف على هذه الصفة، وهو لا يلبث أن يضل ثم يعود، فلما كثر ذلك

---

[1] ابن بسام، الذخيرة : ق١م١/١٢-١٣.

قلت على سبيل المزاح شعرا بديها ختمت كل بيت منه بقسم من قصيدة طرفة بن العبد المعلقة....) وهي:

تذكّرتَ وداً للحبيب كانهُ (لخولةَ أطلالٌ ببرقةِ ثمهدِ)
وعهدي بعهد كان لي منه ثابت (يلوحُ كباقي الوشم في ظاهرِ اليدِ)
وقفت به لا موقنا برجوعهِ (ولا آيسا أبكي عليه إلى الغدِ)
إلى أن أطالَ الناس عذلي وأكثروا
(يقولون: لا تهلك أسىً وتجلد)[1]

وهذا النهج يعد تقليدا واضحا للمشرق، ولكن لا يمكن رد ذلك إلى عدم مقدرة الأندلسيين على الإبداع، وإنما لهذا التشابه والتقليد بواعث نفسية، ودينية، وسياسية، فقد فتح الأندلس وتولى حكمها عرب مشارقة تحت راية الإسلام والعروبة ومركزها الديني والحضاري والسياسي المشرق فتولد لدى الأندلسيين إحساس عميق بالانتماء إلى مركز الحضارة الإسلامية والأماكن المقدسة، كما كان تفوق المشرق على الأندلس ثقافيا وعلميا وحضاريا باعثا قويا بالتواصل الأندلسي معه.

وقد كان وضع العرب الأندلسيين في الفترات المبكرة من تاريخ الأندلس يدعو إلى التقليد إذ وجدوا أنفسهم في مغتربهم القصي يعيشون في مجتمع غريب يطغى عليه العنصر الأعجمي فأحسوا بالغربة والوحشة وكان ذلك دافعا قويا للتوجه إلى الوطن الأم ، وكانت أوضاعهم السياسية والاجتماعية و الاقتصادية مضطربة وغير مستقرة فلم تتكون لديهم المثل الأندلسية الخاصة بهم، كما كان لوجود النصارى إلى جانبهم والحروب الدامية التي دارت بين الطرفين أكبر الأثر في اشتعال العاطفة الدينية والحرص على التشبث بالتقاليد الإسلامية والالتفات إلى مهد الدين الإسلامي؛ ولهذا كله تمسك الأندلسيون بالتقاليد المشرقية وعمدوا إلى محاكاتها وتقليدها[2]. وبهذا كان الإعجاب هو المحك الأول لفكرة المعارضة والمحاكاة للغير.

وكان من مظاهر هذا التقليد أن طبع الشعر بالطابع المشرقي ولا سيما في العصور الأولى. وقد نجم عن ذلك آثار سلبية خطيرة تجلت في انتقاص الأندلسيين لأنفسهم واستخفافهم بقدراتهم فراحوا ينتقصون كل أندلسي ويعظمون كل مشرقي، ولم يبادلهم المشارقة بمثل هذا التقدير والتمجيد بل تملكتهم نزعة الاستعلاء والفوقية ونظروا للأندلسيين نظرة استخفاف واستهانة.

---

[1] ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة: ١٠٠-١١٠.

[2] جمانه رجب باشا، الأندلسية وأثرها في أدب الأندلس: ٧٤.

ب- التفوق والإبداع:

رفض الأندلسي أن يبقى عالة على ثقافة المشرق، وأبى أن يتهم بعدم المقدرة على التفوق والإبداع، فدفعه إحساسه بذاته وثقته بنفسه وقدراته إلى رغبة قوية لتحقيق التفرد والاستقلال عن أدب المشرق، وكان ذلك من الآثار الإيجابية للتقليد، فقاده ذلك إلى مواجهة جريئة للشخصية المشرقية ومنازعتها في أدبها وثقافتها وفكرتها ومحاولة التفوق عليها واثبات قدراته الإبداعية، فعمدوا إلى تخليص أدبهم من تهمة النقص وعدم المقدرة على التميز والإبداع الملصقه به، فانكب الشعراء على قصائد غيرهم من السابقين مقتفين آثارهم الشعرية، ويقدر إبداع الشاعر بقدر ما يظهر في قصيدته من ملامح شخصيته وبقدر ما يبتعد فيها عن التقليد والنقل والاقتباس.

ومما يؤكد قدرة الأندلسيين على الإبداع أيضا أنهم استطاعوا أن يتخيروا أشهر القصائد المشرقية ويعارضوها بقصائد قد يتفوقون على المشارقة فيها أحيانا، وهذا إنما ينبئ عن ثقافة أدبية واسعة وحسن الاطلاع على الأدب المشرقي من هنا تتولد فكرة المعارضة والمحاكاة للغير.

واتجه الأدباء الأندلسيون إلى العمل على توثيق الأواصر بين الشعراء والأدب والبيئة الأندلسية؛ عن طريق الدعوة إلى الاهتمام بالأدب الأندلسي والشعراء الأندلسيين أيضا، والابتعاد عن التقليد والمحاكاة، فكان التقليد ومحاكاة الأوائل من أبرز الدوافع التي ساقت شاعرية الشاعر الأندلسي إلى تحقيق التفوق والإبداع، وكان من أبرز الدوافع التي ساعدت على تطور فن المعارضات وازدهاره في الأندلس.

جـ. عوامل إجتماعية وسياسية ومنها:

- اهتمام حكام الأندلس بالأدب والأدباء:

ومن أهم العوامل التي ساعدت على تطور فن المعارضات الأندلسية أيضا، أن حكام الأندلس كانوا يشجعون الأدباء والشعراء ويحثونهم على معارضة المشارقة؛ وكان الهدف سياسيا؛ فحين يكلف حاكم او امير أندلسي شاعرا بمعارضته شاعر مشرقي، فإنه فإنه ينسب لشاعره التفوق على المشرقي وبذلك يكون عزز ملكه بشاعر متميز يفوق شعراء ملوك المشرق، هو بذلك يزرع الثقة في نفوسهم ومنحهم القدرة والجرأة على تحطيم حواجز الخوف والرهبة التي كانت تحول بين بعض الشعراء وبين مقدرتهم على محاكاة المشارقة، فقد كان بعض

الشعراء يتهيبون من معارضة الشعر المشرقي؛ احتراما وإجلالا لكبار الشعراء المشارقة، ومن ذلك مـــا أورده ابن بسام عن صاعد الأندلسي[١]، إذ طلب منه المنصور بن أبي عامر معارضة قصيدة أبي نـواس (أجاره بيتينا)، فأعرض عن ذلك إجلالا لأبي نواس، وبعد إلحاح المنصور عليه أنشده:

إنـــي لمستحـــيٍ عـــلا ... كَ من ارتجالِ القولِ فيه

مَنْ ليس يَدرَكُ بالرَّويـــ ... ـةِ كيف يُدرَكُ بالبديـــه

فلم يشفع له ذلك عنده، وجاءه في اليوم التالي وأنشده قصيدته التي مطلعها:

خدالُ البُرىٰ إني بكنَّ بصيرَ ... طوتكنَّ عني خُلْسَةٌ وقتيرُ[٢]

فإن تهرب صاعد من معارضة أبي نواس يبرز شعورا بالرهبة مسيطرا عليه ومتمكنا من نفسه، كما ينبئ عن تقديره وإجلاله لعبقرية أبي نواس وقدره، أما إلحاح المنصور ورغبته في معارضة صاعد لأبي نواس فهو دليل واضح على تشجيع الخلفاء والحكام الأندلسيين على التفوق والإبداع ومجاراة أهل المشرق، وإن كان صاعد قد تهيب من مجاراة المشارقة فإن العديد من الشعراء الأندلسيين تجرؤا وعارضوهم.

ويتبين لنا من طلب المنصور بن أبي عامر هذا، عـــامل هـــام ادى الـــى ظـــهور فـــن المعارضات وتطوره؛ فهو أن حكام الاندلس اتخذوا المعارضة اسلوبا اختبـــار أصالـــة الشـــاعر وجودة طبعة ومقدرته الفنية.

ـ الدفاع عن الأدب الأندلسي وإثبات شخصيته :

ومن دوافع المعارضة أنها تأتي دفاعا عن الأدب الأندلسي وما يوجه إليه مـــن التـــهكم والسخرية في مجالس الملوك، ومن ذلك ما أورده المقري من أن الحميدي أنشده بحضرة بعـــض ملوك الأندلس قطعة لبعض أهل المشرق، وهي:

وماذا عليهم لو أجابوا فسلَّمـــوا ... وقد علموا أنّي المشُوقُ المتيَّـــمُ

سرَوْا ونجومُ الليل زُهْرٌ طوالعٌ ... على أنهم بالليل للنـــاس أنجـــمُ

وأخفوا على تلك المطايا مسيرهم ... فنمّ عليهم في الـــظلام التبسُّـــمُ[٣]

---

[١] هو صاعد بن الحسن بن عيسى، طلع على آفاق الجزيرة في أيام المنصور بن أبي عامر نجما من المشرق عرب، ولسانا من العرب أعرب. ترجمته في الذخيرة لابن بسام ق٤ م١ /٨ ، وجذوة المقتبس للحميدي: ٢٣٣.

[٢] ابن بسام، الذخيرة: ق٤ م١/٢٢. والخدال جمع خدل: وهو الممتلىء التام. وخلس الشيء خلسا: استلبه في نهزة مخاتلة. والقتر: ضيق العيش.

فعلق أحد الحاضرين قائلا: وهذا ما لا يقدر أندلسي على مثله، وكان بالحضرة أبو بكـــر يحي بن هذيل [1](ت٣٨٩هـ) فأثر ما سمعه في نفسه، فقال على البديهة مدافعا عن أدبه مظـــهرا قدرته على مجاراة المشارقة والتفوق عليهم:

عرفتُ بعرف الريح أين تيمّموا ... وأين استقلّ الظاعنون وخيّموا

خليليّ ردّاني إلى جانبِ الحمى ... فلستُ إلى غير الحمى أتيمّـــمُ

أبيتُ سميرَ الفرقديـــن[2] كأنّمـــا ... وسادي قتادٌ[3] أو ضجيعي أرقمُ[4]

وقد دفعته غيرته على أدبه إلى تحقيق التفوق على خصمه، فقد فاق ابن هذيل أبا نـــواس بطول نفسه في القصيدة إذ بلغت ضعف قصيدة أبي نواس، إلا أن التفوق لم يكن دائمـــا حليفـــا للشاعر الأندلسي فقد يخفق في كثير من الأحيان في معارضته للخصم.

ثانيا: العوامل الخاصة:

وتختلف العوامل الخاصة عن العامة في أن المعارضة تتخذ فيها طابعا فرديا، فتصـــدر عن إعجاب مفرد، كأن يأتي نتيجة إعجاب أحد ملوك الأندلس، أو أمرائها، أو حكامـــها بقصيـــدة ما، فيأمر أحد الشعراء بمعارضتها، ويشترك فيها الشعر الأندلسي والمشرقي؛ لأن الإعجاب قـــد يكون بقصيدة مشرقية أو أندلسية، ومنها ما حدث مع المنصور بن أبي عـــامر عندمـــا أعجـــب بقصيدة لأبي نواس التي مطلعها:

---

[3] المقري، النفح: ١٥٣/٣ .

[1] تميمي النسب، قرطبي يكني أبا بكر، كان شاعرا مجيدا ولد عام ٣٠٥هـــ، وقد طال عمره وكف بصره، وتوفي عام ٣٨٩هـــ. ترجمته في التشبيهات للكتاني: ٣١٥.

[2] الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريبا، ولذا يهتدى به وهو المسمى (النجم القطبي)، وبقربه نجم آخر مماثل له أصغر منه؛ وهما فرقدان.

[3] القتد: نبات صلب له شوك كالإبر. والأرقم: ذكر الحيات أو أحبثها.

[4] المقري، النفح: ١٥٤/٣.

أجارةَ بَيْتَيْنَا أبــوك غيــورْ وميسورٌ ما يَرجى لديك عسيرُ[١]

فأمر ابن دراج القسطلي[٢] بمعارضتها، فقال قصيدة مطلعها:

دعى عزماتِ المستضام تسيرُ فتتجدُ في عُرضِ الفلاَ وتغورُ[٣]

فقد نتجت هذه المعارضة عن اعجاب مفرد وهو المنصور بن أبي عامر، وعارضها ابن دراج بناء على طلبه.

وقد تأتي المعارضة عن إعجاب الشاعر نفسه كأن يعجبه الموضوع او البنية الفنية لقصيدة ما. فيعارضها بدافع الإعجاب الشخصي له - وهذا الغالب على شعر المعارضات-، أو كان يشترك بتجربة نفسية مع شاعر سابق له فيجد في قصيدته ما يعبر عن معاناته، ومن ذلك ما حدث مع أبي بكر الإشبوني[٤] في قصيدته التي قالها وهو أسير عند الإسبان ومطلعها:

وليلٍ كهم العاشقينَ قمــيصَــهْ ركبتُ دياجيهِ ومركَبَها وعــرُ

فقد عارض فيها قصيدة أبي فراس الحمداني التي قالها وهو أسير عند الروم ومطلعها:

أراكَ عصيّ الدمع شِيمتَكَ الصبرْ أما للهوى نهيٌّ عليكَ ولا أمرْ

وقد كان للطبيعة الأندلسية بما حباها الله من جمال دور بارز في تطور فن المعارضــات وازدهاره، فقد كان الشعراء يتبارون في وصفها، مما ساعد على ظهور الكثير من المقطوعــات في وصف الطبيعة، وما يعرف بالمجاوبات والمراسلات والإجــازات والمطارحــات الشــعرية وهذه كلها من صور المعارضات.

---

[١] أبو نواس، الديوان: ٤٨-٤٨٣.

[٢] هو الأديب أبو عمر أحمد بن دراج القسطلي من شعراء المنصور ابن أبي عامر، لقب بالمتنبي، وهو أحد شعراء الأندلس الفحول، كان مجيدا للنظم ، ولد عام ٣٤٧هـ . وتوفي عام ٤٢١هـ، ترجمته في الذخيرة لابن بسام: م١ق١/ ٥٩، والمطرب لابن دحية: ١٥٦، والمغرب لابن سعيد :٢/٦٠.

[٣] ابن دراج القسطلي، ديوانه : ٢٩٧-٣٤٠.

[٤] هو أبو بكر محمد بن سوار الأشبوني، كان معاصرا لابن بسام صاحب كتاب الذخيرة، وقال ابن بسام فيه: (كان في وقتنا واحد عصره). ترجمته في المغرب لابن سعيد: ١/٤١١، والمحمدون من الشعراء للقفطي: ٣٥٩.

العصور التي تألق فيها هذا الفن الأدبي :

بعد مطلع القرن الخامس الهجري بدأ الأندلسي يشعر بالوطن الجديد والبيئة الأندلسية بطبيعتها الجذابة من حوله، وكان ذلك بداية إحساسه بحبه لها وأخذ تعلقه بها يشتد ويقوى، فانصب اهتمام الشعراء على البيئة الأندلسية الجديدة يمثلونها في أشعارهم، ويعبرون عن نزعات نفوسهم من غير أن يهملوا التقليد إهمالا تاما فظهر عندهم شعراء متميزون يعدون من أبرز شعراء العصر الأندلسي، كابن زيدون وابن شهيد، والمعتمد بن عباد وغيرهم، فكانت هذه الفترة بداية انطلاقة جديدة في تاريخ الأدب الأندلسي.[1]

كما كان لنزعة التقليد التي سيطرت على نفوس الأندلسيين أثر كبير في ذلك؛ إذ إن الشرق الذي ما برحوا يترسمون خطاه كان قد سار أيضا في طريق جديدة بعد الثورة العباسية وما رافقه من تطور في النظم والعادات والتقاليد والأخلاق والثقافة[2] فاتسم الأدب بسمة جديد فرضتها عليه البيئة الأندلسية الجديدة، فتطور الشعر وازدهر وتعددت أغراضه مما أدى إلى إغناء مادة المعارضات الشعرية، إلا أن معارضة الأندلسيين للمشارقة كانت أرسخ جذورا من معارضة الأندلسيين فيما بينهم، لعدم وجود الشعراء الأندلسيين المتميزين الذين يعدون القدوة والمثل الأعلى الذي يسيرون عليه، فلم يجدوا عندهم أساتذة يقتدون بهم كالمشارقة، فبقيت أنظارهم تتجه إلى المشرق.

وبعد مطلع القرن الخامس الهجري وما بعده مرحلة انتقالية من قيود التقليد والجمود إلى بدايات التحرر والاستقلال، وإن الذي يجعلنا نقرر بازدهار فن المعارضات ونضجه في هذه الفترة هو ما قدر له أن يقع بين أيدينا من مادة المعارضات لشعراء هذه الحقبة الزمنية، فقد نظموا معارضاتهم في الأغراض الشعرية كافة، واستأثر المدح باهتمام الكثيرين منهم، وأكثرهم كان يعيش في بلاط الملوك والأمراء؛ فاقتضت طبيعة الحال أن ينظموا في المدح فقد نظر ابن دراج القسطلي الى قصيدة المتنبي في مدح ابن العميد، التي مطلعها:

بادٍ هواكَ صبرتَ أم لم تصبِرَا ... وَبكاكَ إنْ لم يَجْرِ دمعُكَ أوجَرَى

كَمْ غرَّ صبرُكَ وابتسامُكَ صاحِباً ... لما رآكَ وفي الحَشَى ما لايُـرَى

ومنها:

---

[1] حنا فاخوري، تاريخ الأدب العربي: ٧٩٨.

[2] المرجع السابق: ٧٩٨.

أنتَ الوحيدُ إذا ارتكبتَ طريفةً[١] ومن الرَّديفِ[٢] وقد ركبتَ غضنفَرَا

قطفَ الرجالُ القولَ وقتَ نباته وقطفتَ أنتَ القولَ لما نوَّرَا

وختمها بقوله:

أنا منْ جميع النَّاس أطيبُ منزلاً وأسرُّ راحلةً وأربحُ متجَرَا

زُحلَ[٣] على أن الكواكب قوّمَهْ لو كان منكَ لكانَ أكرم معشرَا[٤]

فعارضها بقصيدة في مدح منذر بن يحيى، إذ قال:

بُشْرَاكَ من طولِ التَّرحُلِ والسُّرى صبحَ بروحِ السَّفْرِ لاحَ فأسْفَرَا

من حاجِبِ الشَّمْسِ الذي حَجَبَ الدُّجى فجرى بأنهارِ الندى فتفجرا

نادى بحيَّ على النَّدى ثم اعتلى سَبلَ العُفاةِ مهلَّلاً ومكبِّرَا

وختمها:

وانصُرْ نصرتَ من السماءِ فإنَّما ناسبتَ أنصارَ النَّبيِّ لتنصَرَا

واسْلَمْ ولا وجدُوا لجوِّكَ منفساً في النَّائباتِ ولا لبحرِكَ معبَرَا[٥]

وهذه معارضة تامة، وقال ابن بسام في معرض حديثه عن قصيدة ابن دراج هذه:

(أراه احتذى في هذه الأبيات الأخيرة حذو أبي الطيب في ابن العميد)[٦]، إلا أننا نجده قد تفوق على المتنبي في عدد أبيات قصيدته، فقد بلغت خمسة وستين بيتا في حين اقتصرت قصيدة أبي الطيب المتنبي على ثلاثة وأربعين بيتا.

ومن معارضات الأندلسيين فيما بينهم قصيدة لأبي الربيع القضاعي يقول فيها:

بعيشكَ إلا ما قصرْتَ لنا الدُّجى فقد زيد جنحَ الليلِ في طولهِ ضعفا

كأنّ النجومَ الزُّهر في حضرة الدُّجى أزاهيرُ نوار على روضةٍ خيفا[٧]

---

(١) الشيء الطريف: الطيب النادر.
(٢) الرديف: الراكب خلف الراكب.
(٣) زحل : كوكب تحيط به منطقة نيرة يضرب به المثل في العلو والبعد .
(٤) المتنبي، الديوان: ٢٦٤-٢٨٠
(٥) ابن دراج، الديوان: ١٣١.
(٦) ابن بسام الذخيرة : ق١م١/٧٥ .
(٧) روضة خيفا: متنوعة الأزهار.

كأنّ جناحي نَسرِها وهو واقعٌ مهيضان[١] لما يستقلا به ضعفا

وختمها قائلا:

كأنّ ظلام الليل أسودُ مُطرِقٌ[٢] من الزنج في لبسِ الحديد قد التفا

كأنّ ثباتَ القطب فوقَ مصامِهِ ثباتٌ لبيبٍ كلما شهد الزحفا[٣]

فقد عارض بها قصيدة ابن هانئ الأندلسي[٤] في مدح جعفر بن علي التي منها:

أليلتنا إذ أرسلتْ وارداً وَحْفا وبتنا نرى الجوزاءَ في أذنِها شَنْفا[٥]

وباتَ لنا ساقٍ يقومُ على الدُّجى بشمسةِ نجمٍ لا تُقطُّ ولا تَطْفى

ومنها:

كأنّ رقيبَ النجم أجدلُ[٦] مرقبٍ يقلّبُ تحت الليل في ريشه طَرفا

كأنّ بني نعشٍ ونعشاً مطافلٌ بوجرةَ قد أضللنَ في مهمهٍ خِشفا[٧]

وختمها بقوله:

وكيفَ أتّراكي فيك بَثّاً ولوعةً ولا تترك رُحماً لقومي ولا عطفاً

أمِنتَ بك الأيّام وهي مخوفةٌ ولو بيدكَ الخلدُ أمنتني الحَتْفا[٨]

ومن معارضاتهم في الغزل نجد قصيدة ابن زيدون[٩] المشهورة التي مطلعها:

---

[١] الهيض : الكسر .

[٢] طرق الشيء : أطبق بعضه على بعض

[٣] ابن بسام ، الذخيرة :ق٣ م١/٧٥ .

[٤] هو محمد بن هاني الأزدي الأندلسي يكنى أبا القاسم ،ولد عام ٣٢٦هـ وتوفي عام ٣٦٣هـ . ترجمته في بغية الملتمس للضبي: ٢٣١ ، والمطرب لابن دحية : ١٩٢.

[٥] الوارد: الشعر الطويل. والوطف: الكثيف السواد، والشنف: ما علق في الأذن من الحلي.

[٦] الأجدل : الصقر..

[٧] المطافل: ما كان ذا أطفال من الإنسان والحيوان، ووجرة واد بين مكة والبصرة تكثر فيه الثيران الوحشية. والمهمه : القفر . والخشف: ولد الظبية.

[٨] ابن هانيء الأندلسي ، الديوان: ١٩٤.

[٩] هو ذو الوزارتين الكاتب أبو الوليد بن زيدون كان صاحب منظوم ومنثور وخاتمة شعراء مخزوم، ولد عام ٣٩٤هـ وتوفي عام ٤٦٣هـ. ترجمته في المغرب لابن سعيد: ٦٣/١، والمطرب لابن دحية: ١٦٤، والذخيرة لابن بسام: ق١ م٣٣١/١.

أضحىَ التّنائي بديلاً من تـدانِينَا ونـابَ عـن طـيبِ لُـقْيانَا تجافِينَا[1]

فهي معارضة لنونية البحتري التي نظمها في مدح المتوكل ومطلعها:

يكادُ عاذلُنا فـي الحـبِّ يغْرينـا فمـا لَـجاجَكَ فـي لومِ المحِـبّينا[2]

وجاءت قصيدة البحتري في مدح المتوكل في حين جاءت نونية ابن زيدون غزلا بـولادة بنت المستكفي وبذلك فقد اختل اتحادهما في الغرض .

وقد عارض ابن زيدون في قصيدته السابقة أبو بكر بن الملح[3] في قوله:

هل يسمعَ الربعَ شكوانا فيشكِينـا أو يَرجُع القولَ مغنـاهُ فيغْنينا

ومنها:

قد نصرف القول يغوينا ويرشـدنا ونترك الدار تشـجينا وتسلينا

ونتبعُ الحـيَّ والأشـواقَ محـرقةً نحومُ بالماء والأرماحُ تحـمينا

كواكبٌ في سماء النقع قـد جعلـتْ لنا رُجوماً ومـا كنّا شياطـينا[4]

وإذا نظرنا في القصيدتين نجد تشابها في الوزن والقافية والروي والموضوع، لكن ابـن الملح قصر عنه، فقد قال ابن بسام في معرض حديثه عن المعارضة : (إنه نازعه الراية فقصـر عن الغاية)[5].

ولابن قاضي ميلة[6] قصيدة يصف فيها مركبا للروم أوقع به المسلمون وأغرقـوه، قـال فيها:

إذ طفا أبصرَ الصّمصامَ يـرقـبُه[7] أو غاص في الماءِ من خوف الرّدى شرقا

---

[1] ابن زيدون ، الديوان :١٤٨.

[2] البحتري، الديوان :١٦٢.

[3] هو أبو بكر محمد بن إسحاق اللخمي من أهل شلب، يعرف بابن الملح أو ابن الملاح وهو من بيت أصالة، عرف بالزهد وتوفي عام ٥٠٠هـ. ترجمته في الذخيرة لابن بسام : ق٢م١/٤٥٢، والمغرب لابن سعيد:١/٣٨٣، ورايات المبرزين لابن سعيد: ٢٧، وقلائد العقيان لابن خاقان:١٨٧.

[4] ابن بسام ، الذخيرة: ق١ م١/٢٦٢-٢٦٣.

[5] المصدر السابق : ٢٦٣.

[6] هو عبد الله بن محمد التنوخي أبو محمد كان أديبا شاعرا وميلة التي ينسب إليها في الجزائر وهو من شعراء المائة الخامسة. ترجمته في الذخيرة لابن بسام ق٤ م٢ /٥٢٩ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان :٦/١٥٩.

[7] الصمصام: السيف القاطع الصارم لا ينثني.

وأيُّ عيشٍ لموقوفٍ على تلفٍ يراقبُ الميتتَيْنِ: السيفَ والغرَقا[1]

فعارضها ابن شهيد[2] بقصيدة مطلعها:

غنَّاكَ سعدُكَ في ظل الظُّبا وسقَى فاشربْ هنيئاً عليكَ التّاجُ مرتَفِقا

ومنها:

سقيًا لأسدٍ تساقى الموتَ أنفُسُها ويلبَسُ الصبرَ في يومِ الوَغى حلَقا

وأيُّ نهرٍ يرجى العِبْرَ عابرُهُ وسفنُهُ طافياتٌ غودِرَتْ فلقَا[3]

ولو وازنا بين طرفي المعارضة لوجدنا اتفاقا في الوزن والقافية والروي والغرض فكلتاهما جاءت في الوصف فإذا وصف ابن قاضي ميله مركبا للروم أوقع به المسلمون وأغرقوه فإن ابن شهيد يصف وقعة للمعتلي بالله على السودان بإشبيلية.

وقد لقيت قصيدة المتنبي في الشكوى من الأصحاب والزمن التي يقول فيها:

بمَ التّعلّلُ لا أهلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ[4]

هوى في نفس ابن زيدون فعارضها بقصيدة نظمها في الحنين إلى أهله عندما أقبل العيد وهو نازح عن وطنه، بعيد عن أهله، فقال مناجيا:

هل تذكرونَ غريباً عاده شجنُ من ذكركُمْ وحفا أجفانهَ الوسنُ

يا ويلتاه، أيبقَى في جوانحِه فؤاده، وهو بالأطلالِ مرتهنُ؟

وختمها بمطلع قصيدة المتنبي:

بم التعلّل؟ لا أهلٌ! ولا وطنٌ! ولا نديمٌ! ولا كأسٌ! ولا سكنٌ![5]

---

[1] ابن بسام ، الذخيرة: ق١م١/ ٢٦٣.

[2] هو الوزير لكاتب أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، كان شاعرا وناثرا وله رسائل كثيرة في فنون الفكاهة وأنواع التعريض والأهزال، وكان مع ذلك من أنصح الناس لمن استشاره ، ولد عام ٣٨٢هـ . ترجمته في المطمح لابن خاقان: ١٦ ، والمطرب لابن دحية :١٦٠، والمغرب لابن سعيد: ٧٨/١ ، والخريدة للأصفهاني: ٥٥/٢، والذخيرة لابن بسام: ق١م١/١٩١.

[3] ابن شهيد، الديوان :١٠٤ .

[4] المتنبي، الديوان : ٤٦١/٤.

[5] ابن زيدون، الديوان: ١٦٢-١٦٣.

وقد اتفق ابن زيدون مع المتنبي في الوزن والقافية والروي والغرض بل اشترك معه في بعض الألفاظ والمعاني والأسلوب والتقسيم.

وبذلك يعد القرن الخامس الهجري مرحلة النضوج والازدهار في تاريخ المعارضات الشعرية الأندلسية وقد تمثل ذلك في معارضات شعراء عصر المرابطين، فقد نجدهم يعارضون المشارقة والأندلسيين أنفسهم، وجاء القرن السادس الهجري (عصر الموحدين) الذي يعد عصر الازدهار الأدبي والعقلي في الأندلس بالثورة على التقاليد والدعوة إلى الاستقلالية وبناء الشخصية الأندلسية المتميزة فعملوا على رفع منزلة الشعراء والأدباء الأندلسيين ورفع منزلة الأدب الأندلسي وبعده عن التقليد، ودعوهم إلى الإبداع والتفوق من خلال مؤلفاتهم، فضلا عن أن شعراء هذا العصر حظوا باهتمام الخلفاء والحكام الموحدين فقد عنوا بالأدب والأدباء وتميزوا بحبهم للشعر وتشجيعهم للشعراء فنال شعراؤهم منزلة رفيعة مما انعكس على نتاجهم من الشعر، كما ساعد على ذلك أيضا كثرة الرحلات في طلب العلم في داخل الأندلس وخارجها، إلى المشرق والمغرب لأغراض التجارة والحج أيضا، فقد هيأت لهم الاطلاع على آداب الآخرين في الشرق والغرب.

كما تميز الأندلسيون في عصر الموحدين بحبهم للطبيعة الأندلسية وتعلقهم بها، فأكسبتهم حسا مرهفا وذوقا سليما، وكانت مصدر إلهامهم الشعري، فعقدوا فيها المجالس الأدبية وتطارحوا الأشعار، حتى ان زهرة رقيقة جميلة كانت دافعا قويا لإنشاء معارضة بين شاعرين.

وقد عملت هذه الظروف مجتمعة على نضج وتألق فن المعارضات الشعرية في عصر الموحدين، ولا ننسى الدور الكبير الذي قامت به حركة التحرر والتجديد التي شهدها القرن الخامس فقد هيأت السبل أمام فن المعارضات الأندلسية في عصر الموحدين لينضج ويتألق، وقد برزت طائفة من الشعراء البارزين في مجال المعارضة كابن الأبار القضاعي، وصفوان بن إدريس، وابن غالب الرصافي والكتندي، وغيرهم، كما وجدت عندهم المعارضات في الموشحات[1].

---

[1] محمد قاسم نوفل ، تاريخ المعارضات: ١٤٠.

- أشكال المعارضة :

وقد تعددت أشكال المعارضة الأندلسية في عصر الموحدين وإن كانت متقاربة في السمات العامة، إلا أن أهل الصناعة ميزوا كل واحد مهم عن الأخر فجاءت على النحو التالي:-

أولا: منها ما يأتي على الارتجال، وهو أن ينظم الشاعر ما ينظم في أسرع من خطف البارق، واختطاف السارق...حتى يخال ما يعمل محفوظا، أو مرئيا ملحوظا، من غير حاجة الى كتابة [١] فيكون المنظوم ابن ساعته.

ثانيا: ما يأتي عن البديهة، وهي أن ينزل عن الارتجال قليلا فيفكر مقصرا لا مطيلا [٢]

ثالثا: ما يأتي منها بالروية، وهي أن يقصر الشاعر عن حد البديهة فيطيل التفكير، وبذلك لايقبل منه إلا الجيد الكثير وفي حين يقبل من المرتجل والبادة بالرديء اليسير[٣]

وبذلك يمكننا ان نقسم اشكال المعارضة الشعرية إلى مايلي:

أولا: معارضة قصيدة بقصيدة:

وتكون بان يعجب شاعر متأخر بقصيدة لشاعر متقدم أو معاصر له، فيعارضها بقصيدة مثلها، أو يبعث أحد الشعراء لأخر قصيدة فيجاوبه بقصيدة مثلها، ومن ذلك أن بعث ابن مرج الكحل لأبي بحر صفوان بن إدريس قصيدة أولها:

أعادتْكَ من ذكر الأحبة أشجانُ ... فقلبك خفّاقٌ ودمعك هتّانُ[٤]

تحنّ على شحط المزار إليهمُ ... ومن دون لقياهم قفارٌ وبلدانُ[٥]

خليليّ ما في الأرضِ صفوَ مودّةٍ ... إذا لم يكن يصفي المودّةَ صفوانُ

رماني بزور وهو بالحقّ عالمٌ ... وكلّ كلام الشعر زورٌ وبهتانُ

نطقتَ فأفحمتَ العراقَ بلاغةً ... وأخرستَ ما تحوي الإشارةَ خَرسانُ

ولو سمعت سمعي عكاظ بلاغتي ... لما سحبَ الأذيال في الذكر سحبانُ

---

[١] الأردي، بدائع البداله: ٨.

[٢] المصدر السابق: ٨.

[٣] المصدر السابق: ٨.

[٤] الشجن: الحزن. هتن الدمع: قطر.

[٥] شحط المكان شحوطا: بعد. والقفار :الأراضي الخالية التي لا ماء فيها ولا أناس ولا كلأ.

ولو كنتَ في جيل الأوائل لم يكن ليذكر بالإحسان في الشعر حسّانُ[1]

فعارضه صفوان ابن إدريس بقصيدة طويلة منها:

سل البانَ[2] عنهم كيف بعدهم البانُ أشاقوه إذْ ساروا وراعوه إذْ بانوا

ألم يتعاط دوحهُ بان قضبهِ فتلك القدود الهيفَ[3] في الدين إخوانُ

فما بالَها لمْ تذرِ شوقاً إليهمُ ولم تنقدح فيها من الوجد نيرانُ

ومنها:

إليها فلا انجرت ذيول ظلالها ولا أنبتتْ منها المعاطفَ أغصانُ

فإن حكموا أنّ القدودَ ذاوبلُ فشاهدهم أنّ النواظرَ خُرصانُ[4]

وإن جمعوا أنّ الخدود أزاهرُ فحجّتهم أنّ المعاطف أفنانُ

خليليّ عوجا فانظرا وتبيّنا ولا تكسلا لن يبلغ المجدَ كسْلانُ

ومنها:

لعمري وما عمري بحلفة فاجرٍ ولكنّها برٌّ وصدقٌ وإيمانُ

لقد علّمتني كيف تصفو مودّتي "أعادتكَ من ذكر الأحبّة أشجانُ"؟!

صدقْتَ إذا لم يُصْفِ صفوانُ وُدّهُ فليس بصافي الودّ في الناسِ إنسانُ

وختمها:

جرّدتَ حسامي في يد الدهر لو درى لساد به لكنّما الجهلُ حرمانَ

ولو أنّ إنساني يشرّف مرتي لما انطبقت من فوقه لي أجفانُ[5]

---

[1] ابن خميس، أدباء مالقة: ٢١.

[2] البان: ضرب من الشجر، سبط القوام، لين، ورقه كورق الصفصاف، تشبه فيه الحسان في الطول واللين.

[3] القد: القامة والقوام، وقامة هيفا: دق خصرها وضمر بطنها.

[4] الخرص: الكذب.

[5] ابن خميس، أدباء مالقة: ٢١٠-٢١٢.

ثانيا: معارضة مقطوعة بقصيدة :

وهي أن يأتي شاعر بمقطوعة فيعارضها آخر بقصيدة كاملة، ومنها أن بعث الكتندي إلى الرصافي الأبيات التالية:

أعندكمُ يا ساكني الـوُدّ أنكـم ... بمرأىً على بعد المسافة من حمصِ

أتقضي الليالي أنّ تلمّ بمـنزل ... ألفناه ما بيـن الأَراكـةِ والدعـصِ

وإني حريصٌ أن يعود بما مضى ... زمانٌ وما حرصُ المقاديرِ من حرصِ[1]

فجاوبه الرصافي بقصيدة منها:

سلامٌ أبا بـكرٍ عليـكَ ورحمـةٌ ... تحيةَ صدقٍ من أخٍ لك مـختصِّ

لعمري وما أَدري بصدّع زُجاجة ... عليك فقد تدني الليالي كما تُقصي

ومنها:

فباتتْ على ظهرِ النـزوعِ إليـكمُ ... تطيرُ بما في الوكرِ أجنحةُ الحرصِ

إلى كم أبا بكـرٍ نـحومُ بأنفـسٍ ... ظماءٍ إلى عهدِ الأُجيرعِ أو حمـصِ

ولا رنّقتْ تلك الأراكـة فوقنـا ... بلوثِ إزارِ الظلِّ في كفلِ الدعـصِ

وكان لنا فـيما هـناك مـآربٌ ... نطيع الهوى العذريَّ فيها ولا نعصي

وختمها:

وما معصمَ ريّانُ دار سـوارَهُ ... على مثلِ ماء الدرِّ في بشرٍ رخـصِ

بأسمحَ منه في العيون إذا بـدا ... ولا سيما والشمسُ جانحةُ الـقرصِ

خليجٌ كخيط الفجرِ تنجرُّ فوقه ... ذيولُ عشّياتٍ مزخـرفةُ القمـصِ[2]

---

[1] ابن خميس ، أدباء مالقة : ٢١ .

[2] الرصافي، الديوان : ٣٢١.

ثالثا: معارضة بيت بقصيدة:

وهي أن ينظم شاعر بيتا في موضوع ما، فيعارضه آخر بقصيدة . ومنها معارضة طلحة بن عبد الملك الإشبيلي[١] لبيت أبي زكريا يحي بن عائد الذي يقوله فيه:

مجالس أصحاب الحديث حدائق تنثره فيها أعين وقلوب

فقال معارضا:

مجالسُ أصحابِ الحديثِ حدائقٌ تنزّهُ فيها أعينٌ وقلوبُ
تفجّر ينبوعُ الشريعةِ وسلّها فأينعَ غُصّنَ العلمِ فهو رطيبُ
وأطلعتِ الأفنانُ زهرَ فنونِها فريحُ الصبا عن نشرهنّ تطيبُ
وأثمرت الأزهارُ زهرَ فوائدٍ يلذّ جنى معنىً لهن غريبُ
كست شمسُ دين المصطفى كل ما بها فللنورِ في الأوراقِ رونقٌ[٢] عجيبُ
ترى طالبي الآثارِ في رغدِ عيشهم جنابٌ رحيبٌ المحلُّ خضيبُ
فللفكرِ قطفٌ ثم للنفسِ نعشةٌ وللعينِ في حسنِ الجميع نصيبُ[٣]

رابعا : معارضة قصيدة ببيت :

وهي أن ينظم شاعر قصيدة فيطلع عليها الآخر ويذيلها أو يعلق عليها ببيت، ومن ذلك قصيدة ابن مرج الكحل التي مطلعها:

عرّجْ بمنعرج الكثيب[٤] الأعفرِ بينَ الفراتِ وبين شطِّ الكوثرِ

فيعلق الرعيني[٥] على هذه القصيدة قائلا :

وجداولٌ كأراقمٍ ، حصباؤها كبطونها، وحبابُها كالأظهُرِ[٦]

---

[١] هو طلحة بن محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك بن خلف بن حزم الأموي، إشبيلي كان راوية ثقة، توفي في مراكش عام ٦٣٤هـ. ترجمته في الذيل والتكملة للمراكشي: ١٦٦/٤.

[٢] الرونق : الجمال الرائق، وراقني الشيء: أعجبني، فهو رائق وأنا مرووق.

[٣] المراكشي، الذيل والتكملة: س١٦٨/٤.

[٤] الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب.

[٥] هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن الإشبيلي يعرف بابن الفخار، إشبيلي المولد والنبتة، ولد عام ٥٩٢هـ وتوفي بإشبيلية عام ٦٦٦هـ ، وهو صاحب برنامج شيوخ الرعيني. ترجمته في برنامج الرعيني : مقدمة المحقق.

[٦] الرعيني، برنامج شيوخ الرعيني : ٢١١ .

خامسا : معارضة قصيدة بعدة قصائد أو مقطوعة بعدة مقطوعات :

وتكون بين عدد من الشعراء ، وذلك نتيجة للتنافس الشديد بين الشعراء، ونذكر من ذلك بيتين للفقيه أبي محمد[١] ويقول فيهما :

بإحدى هذه الخيمات جارهْ ترى هجري وتعذيبي تجارهْ

وكم ناديتُ يا هذي أرحمينا فلسنا بالحديدِ ولا الحجارهْ[٢]

فقد عارضها عدة شعراء[٣] ومنهم أبو الحجاج بن الشيخ[٤]، إذ قال معارضا:

بإحدى هذه الخيمات جـــارة ترى هجري وتعذيبي تجارة

وكم ناديت يا هذي ارحمينا فلسنا بالحديد ولا الحجـــــاره

فتـــاةٌ من بنـــي النجار تأبى من القلبِ الشَّجي إلاَّ انْتحـــاره

تعممَ رأسها بضفيرِ فـــرعٍ وتحكِمُ يا خليليَّ اعتجـــــاره[٥]

فُتِنْتُ بها وقد فَتَنَتْ قديمـــاً حجيجَ منًى وقد فتنتْ تجـــاره

وتشتجَر[٦] العوالي في هواها وكلٌّ يرتضي فيها اشْتجـــاره

وإنـــي مستـــجيرٌ من هواهـــا ولكن ليس تنفعُ الاستجـــاره[٧]

وعارضها آخر وهو ابو عبدالله الحجاري[٨] :

بإحدى هذه الخيمات جـــــاره ترى هجري وتعذيبي تجاره

---

[١] هو الفقيه أبو محمد عبد الوهاب، كان فقيها عاقدا للشروط، نافذا في العربية مجيدا في النظم والنثر ، ولي الصلاة والخطبة بجامع مالقة بعد الخطيب أبي عبد الملك الأستجي، كان مولده عام ٥٢١هـ ووفاته عام ٥٩٨هـ. ترجمته في الذيل والتكملة لعبد الواحد المراكشي: س٥ ق١/٧٧.

[٢] المراكشي، الذيل والتكملة : س ٥ ق ١ / ٧٧ .

[٣] سنعرض لهم في موضع آخر.

[٤] هو عبد الله بن يوسف بن محمد بن يحيى البلوي، يكنى أبا محمد ويعرف بابن الشيخ، توفي عام ٦٣٣ هـ. ترجمته في أدباء مالقة لابن خميس: ٢٤٦.

[٥] المعجار: ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها.

[٦] اشتجر الشيء: تداخل بعضه في بعض.

[٧] المراكشي، الذيل والتكملة: س٥ ق١/٨٣.

[٨] لم أقف على ترجمته، ولكن قال عنه أبو الحجاج بن الشيخ إنه من أصحابه، فهو من شعراء القرن السادس (عصر الموحدين) .

وكم ناديتُ يا هذي أُرحمينـــا فلسنا بالحديد ولا الحجـاره

أجـيـري هائماً كلفا معنّـىً فكم ظلبي سواكمّ قد أجـاره

شريفَ الحبِّ ليس يريد وصلاً سوى لثمٍ فصلّ فيه نجاره[1]

سادسا: معارضة مقطوعة بمقطوعة:

ومن ذلك أن أهدى أبو جعفر الوقشي[2] صهره أبا الحسن[3] سيفا وكتب معه يصفه:

بعـثتُ إليـكَ بخـلٌ كريـمٍ يمـدُّ إلـيكَ ذراع النـجادِ

فـوشّح بـه معـطفيك إذا ما دفعـت إلى جوبٍ بيد البلادِ

وسر نافـداً حـاكيا مضربيه ملقى من السعد فوق المـراد

وأُبٌ تـحت عـرقٍ كثيفٍ كما آب فـي العـمر يوم الجلادِ[4]

فقال أبو الحسن معارضا:

لكَ الشكرُ شفّعتَ بيضَ الأيادي بأبيـض صافحنـي بالنجادِ

تـهادى بـأربـعـة مـثلِـهِ جـدادٍ لبسّـنَ حداد الـمُراد

سيوفٌ من البتـر مطـبوعةٌ مـقلّـلة عـرك كـلّ انتقادِ

أتتني في الطـرس مسـلولةً فأغـمدتُها في سـوادِ الفؤادِ

وأعددتَ هذا لـيوم الفـخـارِ وأعـددت هذا ليوم الجلادِ[5]

---

[1] المراكشي، الذيل والتكملة : س٥ ق١/ ٨٣ .

[2] لم أقف على ترجمته، ولكن يتضح من معارضته لأبي الحسن إنه من معاصريه، ورد ذكره في المغرب بأنه وزير ابن همشك. المغرب لابن سعيد: ٢/ ٢٥٧.

[3] هو محمد بن أحمد جبير الكناني يكنى أبا الحسن من أهل غرناطة سكن مالقة وأقام فيها مدة طويلة كان حيا بعد عام ٥٦٤هـ. ترجمته في زاد المسافر لصفوان بن إدريس: ١١٤ -١١٥ ، والمغرب لابن سعيد: ٣٨٤/٢ ، وأدباء مالقة لابن خميس:١٢٢ .

[4] الجلاد: هو يوم الحرب.

[5] المصدر السابق :١٢٧.

سابعا: معارضة بيت بمقطوعة:

ومنه أن اقترح أبو الغمر[1] على ابن ذمام اين يعارض هذا البيت:

صحا القلب عن سلمى وعُلِّقَ زَيْنَبَا ... وعاودَهُ أضعافَ ما قد تجنَّبا

فعارضه ابن ذمام[2] المرسي بمقطوعة وهي:

إذا نمتِ الأزهارُ واعتلت الصَّبا ... وهيجتِ الألحانُ أشجانَ من صَبا

ودارتْ كؤوسٌ للمُدام تِخالُها ... لرقّةِ ما فيها لجيْناً مذهَّبا

تهزّ هلالاً للمكارم هزّةً ... كهز القنا يومَ الكريهةِ والظُّبا

ففي حالةِ الإفضال يشبهُ حاتماً ... وفي حالة الإقدام يحكي المهلَّبا[3]

ثامنا: معارضة مقطوعة ببيت:

وهي أن ينظم شاعر مقطوعة في موضوع ما فيعارضه آخر ببيت، ومنها قول البلوي المالقي:

مالقة حيِّيتِ يا تينها ... الفُلْكَ من أجلك ياتينها

نهى طبيبي عنه في علّتي ... ما لطبيبي عن حياتي نهى؟

فعارضه الإمام الخطيب أبو محمد بن عبد الوهاب المنشي ببيت وهو:

وحمصٌ لا تنسَى لها تينها ... واذكرْ مع التينِ زياتينها[4]

---

[1] هو أبو الغمر هلال بن الأمير محمد بن مردنيش أكبر أولاد محمد بن سعيد بن مردنيش، وبعد أن قضى أبو يعقوب الموحدي على ابن مردنيش تزوج احدى بناته وقرب الأبناء وجعل لهلال شرق الأندلس. ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار: ١٠٤.

[2] هو عبد الله بن محمد بن عبد الله، يعرف بابن ذمام، يكنى أبا محمد من أهل الأدب والذكاء والفطنة، كاتب من مرسية من أهل لقنت توجه أول عمره الى مراكش وتعلق بخدمة أبي الغمر، توفي عام ٥٦٠هـ. ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار: ١٠٤-١٠٥.

[3] ابن الأبار، تحفة القادم:١٠٦.

[4] المقري، النفح: ١/١٥١.

تاسعا: معارضة بيت ببيت :

وتأتي بين شاعرين أو أكثر، وتكون بأن يطرح أحد الشعراء بيتا في موضوع ما فيتبعه آخر ببيت في الغرض نفسه وعلى الوزن والقافية والروي أيضا فيشكلان قصيدة أو مقطوعة كاملة ، وغالبا ما تأتي هذه المعارضة بين الشعراء في وصف شئ ما، ومنها ما حدث بين أبي بحر صفوان بن إدريس وأبي محمد بن حامد؛ إذ مرا يوما على شجرة تهزالريح ثمرتها، فقال أبو محمد بن حامد [١]:

وسَرْحةٍ[٢] كاللواءِ تَهْفُو ... بعطفِها هبةُ الرياحِ

فقال أبو بحر:

كأنّ أعطافَها[٣] سقتْها ... كفُّ النَعامى كؤوسَ راحِ

فقال ابن حامد:

إذا انتحاها النسيم هزّتْ ... أعطافَها هزّة السماحِ

فقال أبو بحر:

كأنّ أغصانَها كرامٌ ... تقابِلُ الضيف بارْتياحِ[٤]

ومنها ما يأتي بين شاعرين اثنين فقط، وتكتفي ببيتين اثنين، ومن ذلك ما ورد عن ابن مطرف[٥]؛ إذ قال: (أقبلت على حبل طارق مرة مع والدي فنظر إليه على تلك الضفة إذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة في البحر بان كأنه سرج، فقال والدي:

انظر إلى جبل الفَتّـ ... ـحِ راكباً متْنَ لُجّ

فقلت:

---

[١] هو الوزير أبو محمد بن حامد، كان بينه وبين صفوان بن إدريس أخوة ومحبة وكان بينهما مخاطبات ومراسلات شعرية، وقال فيه صفوان بن إدريس : ما عسى أن أقول فيه، واسمه يحسبه ويكفيه، أبو محمد وما أدراك أنفرد بالسؤدد فأمن الاشتراك...). ترجمته في زاد المسافر لصفوان بن إدريس : ٨٢.

[٢] السرحة: الشجرة.

[٣] الأعطاف: وسط الشجرة وأعلاها.

[٤] صفوان بن إدريس، زاد المسافر : ٣٢.

[٥] هو أبو الحسن علي مطرف بن مطرف، من أهل غرناطة، مات قتلا في معركة العقاب عام ٦٠٩هـ. ترجمته في النفح للمقري:٢/١٦٠.

وقد تفتّحَ مثل الـــ أفنانِ في شكل سَرّجِ[1]

عاشرا: معارضة شطر بشطر:

وهي أن يأتي شاعر بشطر البيت الأول ويأتي آخر بعجزه لينظموا قصيدة كاملة، ومـــن ذلك أن خرج ابن المنخل[2] يوما مع ابنه وجلسا على واد تنق ضفادعه، وقد عتـب ابنـه علـى هجائه لابن الملح، وقد كان صديقه، فقال ابن المنخل:

تنقّ ضفـادعُ الـوادي

فقال ولده: بصـوتٍ غـيرَ معتـادِ

فقال ابن المنخل:

كـأنّ ضـجيجَ مقـولَها

فقال ولده: بنـو المـلاحِ فـي النـادي

فقال ابن المنخل:

وَتصمـتُ مثـل صـمتِهمُ

فقال ولده: إذا اجتمعوا علـى زادِ

فقال ابن المنخل:

فلا غـوثٌ لملـهوفٍ

فقال ولده: ولا غـيثٌ لمـرتـادِ[1]

الحادي عشر: معارضة شطر ببيت:

وهي أن يأتي شاعر بشطر فيجيزه آخر بتمامه وببيت كامل أيضا، ومن ذلك مـــا قالـه صفوان بن إدريس:

---

[1] المقري النفح: ١/١٦٠.

[2] هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله أبو بكر، شلبي يعرف بابن المنخل كان شاعرا حسن الخط، توفي عام ٥٦٠هـ. ترجمته في زاد المسافر لصفوان بن إدريس: ١٢٩، وتحفة القادم لابن الأبار: ٦٤.

[1] صفوان بن إدريس، زاد المسافر: ١٣٠.

حيوت بعض أصحابنا بزهرة سوسن[١]، فقال :

حَيّا بسوسنةٍ أبــو بَحْــرِ

فقلت مجيزا: نضَراء تَفْضَح يانِعَ الزَّهر

عجبا لــها لم تــذوها يــده من طول ما مكثت على الصدر[٢]

وقد يعارض الشطر بعدة أبيات يؤلفها شاعران أو أكثر، ومن ذلك قول ابن شاكر الحضرمي وقد حضر مع ابن كسرى على أحد الأنهار وفيه حيتان تسبح، فقطعنا الماء عنها حتى نضب فبقيت الحيتان دون ماء، ونزلا في وسط النهر يشربان منه، فقال ابن شاكر:

شربنا مع الحيتانِ في يبسِ النهرِ

فقال شاكر: وما كان يُرجى ذاك في سالفِ الدهرِ

فقال ابن كسرى:

وما نقلْنَا فيه سوى نبتِ شطّة وما فرشْنا فيه سوى الرملِ والصخْرِ

ولاحتْ به شمْسُ الندامى بديعةً فكان هو الثاني لمنفلق البحرِ

فقال شاكر:

فكيف ترى إقلاع صبٍّ متيَّم أتاه الهوى من حيثُ يدري ولا يَدْري[٣]

ولم يكن الشعر الأندلسي في عصر الموحدين خاليا تماما من التقليد والتبعية للمشرق، فقد كان العشق للتراث العربي الأصيل متأصلا في نفوسهم، فاتخذ تقليدهم طابع التقليد الواعي بحيث يعمد إليه الشعراء ويقصدونه، بل إنهم يعرفون ما يقلدونه ويعمدون إليه، وكان ذلك عاملا هاما من عوامل تألق فن المعارضات الشعرية في هذه الحقبة الزمنية، كما تعددت الأغراض الشعرية التي نظمت بها مادة المعارضات الشعرية الأندلسية في عصر الموحدين، وسنعرض لأهمها في الفصل القادم.

---

[١] السوسن: نبات من الفصيلة السوسنية عالية الارتفاع تنتهي بزهرة او عدة زهور جذابة تخرج كل منها من غاف حرشفية يختلف لونها باختلاف النوع، فمنه الأزرق والأبيض والأصفر والأحمر، وتعرف بعض أصنافها بجذور الطيب لأنها عطرية.

[٢] صفوان بان ادريس، زاد المسافر : ٣١.

[٣] ابن خميس، أدباء مالقة، ٣٧٩- ٣٨٠.

الفصل الثاني

موضوعات المعارضات الشعرية الأندلسية في عصر الموحدين

أولا: الوصـــــــف.

ثانيا: الغـــــــزل.

ثالثا: الإخوانـــيـــات.

رابعا: المديـــــــح.

خامسا: الهجاء والـــتهكم والسخرية.

سادسا: أغراض أخرى.

كان للمنزلة الرفيعة والحرية الأدبية والفكرية التي حظي بها شعراء الموحدين أثر واضح في غزارة نتاجهم الشعري وتعدد أغراضه، فلم يقتصر شعر المعارضات عندهم على غرض دون غيره، بل تعددت أغراضه لتشمل:

الوصف، والغزل، والإخوانيات، والمديح، والهجاء، وغيرها من الأغراض الشعرية .

أولا : الوصف.

يعرف بعض الدارسين شعر الوصف بالقول :هو الشعر الذي ينقل صورة مطابقة لواقع الحال بأدق التفاصيل[١]، فهو مرآه تعكس الواقع على طبيعته، متخذا من عناصر البيئة الحية والصامتة مادة لموضوعاته، ويتغلغل في أعماق النفس الإنسانية محللا مشاعرها معبرا عن أحاسيسها، وعلى هذا نهج فحول الشعراء في أدبنا العربي القديم، ولم يكن الوصف عندهم مستقلا بذاته وإنما ظهر من خلال الأغراض الشعرية الأخرى كالمدح، والغزل.... وغيرها أما في الأندلس، فقد كان الوصف تقليدا لما كان عليه في المشرق، ومع ذلك نلاحظ تفوقهم على المشارقة فيه أحيانا، لدرجة أنهم يحلونه محل النسيب في القصيدة العربية[٢]، وقد أظهروا فيه عبقرية فذة، فبعد انتقال العرب إلى الأندلس وجدوا فيها تشابها كبيرا مع وطنهم الأصلي من حيث الاعتدال وطيب المناخ فكان ذلك يذكرهم بوطنهم فيثير الشوق والحنين في نفوسهم، وقد انطوى الأندلسي على تمزق نفسي؛ ففي المشرق ذكرياته وأهله وخلانه، وفي الأندلس وجوده الحالي، ويمثل ذلك قول عبد الرحمن الداخل يتشوق إلى معاهده بالشام:

أيّها الرّاكب المّيمم أرضي ... أقر من بعضي السلامُ لبعضي

إنّ جسمي كما علمتَ بأرض ... وفؤادي ومالكيه بأرضِ

قدّر البين بيننا فافترقنا ... وطوى البين عن جفوني غمضي

قد قضى الله بالفراق علينا ... فعسى باجتماعنا سوف يقضي[٣]

ولكن سرعان ما أخذ الأندلسيون يحبون الطبيعة في بلادهم حتى شبهوها بالجنة، فيقول ابن خفاجة:

---

[١] عبد العظيم قناوي، الوصف في الشعر العربي: ٤٢/١.

[٢] احمد بلا فريج، وعبد الجليل خليفة، الأدب الأندلسي: ١٠٩.

[٣] الحميدي، جذوة المقتبس: ٣٨/١.

يا أهل أنـــدلس! لله دركـــم، مـــاءٌ وظـــلٌ وأنـــهارٌ وأشـــجارٌ

ما جنةُ الـــخلدِ إلا في دياركـــم ولو تخـــيّرت هذا كنـــت أخـــتارُ[1]

كما كان لحياة الترف واللهو التي تمتع بها شعراء العصر، ومجالس الأنـــس والشـــراب التي تعقد في رحاب الطبيعة، دور كبير في تطور فن الوصف وازدهاره، فقـــد كـــان الشـــعراء يصفون كل ما تقع عليه أنظارهم، فضلا عن وصفهم للخمر وقداحـــها التـــي تحـــث فـــي هـــذه المجالس.

وقد ساعد اتساع الأقاليم الأندلسية وتعددها، في استحثاث قرائـــح الشـــعراء، فـــاهتموا بوصـــف أقاليمهم والتغني بها، فنجد ابن سفر المريني يصف إشبيلية، بينما نجد اهتمام أبي الحســـين بـــن نزار يتركز على وصف وادي الآشات ، وابن غالب الرصافي يتغنى ببلنسية فـــي حيـــن نجـــد صفوان بن إدريس يتشوق إلى مرسية ويحن إليها[2] ...وهكذا، مما أغنى مادة الوصف فـــي أدب الأندلس.

وقد طرق الشعراء اتجاهات متعددة في هذا الباب ، فاستأثرت الطبيعـــة باهتمامـــهم؛ إذ شغفت بها القلوب، وهامت بها النفوس، فلم يترك الشعراء شيئا إلا تغنوا به، فوصفوا كل ما فيـــها مما أدى إلى غزارة فن المعارضات في الأندلس، فقد عـــارض الأندلســـيون الشـــعراء القدمـــاء والمعاصرين لهم في هذا الضرب من الشعر.

- معارضات في الوصف :

لقد شهد فن المعارضات الأندلسية تطورا واضحا في عصر الموحدين لما امتاز به هـــذا العصر من نهضة ثقافية وأدبية شملت جميع المجالات، ولكثرة انتشـــار مجـــالس العلـــم والأدب، وكان للشعر نصيبه منها، وقد توافق ذلك مع عشقهم للتراث العربي المتـــأصل نفوسهم؛ لذا وجدنا قدرا لا يستهان به من معارضات شعراء الأندلس للشعراء المشـــارقة القدماء؛ نظرا لما لهؤلاء من منزلة كبيرة في نفوس الأندلسيين، فكان للوصـــف نصيبـــه في هذا المجال، ففي باب وصف الطبيعة نجد قصيدة أبي تمام الرائية التي مطلعها:

---

[1] ابن خفاجة، الديوان: ١٧.

[2] حودت الركابي في الأدب الأندلسي: ٧٥.

رقّتْ حواشي الدهرِ فهى تمرْمــرُ[١] وغـدا الثّرى في حلْيه يتكسرُ

ومنها:

نزلتْ مقدمــةُ الــمصيفِ حمـيدةً ويد الــشــتاءِ جــديدةٌ لا تكــفرُ

لولا الذي غــرسَ الشــتاءُ بكفّــهِ لاقى المصيفَ هشائمًا[٢]لا تثمرُ

أولا تــرى الأشياءَ إنّ هي غيّرتْ سمجتْ وَحَسّنَ الأرض حينَ تغيّرُ

وختمها بمدح معتصم المشرق، إذ قال :

ملــكٌ يضِــلّ الفــخرُ في أيامِــهِ ويــــقلّ في نــفحاتِــه ما يكــثُرُ

فليعســرنّ علــى الّــليالي بــعدهُ أن يبتــلى بصــروفِهنّ الــمُعْسِرُ[٣]

فنالت إعجاب الشاعر الأندلسي، أبي بكر بن نصر الإشبيلي[٤](ت٦٤٦هـــ) فعارضــها بقصيدة يصف فيها الطبيعة، ومنها:

انظــر نسيــمَ الــزّهر رقّ فوجــهُهَ لك عن أسـرّته الــسرية يُسفِــرُ

خــضِلٌ[٥] بريــعان الرّبيعِ وقد غــدا للعينِ وهو من النّضــارةِ مــنظرُ

وكأنّــما تلك الريــــاض عرائــسٌ ملبوســــهنّ معــصفرٌ ومزعــفرُ[٦]

أو كالقيان لبسنَ موشــــيّ الحُلــى فلهنّ من وشــي الّــلباسِ تبختُرُ[٧]

---

[١] تتمرمر: تموج وتضطرب لينا ونعمة.

[٢] الهشائم: جمع هشيمة وهي الشجرة اليابسة

[٣] أبو تمام، الديوان : ٢ / ١٩١-١٩٧

[٤] هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي، وقال ابن سعيد فيه: إنه كتب عن كل من صار أمر إشبيلية إليه، وحمل عليه وقال: كان أحقد من دب ودرج، توفي عام ٦٤٦هـ. ترجمته في القدح المعلى لابن سعيد :١١٨، والمغرب لابن سعيد: ١/ ٢٥٤.

[٥] الخضل : هو كل شئ ند يترشرش من نداه.

[٦] العصفر: نبات صيفي من الفصيلة المركبة أنبوبية الزهر، يستعمل زهره تابلا ويستخرج منه صبغ أحمر.
والزعفران: نبات بصلي معمر من الفصيلة السوسنية منه أنواع برية ونوع صبغي طبي مشهور.

[٧] الحميدي، جذوة المقتبس: ٣٦٩ – ٣٧٠.

وعند النظر في القصيدتين نجد أن الغرض الأصلي في قصيدة أبي تمام هو المدح، ولكنه استهلها بوصف الطبيعة فجاءت معارضة أبي بكر الإشبيلي في وصف الطبيعة أيضا، وقد سار الإشبيلي على نهج قصيدة أبي تمام هذه في الوزن والقافية الروي، وفي جزئيات القصيدة، فمن المواطن التي تابع فيها الإشبيلي أبا تمام في المعاني وفي اتباع نهجه في الأسلوب والألفاظ والصور، قوله :

خضلٌ بريعان الربيع وقد غدا للعين وهو من النظارة منظرُ

فهو من قول أبي تمام:

دُنيا معاشٍ للورى حتى إذا جليَ الربيع فإنما هي منظرُ

وكذلك قوله:

وكأنما تلك الرياضُ عرائسٌ ملبوسهنّ معصفرٌ ومزعفرُ

فهو من قول أبي تمام:

منصفرةٌ محمرةٌ فكأنها عُصُبٌ تيمّن في الوغى وتمضّرُ

فضلا عن اختلاف الشاعرين في فهمهما للربيع، فينظر أبو تمام للربيع على أنه الحياة، وتأرجح الإنسان فيها ما بين العمل والمتعة، في حين ينظر الشاعر الأندلسي إلى الربيع ويصوره بأنه منظر، كما نجد أن الشاعر الأندلسي أكثر رقه في طرحه لمعنى الربيع، حين نلاحظ أن أبا تمام يميل إلى الغرابة بعض الشيء في ذلك.

ومن القصائد القديمة التي لاقت هوى في نفوس الأندلسيين فعارضوها قصيدة أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي[١](ت ٤٣٠هـ) في وصف الطبيعة ومنها:

الغيمُ بين مجسدٍ ومعصفرِ والماءُ بين مصندلٍ ومعنبرِ[٢]

والروضُ بين مدملجٍ[٣] ومتوّجٍ والوردُ بين مدرهمٍ ومدنّرِ

---

[١] صاحب كتاب يتيمة الدهر قال فيه ابن بسام: (سار ذكره سير المثل وضربت عليه إباط الإبل، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم الغياهب...)الذخيرة : ق٤م٢/ ٥٦٠،ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ١٧٨.

[٢] العنبر: من الطيب وقيل الزعفران. والصندل: شجر طيب الرائحة.

[٣] دملج الشيء دملجة ودملاجاً : ضمه وسواه .

والأرضُ قد برزت لنا في أخضرٍ ... في أصفرٍ في أبيضٍ في أحمرِ

لتروقنا ببدائعٍ و طرائـــــــفٍ ... من حسنِ منظرها وطيبِ المخبرِ

سبحان محيِّ الأرضَ بعد مـماتِها ... وكذاكَ يحيِّ الخلقَ بين المحشرِ[1]

فعارضه ابن مرج الكحل في قصيدة يصف فيها الطبيعة وهو في عشية بنـهر الغنـداق خـارج لوشة القريبة من غرناطة، مطلعها:

عرّجْ بمنعرج الكَثيـبِ الأعـفَرِ ... بيـن الفُراتِ وبين شطِّ الكوثـرِ

ومنها:

ولتغتبـقها قـــهوةً[2]ذهـبـيّةً ... من راحتي أَحوى المراشِف أحورِ[3]

وعشيّةٍ كم كنت أرقـبُ وقتهـا ... سمحتْ بها الأيـّامَ بعـد تعـذّرِ

نلنا بها آمالَـــنا في روضـــةٍ ... تهدي لناشِقِـها[4] نسيـمَ الـعنبرِ

والدهرُ من ندمٍ يسفُّـــهُ رأيـه ... في ما مـــضى منـهُ بغير تكدُّرِ

والورقُ تـشدو والأراكةُ تنثـني ... والشّمس ترفُلُ في قميصٍ أصفرِ[5]

والروضُ بين مذهّبٍ ومفضـضٍ ... والزهرُ بـيـن مـدرهمٍ و مدنّرِ

ويختمها:

نهـرٌ يهيمُ بحسـنهِ من لم يهـمْ ... ويجيـدُ فيه الشـعرَ من لم يشعرُ

ما اصفرَّ وجه الشّمسِ عند غروبِها ... إلا لـفرقةِ حسّـن ذاكَ المنْظـرِ[6]

---

[1] الثعالبي ، خاص الخاص : ٢٦٦ .

[2] في أدباء مالقة لابن خميس: راحة ، شميم.

[3] المرشف: موضع الرشف وهو الشفاه، والمراشف: الشفتان ، وأحوى المراشف: أي شفتاه احمرت حمرة تضرب إلى السواد. والأحور: شديد البياض.

[4] في أدباء مالقة: شميم.

[5] الأراكة :نبات شجري من الأراكية ، كثير الفروع، خوّار العود، متقابل الأوراق له ثمار حمر دكناء تؤكل. الرّفلُ: الطويل الواسع من الثياب، ويقال ترفل في ثيابه أو في مشيته وترفل عليهم : صار أميرا أو حاكما.

[6] المقري، النفح : ٥/٥١ – ٥٢.

وتسير قصيدة ابن مرج الكحل على نهج قصيدة الثعالبي ، وشعره عموماً في وصف الطبيعة ورسم صوراً تزخر بالحركة والحياة ، فقد حاكاه في الجو العام للقصيدة وعارضه في الطابع الخاص لشعره، فمن المواطن التي تابع فيها الثعالبي قوله :

والروضُ بين مذهّبٍ ومفضضٍ والزهرُ بين مدرهم و مدنّرِ

فقد أخذه من قول الثعالبي :

والروضُ بين مدملجٍ ومتوّجٍ والوردُ بين مدرهمٍ ومدنّرِ

فالمعارضة تكمن في محاكاة مذهب الثعالبي للمعاني ومجاراة منحاه في الأسلوب والتشابه في اللفظ والصورة، فضلاً عن التشابه في الوزن والقافية والروي والتقسيم.

ثم اتسع الأندلسيون فيما بينهم بشعر الوصف وكثرت المعارضات فيه، حتى أنهم لم يتركوا شيئا إلا وصفوه، ولعل السبب في ذلك يعود إلى كثرة اللقاءات والندوات والمجالس الأدبية التي كانت تعقد بين الشعراء، فضلا عن الرحلات والنزهات الجماعية التي كان الشعراء يقومون بها، ولا ننكر أثر الطبيعة الأندلسية في ذلك فهي المنبع الذي منه يستقون، وقد أثر ذلك كله في شعر معارضات العصر.

معارضات في وصف الرياض والبساتين:

اعتاد الأندلسيون على التنزه في البساتين والاستمتاع بما تحويه من مظاهر الحسن والجمال، وعمدوا إلى التغني بها وإبراز محاسنها وجمالها، فها نحن نجد ابن غالب الرصافي يمر على بستان لعمران بن رزق[1] فينثال الشعر على لسانه واصفاً أزهاره الغضة المتفتحة وهي ترف وتزين الجداول المندفعة بأرضه الخصبة التي تحوي جميع مظاهر الحسن فيها، والجو مقنع بالغيوم الرقيقة، فكان هو وأصحابه في غاية السرور والانشراح والألفة في أفياء هذا البستان الرائع الجمال، فيقول:

---

[1] هو الوزير أبو عمران من النبهاء والأدباء في الأندلس، كان كريما عالي الهمة وجميل العشرة. ترجمته في أدباء مالقة لابن خميس: ٢٠٠، وتحفة القادم لابن الأبار: ٧٦ .

ما مثلُ موضِعكَ ابن رزقٍ موضعُ ... زهرٌ يـرفُّ وجدولٌ يـتدفَّـعُ

وكأنّـما هـو من بنانِكَ صفحـةً ... فالحسنُ يـنبتُ في ثراه ويبدعُ

وعشيةٍ لبـستْ رداء شُـحوبـِها[1] ... والجـوُّ بالغيم الرقـيقِ مقنّـعُ

باغت بـنا أمـدَ السُّرورِ تألفـاً ... والـليلُ نحو فراقِنا يتـطلّـعُ[2]

فيعارضه أبو عبد الله بن مرج الكحل بمقطوعة يصف فيها البستان نفسـه، وقـد حـل المسـاء والنسيم ينشر عبق الورود على مجالس الأنس المنعقدة فيه، والزهر متفتح يانع تداعبه السـحابة بما ترسله من حبيبات المطر الناعمة، ومظاهر الطبيعة فيه مسرورة طربة بما تشهده من أنـس وجمال، يقول:

طفلَ المساءِ وللنـسـيم تضـوّعُ ... والأُنـسُ ينظـم شـملنا ويجمّعُ[3]

والزهرُ يضـحك عن بكاءِ غمامةٍ ... ريعتْ لشيم[4] سـيوف بـرقٍ تلمعُ

والنهرُ من طربٍ يـصفّقُ موجه ... والغصن يرقص والحمامةُ تسجعُ

فانعم أبا عمران والهُ بـروضةٍ ... حسُنَ المصيف بها وطاب المربَعُ[5]

ولا تخفى أوجه التشابه والالتقاء بين الشاعرين إذ حاكاه ابن مرج الكحل في الجو العـام للقصيدة، ابتداء من تلك الحاسة الموسمية التي ترنم بها كل منهما، إلى أساليب الصياغة اللفظيـة والتصويرية، انطلاقا من التماس كل منها إلى السهولة والوضـوح والابتعـاد عـن الغمـوض التصويري ؛ وربما كانت رقة الصور التي انتزعها كل منهما من البيئة الطبيعية المحيطة بـهما هي الدافع وراء تلك السهولة وذلك الوضوح، بل ربما كان ذلك بدافع البيئة الحضارية المترفـة التي عاش بها كلا الشاعرين فانعكست رقة الموقف من خلال ذلك الحس الحضاري الذي يكـاد يطغى على الصورة عندهما.

---

[1] شحب جسمه شحوبا: تغير وهزل.

[2] الرصافي الديوان :١٠٥-١٠٦.

[3] طفل المساء: أقبل بظلامه. وتضوع: تحرك فانتشرت رائحته.

[4] شام السحاب والبرق: نظر إليه يتحقق أين يكون مطره.

[5] ابن خميس أدباء مالقة: ٢٠١، وصفوان بن إدريس، زاد المسافر: ٧-٧١. وصلاح جرار، مرج الكحل الأندلسي :١٢٦-١٢٧. المربع: الموضع يقام فيه في زمن الربيع.

وقد اتجه الرصافي إلى حواره الوصفي من منطلق الإعجاب الذي تولد نتيجة لارتباطه الوثيق بصاحب هذا البستان، ونتيجة لتجربة تمثلت في نفسه لكثرة ما يعقد بهذا البستان من مجالس ومناظرات بدعوة من صاحبه ، فتولد بداخله فيض من المشاعر التي تربطه بهذا البستان فحلق بخياله في عالم الشعر ليجد الوزن والقافية الملائمين للموقف فنظم قصيدته بعيدا عن التعقيد والفلسفة وبعيدا عن الركاكة والرداءة والإسفاف، فتبعه بذلك ابن مرج الكحل.

ولا ننسى أن الشاعرين متعاصران وإنهما متحدان في دوافع النظم؛ فكلاهما نظم إعجابا بهذا البستان لما حباه الله من مظاهر جمال ولكثرة المجالس والمناظرات التي تعقد بين الشعراء فيه، ومن ثم حبا وتقديرا لصاحبه الذي يمتاز بأنه جميل العشرة والذي خصص هذا البستان لمجالسة الشعراء ومناظرتهم فتركت هذه الدوافع أثرا واضحا في اضمحلال أوجه الاختلاف بين الشاعرين وقلتها، وعلى الرغم من أن السبق للأقدم لكونه الأساس والأصل في إنشاء الفكرة واختيار الوزن والقافية إلا أننا نجد ابن مرج الكحل يتفوق على الرصافي بادخاله معنى جديدا إلى معارضته وهو المدح لأبي عمران بن رزق ؛ إذ قال:

يا شادنَ البانِ الذي دونَ النقا ... حيث التقى وادي الحِمى والأَجرع[1]

إن غاب نور الشمس بتنا نتقي ... بسناكَ ليل تفرقٍ يتطلّعُ

الشمسُ يغربَ نورها ولربما ... كُسِفتْ ونورك كل حين يسطعَ

أفلت فناب سناك عن إشراقِها ... وجلا من الظلماء ما يتوقّعْ

فضلا عن تفوقه في طول نفسه الشعري فجاءت قصيدته بأبيات تفوق في عددها أبيات قصيدة الرصافي، وجاءت المعارضة تامة الأركان.

---

[1] النقا: الكثيب من الرمل.

معارضات في وصف الأزهار:

وقد اهتم الشعراء بوصف الزهور وعنوا بها عناية كبيرة. فتغزلوا بها و شبهوها بالمرأة الجميلة الرقيقة، كما أنها رمز للصحبة ودوام للمحبة بين الشعراء، ومن ذلك هذه المعارضة الشعرية بين أبي عمرو وأبي شهاب المشعلاني وشاكر بن الحسن الحضرمي وقد كان معهم نوار الخابور، واتفقوا على أن يصفوه، فقال أبو شهاب المشعلاني:

لنورِكَ يا خَابُور - بوركتَ - منّةٌ

على الصّحبِ لا تفنى على قدم الدّهرِ

فقال شاكر بن الحسن الحضرمي:

ظفرتُ بلثمِ من بنان معذّبي بحيث ذكي النشرِ منتخبُ العطرِ

فقال أبو عمرو:

سرت لك من أنفاسه طيب نكهةٍ فجرّر بها أذيال فخرٍ على الزهرِ[1]

يقتفي الشعراء منهجاً موحداً في الوزن والقافية والروي، وغرضهم الوصف، إلا أننا نجد المشعلاني يدعو لها بالبركة والدوام لتبقى رمزاً للصحبة ودواماً للمحبة بين الأصحاب، في حين يتجه الشاعران الآخران اتجاهاً آخر ؛ إذ يصفانها وصفاً حسياً فيشبهانها وهي بين أديهم بالمحبوب الذي تم وصله بعد الهجر والفراق، ولم يرق المشعلاني إلى مستواهما في حسن التصوير وبذلك يحققان التفوق عليه.

وقد وصفوا الزهرة وخلعوا عليها الصفات الحسية الجماليه للمرأة ومن ذلك قول الوزير أبي محمد بن حامد في وصف زهرة حمراء مغلقة :

---

[1] ابن خميس أدباء مالقة، ٣٨٠.

ومحمرّةٍ تختالُ في ثوبِ سندسٍ[١] كوجنةِ محبوبٍ أطلَّ عذارُهُ

فأجازه به أبو بحر صفوان بن إدريس بقوله:

كتطريفِ كفٍ قد أحاطت بنانهُ بقلب محبٍّ ليس يخبُو أوارُهُ[٢]

- معارضات في وصف الثمار:

وقد تميزت الأندلس بثمارها وفاكهتها التي عرفت بلذة طعمها وطيب نكهتها، وخاصة ثمار العنب والتين لا سيما التين المالقي، حتى أن الناس كانوا يأتون مالقة للعمل والإقامة من أجل تينها[٣]، فوصفه البلوي المالقي بقوله:

مالقة حُييتَ يا تينها الفُلكُ من أجلكَ يا تينها

نهى طبيبي عنهُ في علتي ما لطبيبي عن حياتي نهى[٤]

فذيله عليه الخطيب أبو محمد بن عبد الوهاب بقوله:

وحمصٌ لا تنسَ لها تينها واذكرْ مع التينِ زياتينها[٥]

وقد بلغت عناية الأندلسيين بالثمار أن يتهادوها فيما بينهم ويقولوا الشعر ويصفوها، ومن ذلك أن أهدى أبو علي عمر[٦] أبا الأبار [٧]تمرا، وكتب معه شعرا يصفه، فيقول:

أتتك خليقاتٌ بحسنِ الخلائقِ بها غنيةٍ عن كلِّ ما في الحدائقِ

---

[١] السندس: ضرب من رقيق الديباج.

[٢] صفوان بن إدريس، زاد المسافر: ٣٢. الأوار: شدة العشق.

[٣] عبد الواحد المراكشي، المعجب: ٢٩.

[٤] المقري، النفح: ١/١٥١.

[٥] المصدر السابق: ١/١٥١، والمراكشي، المعجب: ٢٩.

[٦] هو أبو علي عمر بن الشيخ المكرم، ولي جيان في الأندلس، كان حيا سنة ٦٣٨هـ وله شعر كثير ومنه كلمة بعث بها إلى قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- ومنها:

أصبح من صبره على أمل قسّم بين الجود والعدم . الحلة السيراء لابن الأبار: ٢/٢٨٢.

[٧] هو أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي كان أديبا شاعرا بليغا مجيدا ولد عام (٥٩٥هـ) وتوفي عام (٦٥٨هـ) وقد كان يلقب بالفأر عند أعدائه، ترجمته في القدح المعلى لابن سعيد: ١٩١.

سليلاتُ جبار حكى وسطَ دوحهِ ... خوافقَ بالمُرّانِ فوقَ الفيالقِ[١]

حوامل لم تُعلم مواقيت حَملها ... ولا حُمّلت من فم حكمَ طالقِ

تجودُ إذاما الجودُ عم بعزهِ ... وسحّ من الخضراء سُحَّ بوادقِ[٢]

عثاكِلُها مثل الشذورِ تذللتْ ... بسالفةِ الغيداء أو كالقراطِقِ[٣]

ومنها:

لها جسمُ أوّاهٍ شحوباً ومن نوًى ... فؤادٌ حكى من قسوةٍ قلبَ فاسقِ[٤]

وما ضرّها إذ قد أباحت لطاعمٍ ... حلاوتَها ألا تفوحَ لناشقِ[٥]

فيعارضه ابن الأبار بأبيات مثلها تتضمن معنى المدح والشكر والثناء لأبي علي على ما أسداه إليه واصفا ، فيقول:

أمولاي حقّ العبد تقريرُ عُذرهِ ... إذا هو لم يلْقَ الحقوق بلائقِ

منائحُ أسدتها مناحٍ كريمةٌ ... تفوّقَ[٦] للأحداقِ مثل الحدائقِ

وتبرّيةُ الأكمامِ[٧] شهديّةُ الجنى ... حلَت وتحلّتْ زاكياتِ الخلائقِ

لها عجمٌ في العرب ولّد مُنْجبا ... وحسبُك منها بالسّوامي السّوامقِ

كأنّ بأعلاها إذا احمرّ بسرُها[٨] ... مشاعلَ تهدى في الدجى كلَّ طارقِ

كأن بها الماذيَّ[٩] يجمد تارةً ... ويقطر من راقي المكانةِ رائقِ

---

[١] المران: الرماح الصلبة اللدنة .

[٢] الودق: المطر ، والوادق السيف الماضي الضريبة

[٣] والقرطق : الثوب الرقيق الشفاف.

[٤] الأواه: كثير التأوه وكثير الدعاء، ومنه قوله تعالى: ((إنّ إبراهيمَ لأوّاهٍ حليمٌ)) .

[٥] ابن الأبار ، الحلة السيراء: ٢/٢٨٥- ٢٨٦.

[٦] الفوف: الحبة البيضاء في باطن النواة

[٧] الكمامة: وعاء الطلع ، غطاء النور.

[٨] البسر: تمر النخل قبل أن يرطب.

[٩] الماذي: العسل الأبيض.

كأنّ الذي تُهديه من تمرها اغتدى بريـقةِ مومـوقٍ ورقـةٍ وامـقِ

ويختمها:

مننتَ بها منثـورةً وشـفعـتَها بمنظومةٍ كالعِقد في نحر عاتقِ[1]

من الكلم اللاتَي انتمين إلى العلا وشرَّفن بالتسديد بيضَ المهارقِ[2]

وقد تعددت ألوان التشابه بين الشاعرين سواء في تناولهما لأساليب الصياغـة اللفظيـة والتصويرية أو في أسلوب عرضها ومعالجتها، فضلا عن تشـابههما فـي الموسـيقا الداخليـة والخارجية للأبيات.

وعلى الرغم من ذلك نجد أن ابن الأبار يسعى للتفوق والإبداع من خلال استعارة المعنى من سابقه ومعالجته وعرضه بصورة أكثر إبداعا وابتكارا كأن يعبر مثلا عن مذاق التمرة بريق المحبة التي ليس في حبها ريبة، كما في قوله:

كأن الذي تهديه من تمرها اغتدى بريقة موموق ورقة وامق

كما أنه يتجه في وصفه اتجاها آخر فينتقل من وصف التمر إلى وصف شعر ابـن أبـي علـي ونثره الذي بعث به إليه، وذلك بقوله:

مننتَ بها منثورةً وشفعتهَـا بمنظومةٍ كالعقدِ في نحر عاتقِ

من الكلم اللاتي انتمينا إلى العلا وشرّفن بالتسديد بيضَ المهارقِ

ولا يخفى أن دافع النظم مختلف عند كلا الشاعرين، فقد جاءت قصيدة ابن عمـر لتبيـن قيمـة الهدية التي بعث بها، أما قصيدة ابن الأبار فقد جاءت من منطلق الشكر لأبي علي عمر على مـا أسداه إليه.

---

[1] العاتق: ما بين المنكب والعنق.

[2] ابن الأبار ، الحلة السيراء: ٢/٢٨٦-٢٨٧. المهرق : الصحيفة البيضاء يكتب فيها والجمع مهارق

معارضات في وصف المياه والأنهار:

كما تميزت الأندلس بكثرة الأنهار والبحار والجداول، وقد تغنى بها الشعراء وأكثروا من وصفها، ولكن وصفهم لها كان يأتي ممتزجا بأغراض أخرى فقلما نجد قصيدة مستقلة في وصف نهر أو بحر، وإذا وجدت تكون في مقطوعات قصيرة، ومن ذلك معارضة بين ابن الأبار وابن غالب الرصافي في وصف نهر ألقت عليه ظلها دوحة، إذ قال الرصافي في وصفه نهر ألقت عليه ظلها دوحة:

ومُهدّلِ[١] الشطّينِ تحسبُ أنّهُ ... متسيّل من دُرّةٍ لصفائهِ

فاءَتْ عليه مع الهجيرة سرحةٌ ... صدئت لفيْئَها صفيحةُ مائهِ[٢]

فتراه أزرقَ في غلالةِ سَمْرَةٍ ... كالذّارع استلقى بظلّ لوائهِ[٣]

فعارضه ابن الأبّار بمقطوعة يصف نهرا فاء عليه ظل الدوح:

ونهرٍ كما ذابت سبائكُ فضّةٍ ... حكت بمحانيه انعطافَ الأراقمِ

إذا الشّفقُ استولى عليه احمرارُه ... تبدّى خضيباً مثل دامي الصّوارمِ

وتحسبهُ سنّتْ عليه مفاضةٌ ... لإرهابِ هبّاتِ الرياح النّواسمِ

وتطلعهُ في دُكنةٍ بعد زُرْقةٍ ... ظلالٌ لأدواحٍ عليه نواعمُ

كما الفجّرُ المطلُّ على النّجى ... ومن دونهِ في الأُفقِ سحمُ الغمائمِ[٤]

فقد اتفق ابن الأبار مع الرصافي في المضمون والأفكار وقد تبعه في كثير من الألفاظ والمعاني والصور وفي الجو العام للقصيدة ، فمن مظاهر الالتقاء بين الشاعرين قول ابن الأبار :

وتطلعهُ في دكنةٍ بعد زرقةٍ ... ظلال لأدواح عليه نواعمُ

فقد أخذه من قول الرصافي :

فتراهُ أزرق في غلالةِ سمرةٍ ... كالذّارعِ استلقى بظلّ لوائهِ

---

(١) المهدل: المسترخي.

(٢) فاءت: مدت فيئها أي ظلها ، وصدئت: ظهر الظل على صفحة النهر كالصدأ على صحيفة لامعة.

(٣) الرصافي ، الديوان:٣٢.

(٤) ابن الأبار، الديوان: ٢٩١-٢٩٢.

ولكنه أخل بالوزن والقافية فقصر عن الرصافي في ذلك.

وفي قصيدة ابن غالب الرصافي التي نظمها في وصف بلنسية، إذ قال بيتا في مائها يصف صفاءه والأزهار مشتبكة في نواحيه، وهو:

وماءٌ كترصيع المجرة جللّت نواحيه الأزهارُ فاشتبكَتْ زُهرًا[1]

فأخذ منه صفوان بن إدريس هذا المعنى في معارضته له في وصف مرسية وقال في وصف صفاء ماء الخليج:

إذا ما بدَا فيها الهلالُ رأيْتَـهُ كصفحةِ سيفٍ رسمها قبعةٌ صفْرَا

وإن لاَح فيها البدرُ شبّهتَ متنَهُ بشطّ لجينٍ ضمّ من ذهبٍ عشرَا[2]

وكما وصفوا الماء وهو في حالة السكون والهدوء وصفوه أيضا وهو متلاطم الأمواج، ومن ذلك أن كان ابن زرقون وابن عياش[3] ذات يوم على بحر المجاز وهو متلاطم الأمواج، فقال ابن زرقون[4] يصفه:

وملتطِمُ الغواربِ موّجتهُ بوارحُ في مناكبـــها غـــيومُ[5]

فقال ابن عياش:

تمنـــّع لايعـــوم به سفيـــنُ ولو جذبت به الزهرُ النجومُ[6]

وقد جاءت المعارضة بينهما تامة لاتفاقهما في الوزن والقافية والروي ، كما تشابها في المعنى والمضمون، كلاهما يصف البحر ويبين شدة تلاطم الأمواج فيه، بحيث يتعذر نزوله ولكنهما اختلافا في الصور والألفاظ .

---

[1] الرصافي، الديوان: ٧٠.

[2] صفوان بن إدريس، زاد المسافر :٢٦.

[3] هو أبو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عياش التجيبي من أهل برشانة، وكان رئيسا في صناعة الكتابة حيث استكتبه السلطان في المغرب، ولد عام ٥٥٠هـ وتوفي بمراكش عام ٦١٨هـ. ترجمته في زاد لمسافر لصفوان بن إدريس : ١٣٦ .

[4] هو أبو الحسين محمد بن سعيد المعروف بابن زرقون، أحد الفقهاء المبرزين، وقد كتب عنه من الجلة أبو الربيع بن سالم، وتوفي عام ٦٢١هـ. ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار : ٣٣٤.

[5] غوارب الماء : أعلى موجه . والبارح : الريح الحارة .

[6] المقري، النفح:٧/٤٤٧.

أصحابه يبثه فيها شوقه وحنينه إليه راغبا بعقد مجلس أنس بمعيته، ومن ذلك دعوة أبي عبد الله ابن أبي الخصال[١] إلى محمد بن عيسى الزهري[٢] يستدعيه إلى مجلس أنس، قائلا:

إني أهزُّكَ هز الصّارمِ الخذمِ[٣] وبيننا كلُّ ما تدريه من ذممِ

ذاك شاكٍ من قطع أُنسٍ أنت واصله بما لديك من الآداب والحِكَمِ

وشتّى شمل كرامٍ أنت ناظمهُ وردّ دعوة أهل المجدِ والكرمِ

ولو دعيت إلى مثلها لسعتْ إليك سعي مشوقٍ هائمٍ قدمِ

وإن نشطت لتصريفي صرفتَ له وجهي وكنتُ من الأعوانِ والخدمِ

وما أريد سوى عفوٍ تجودُ به وفي حديثِكَ ما يشفي من الألَمِ

أنت المقدّم في فخرٍ وفي أدبٍ فاطلع علينا طلوع السّيدِ العممِ[٤]

فقال ملبيا للدعوة، على الوزن والقافية والروي بمعارضة تامة:

أتىٰ من المجد أمرٌ لا مردّ له نمشي على الرأسِ فيه لا على القدمِ

لبيكَ لبيكَ أضعافاً مضاعفةً إني أجبتُ لكن داعي الكرمِ

لي همّةٌ وللأهل العزّ مطمحُها لا زلت في كلّ مجد مطمح الهممِ

زفنٌ[٥] ورقصٌ ما أحببت من مَلَحٍ عندي وأكثر ما تدريه من شيمِ

حتى يكون كلام الحاضرين بها عند الصّباح وما بالعهد من قدمِ

---

[١] هو محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال الغافقي إمام بليغ محدث الحجة يكنى أبا عبد الله أصله من فرغليط من شقورة من كورة جيان ، وسكن قرطبة وغرناطة. ترجمته في الإحاطة للسان الدين : ٢/ ٣٨٨.

[٢] هو محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري من أهل قرطبة يكنى أبا بكر توفي سنة ٥٥٥هـ ، كان أديبا محسنا شاعرا حلو الكلام مليح التندر. ترجمته في الإحاطة للسان الدين: ٢/ ٤٩٥. والمغرب لابن سعيد : ١/ ٩٩-١٠٠

[٣] الخذم : السيف الماضي القاطع.

[٤] لسان الدين، الإحاطة: ٢/ ٤٩٥.

[٥] الزفن: الطرب.

يا ليت السفح هل عـدت ثانـية سقى زمانك هـطالٌ مـن الديـم[1]

ونجد أن الشاعرين يتفقان في كثير من المعاني والأساليب والجو العام لكلا القصيدتيـن، فكلاهما يضمن قصيدته معنى المدح، ولكنهما لا يلتقيا في الألفاظ والصور الا بشيء يسير، ومـن مواضع التشابه بين الشاعرين قوله الزهري :

لـبيكَ لبيكَ أضعافاً مـضاعـفةً إنـي أَجـبتُ لكـن داعـي الكرمِ

فهو من معنى المدح عند ابن أبي الخصال في قوله :

ذاكَ شاكٍ من قطعِ أُنسٍ أَنتَ واصله بـما لدَيكَ مـن الآداب والحكـمِ

وكان أصحاب هذه المجالس من الطبقة المترفة التي توغل في اللهو والمجون، فيقضـون أوقاتهم بين قداح الراح يتطارحون الشعر فيما بينهم، ومن ذلك مجلس أنس عقده أبو جعفر بـن سعيد وابن سيد المعروف باللص[2]، وقد استمر مجلسهم من المساء حتى الصباح فعندما قـاربت الشمس على المغيب قال أبو جعفر واصفا ذلك:

انظر إلى الشمس قد ألـ صقت على الأرضِ خدّا

فقال ابن سيد:

هـي المرآةُ ولكنّ من بعدها الأُفق يصـدا

فقال أبو جعفر:

مدّت طرازاً على النهـ ر عندمـا لاح بـردا

فقال ابن سيد:

أهـدتْ لطرفِكَ منه ما للأَكـارِم يهـدى

فقال أبو جعفر:

درع اللَّجينِ علـيـه سيفٌ من التبـر مـدّا

---

[1] لسان الدين، الإحاطة: ٢/ ٤٩٥-٤٩٦.

[2] هو أبو العباس أحمد بن سيد الإشبيلي ، برز في الشعر ويعرف بابن سيد اللص، توفي عام ٥٧٧هـ. ترجمته في رايات المبرزين لابن سعيد: ٤٨ ، وتحفة القادم لابن الأبار :٥٩، وزاد المسافر لصفوان بن إدريس:٩٤.

فقال ابن سيد:

فاشـــرَبْ عليه هنيئًا وزدْ ســـــــرورًا وسعْدا [١]

واستمرا على هذه الشاكلة فأمضيا ليلتهما يصفان الطبيعة من حولهما بليلها ونجومها وزهرها إلى أن بزغ ضوء الفجر، فابتدر أبو جعفر قائلا :

نـــثـــر الطَّـــلُّ عقودَهْ ونَضا اللـــيلُ بـــــرودَهْ

فقال ابن سيد:

وبـــــدا الصبحُ بوجهٍ مُطلـــــعٌ فينا سعـــودَهْ

فقال أبو جعفر:

وغـــــــدا ينشرُ لمّا فـــتـــر اللـــيلُ بنـــودَهْ

فقال ابن سيد:

فـــهلُمَّ اشـــــربْ وقبّل مـــن غدا ينطِقُ عودَهْ[٢]

ومن الملاحظ على المعارضتين السابقتين بين أبي جعفـر وابـن سـيد، أن الشـاعرين متشابهان في أفكارهما ومعانيهما وتصويرهما، بحيث يرسمان صورة كلية من عدة صور جزئيـة بصياغة لفظية وتصويرية وأسلوبية متشابهة، فضلاً عن تشابههما في الوزن والقافيـة والـروي والحس الموسيقي.

ولم يقتصر وصفهم على مجالس الأنس فحسب وإنما تعداه إلى وصف مجالس الأدب والسماع، وقد استوحوا معانيهم فيها من مظاهر الطبيعة، ومنها أن أبا زكريا يحي بن عائد كان ينشد في أواخر مجالس السماع:

مجالسُ أصحاب الحديـث حدائـقُ تنـزهُ فـيها أعـيـنٌ وقـلوبُ[٣]

---

[١] المقري، النفح:٤/١٩٨.

[٢] المصدر السابق : ٢٠٠.

[٣] المراكشي: الذيل والتكملة: س٤/ ١٦٧.

فعارضه طلحة بن محمد بن عبد الملك الإشبيلي (ت٦٤٣هـ) بقوله:

مجالس أصحاب الحديث مدائن ... تنزّهُ فيها أعينٌ وقلوبُ

تفجّر ينبوع الشريعةِ وسطها ... فأينَع غصنُ العلمِ فهو رطيبُ

وأطلعتِ الأفنانَ زهرَ فنونها ... ريح الصَّبا عن نشرهنَ تطيبُ

كستْ شمس دين المصطفى كل ما بها ... فللنور في الأوراقِ روقٌ عجيبُ

ترى طالبي الآثارِ في رغدِ عيشهم ... جنابٌ رحيبٌ والمحلُّ خصيبُ

فللفكر قطفٌ ثم للنفسِ نعشةٌ ... وللعينِ من حسن الجميع نصيبُ[1]

وتتمثل نقاط الالتقاء بين الشاعرين في أساليب الصياغة اللفظية والتصويرية. فضلا عن المعنى والفكرة كما تشابها في الحس الموسيقي، وقد عارض بن طلحة البيت بمقطوعة فأضاف بذلك صوراً ومعاني وألفاظ جديدة فيكون بذلك قد تفوق على سابقه .

- معارضات في وصف المدن :

وقد اعتنى الشعراء الأندلسيون بوصف المدن الأندلسية، فاخذ كل منهم يصف مدينته ويتغنى بها ويبرز مظاهر جمالها، كما كان لبعد هؤلاء وغربتهم عن وطنهم ومدنهم أكبر الأثر في ذلك ، فقد تجرعوا مرارة الغربة، وكوت صدورهم نار الشوق، فاتجهوا إلى التغني بمدنهم والحنين إليها كوسيلة لتهدئة نار الشوق فها نحن نجد ابن غالب الرصافي يحن إلى بلنسية ويصفها بالعروس المتزينة بأبهى حلتها التي لا يفوقها في الجمال أحد من بنات جنسها، فاستهل قصيدته بمناجاتها والحنين إليها فوصفها ووصف طبيعتها وقد استنشق عبير عطرها وشذا زهرها ورائحتها الزكية، فقال فيها:

خليليَّ ما للبيدِ قد عبقتْ نشرَا ... وما لرُءوسِ الرَّكب قد رُنِّحت سكرَا[2]

هل المسكُ مفتوقاً بمدرجة الصَّبا ... أم القومُ أجروا من بلنسيةٍ ذكرا[3]

خليليَّ عوجا بي عليها فانَّهُ ... حديثٌ كبرد الماءِ في الكبد الحرّى

---

[1] المراكشي : الذيل والتكملة بقية س٤/ ١٦٨.

[2] النشر : طيب الرائحة. ترنح: تمايل من السكر وغيره.

[3] المدرجة: المكان الذي تدرج عليه الصبا، وبلنسية : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة ، وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار، وتعرف بمدينة التراب والغالب على أشجارها القراسيا.

قفا غير مأمورَيْن ولتصْدَيا بها ... على ثقةٍ للغيثِ فاستسقيا القطرا

ومنها:

بلنسيةٌ تلك الزّبرجدة[1] التي ... تسيل عليها كلّ لؤلؤة نهراً

كأنّ عروسا أبدعَ الله حسنها ... فصيَّر من شَرْخ الشباب لها عُمرا

توبّد فيها شعشعانيةُ الضُّحى ... إذا ضاحك الشمسُ البحيرةَ والنهرا[2]

تَزاحم أنفاسَ الرياح بزهْرِها ... رجوماً فلا شيطان يقربُها ذعْرَا

ويختمها بقوله:

هي الدُّرّة البيضاء من حيث جِئتها ... أضاءت ومن للدرّ أن يشبه البدر

معاهد قد ولّت إذا ما اعتبرتها ... وجدت الذي يحلو من العيش قد مرّا[3]

فنظر صفوان بن إدريس إلى قصيدة الرصافي هذه وأعجب فيها وترجم ذلك بمعارضة شعرية يحن فيها إلى مرسية ويصفها بالكاعب الحسناء التي أتم الله حسنها وقد تبع خطى الرصافي إذ استهل قصيدته في مناجاة مرسية والحنين إليها، ثم إلى وصفها، ومطلعها:

لعلّ رسولَ البرقِ يغتنم الأجْرَا ... فينثر عنّي ماء عبْرَتهِ نَثْرَا

ومنها:

خليليّ أعني أرضَ مرسيةَ[4] المُنى ... ولولا تَوخي الصِدقِ سمّيتها الكُبْرَى

محلّيَ بل جوّيَ الذي عبقتْ بهِ ... نواسِمُ آدابي معطّرةً نشرَا

ووكْري الذي منه درجْتُ فليْتني ... فجعتُ بريشِ العزمِ كي ألزَمَ الوكرَا

---

[1] الزبرجد: الزمرّد .

[2] توبد: تقيم أبدا، لا تبرح تحبس عليها. والشعشعانية: أي الأنوار الشعشانية. والبحيرة: بحيرة معروفة في بلنسية تزيد في ضياء بلنسية ضحوة الشمس عليها.

[3] الرصافي، الديوان : ٧٠- ١٧.

[4] هي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير، وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها.

وما روضةُ الخضراءِ قد مثّلتْ بها مجرَّتُها نـهْراً وأنجُمُهـا زَهـرَا[1]

ومنها:

هي الكاعبُ الحسناءُ تمّ حُسْنَها وقدّتْ لها أوراقُها حُلاًّ خضـراء

إذا خُطِبتْ أعطتْ دراهم زهرِها وما عادةُ الحسناءِ أن تنقُـدَ المهرَا[2]

من الملفت للنظر أن الشاعرين متعاصران وأنهما عاشا تجربة مريرة تجرعا فيها مـواره الغربة وألم الحرمان بابتعادهما عن بلادهما وأهلهما، وعانا من نار الشوق المتقدة في أحشـائهما وشبح الحنين الذي يراودهما كلما هب النسيم من بلادهما أو ورد ذكرها، وكان ذلك دافعا قويـا للتشابه الكبير بينهما، الذي تمثل في الألفاظ والمعاني والتراكيب والصور، فضلا عن تشـابههما في التقسيم، فقد قسم الرصافي قصيدته قسمين : فجعل الأول في الحنين والشـوق، أمـا الثـاني فجعله في وصف بلدته بلنسية وطبيعتها الخلابة. وعلى هذا سار صفوان بن إدريس فـي تقسـيم معارضته،.ولا يخفى اتحادهما في الترنم الموسيقي ودوافع النظم، فقد نظم الرصـافي قصيدتـه بدافع الحنين والشوق الذي يقوده إلى بلنسية التي لا يتمكن من الوصول إليها فأطلق لخياله العنان ليحلق في دنيا الشعر لعل ذلك يخفف من معاناته، أما صفوان بن إدريس فقد أعجب فـي هـذه القصيدة فوجد فيها مثالا يحتذى في التعبير عن شوقه لأهله وبلده.

وعلى الرغم من أن صفوان بن إدريس كان مقلدا للرصافي تقليدا تاما إلا أننا لـم نلمـح في معارضته التصنع العاطفي، بل كانت عاطفته صادقة مشبوبة بالحزن والأسـى، بـل نجـده يتفوق على الرصافي بإضافته معنى الأمل والتفاؤل في العودة إلى بلده واللقاء، إذ قال في ختـام معارضته:

ولستَ وإن طاشَتْ سهامي بأيسٍ فإنّ مع العسرِ الذي يُتقىَ يُسرَا

كما تفوق بطول نفسه الشعري؛ إذ جاءت معارضته بإحدى وخمسين بيتا في حين جاءت قصيدة الرصافي في ثمانية وأربعين بيتا فقط.

---

[1] المجرة: هي مجموعة كبيرة من النجوم تركزت حتى تراءت من الأرض كوشاح أبيض يعترض في السماء.

[2] صفوان بن إدريس، زاد المسافر.:٢٦.

- معارضات في وصف المباني ومظاهر الحضارة والعمران :

لم يغفل الأندلسيون عن وصف مظاهر الحضارة والعمران من أبنية ودور وقصور ومساجد وحمامات، كما وصفوا وأكثروا من وصف الدواليب التي كانت تبنى على ضفاف الأنهار في وصف الأبنية قصيدة لأبي الوليد القسطلي[1] يمدح فيها أبا الحسن خالد بن حسون ويصف بناءه لمنزل أزرق وهي رياض في الجزيرة الخضراء، إذ يقول في وصف المنزل وينتقل منه إلى مدح الوزير خالد بن حسون:

بنيتَ بدارةِ القمريِّن داراً ... فدعْ غُمدانَ[2] أو إيوانَ دارا

بطودٍ مشرفِ الجنباتِ عالٍ ... كأنَّ على النجوم له مدارا

وقد غرستْ أياديكَ المعالي ... حفافيهِ وأعبدُكَ الثِّمارا

ثم قال مادحا:

فمن يكَ سائلاً عنِّي فإنِّي ... نزلتُ بأكرم الثَّقلين جارا

أبي الحسنِ بن حسُّون الذي لا ... يُجارى في السَّماحِ ولا يبارَا

وختمها:

وفوق الدَّوْحَةِ الغنَّا عديرٌ ... تلألأَ صفحةً وصفا قرارا

إذا ما انصبَّ أزرق مستقيمًا ... تدوَّم في البحيرةِ واستدارا

يجرِّدُهُ فم الأنبوبِ صلتاً ... حساماً ثمَّ يفتلُهُ سوارا[3]

فعارضه صفوان بن إدريس التجيبي مادحا الوزير أبا عمر بن الوزير أبي الحسن خالد بن حسون وواصفا المنزل :

---

[1] هو أبو يونس بن محمد القسطلي من أهل الجزيرة الخضراء ، كان من خيار البلغاء وفحول الشعراء متصرفا في أساليب الأدب، كتب لبعض الولاة وصنف، توفي عام ٥٧٦هـ. ترجمته في المغرب لابن سعيد : ٣٢٨/١، و المطرب لابن دحية :٣٤١، والخريدة للعماد الأصفهاني: ٤٤٣/٤.

[2] غمدان: قصر لسيف بن يزن باليمن.

[3] صفوان بن إدريس، زاد المسافر: ٥٩.

ومذ خيَّمتَ بالخضراءِ دارا وزنت بشسعِ نعلي تـــاجَ دارا[1]

توهَّمت السماء بها محـــلّي لأني للنجومِ أقـمتُ جـــارا

ومنها:

وما قالوا لها الخـضراءَ إلاّ لأنّ كانـــت لأنـــجمِهِمُ مدارا

ومنزلنا بأزرق كوثـــريٍّ بمـــنزل أزرقٍ ما إن يُجارا

لبسنا للغديرِ به دروعـــاً وجـرَّدنا جداوله شِـــفارا[2]

ومنا:

وطودٍ لو تُزاحِـــمُ منكبـــاهُ نظـــام النَّجمِ لانتثر انتِثارا[3]

سما فتشوَّفتْ زَهر الدَّراري إلـــيه فنكَّسَ الرأسَ احتقارا

وختمها:

أبو عمرٍو بن حسّون الـــذي لا تشَـــقُّ الـــنيراتُ له غـــبارا[4]

ولا عجبٌ بسؤدده صغـــيراً فإن الخـــيل أنجـــبت المَهارا

وإن السَّهـــمَ وهو أدقُّ شـــئٍ يفـــوتُ الرمح سبقاً وابتدارا[5]

وعند المقارنة بين القصيدتين نجد أن أبا الوليد القسطلي قد بدأ قصيدته بالمدح وخلع على ممدوحه صفات الكرم ثم انتقل إلى وصف المنزل الذي بناه الوزير أبو الحسن خالد بـــن حسون، أي تضمنت غرضي المدح، والوصف فجاءت على قسمين، أما قصيدة أبي بحـــر صفوان بن إدريس فنجده يقسمها إلى ثلاثة أقسام : الأول : توجه به الشاعر إلـــى مـــدح الإخوان الذين رعوه وقصد بهم الوزير وحاشيته، في حين خصص القسم الثاني لوصـــف المنزل الأزرق وبين صفاته ومحاسنه، أما الثالث: فكان مدحا خاصا للوزير أبي عمر بن

---

[1] الشسع : سير يمسك النعل بأصابع القدم ، ومن المكان : طرفه.

[2] الشفار: السيوف.

[3] المنكب : الموضع المرتفع من الأرض.

[4] النيرات : النجوم.

[5] صفوان بن إدريس، زاد المسافر: ٦٠- ٦١.

حســون، وقــد ختــم أبو الوليد يونس القسطلي قصيدته به وجاءت في أحد عشر بيتــا، وقد فاقه صفوان بن إدريس بذلك إذ بلغت قصيدته ثلاثة وعشرين بيتا، قد تبــع القســطلي فــي انتقاء بعض ألفاظه ومعانيه، فإذا قال القسطلي:

بطودٍ مشرف الجنباتِ عالٍ كأنّ على النجوم له مدارا

قال صفوان :

وطودٍ لو تزاحِــم منكبــاهُ نــظام النّجم لا نثر انتثارا

وإذا قال يونس القسطلي:

أبي الحسن بن حسّون الذي لا يجارى في السّماح ولا يبارَا

قال صفوان:

أبو عمر بن حسّون الــذي لا تــشقّ الــنيراتُ له غــبارا

والمعارضة بينهما تامة الأركان.

ومن مظاهر الحضارة العمرانية في الأندلس كثرة المساجد فقد انتشرت وكثرت وخاصــة في عصر الموحدين تمشيا مع الدعوة الموحدية وتمسك الناس بالدين الحنيف، وقــد كــان لــها نصيب من الشعر، ومن ذلك معارضة بين أبي إدريس التجيبي وابن مرج الكحــل وأبــي علــي الكناني[1]، إذ مروا على مسجد في مرسية فقال صفوان بن إدريس في وصفه :

قُدستَ يا بيتاً في البيوتِ ودُمــتَ للدين في ثبوتِ

فقال ابن مرج الكحل:

يعمرُكَ الناسُ في سجــودٍ وفــــي ركوعٍ وفي قنوتِ

فقال أبو علي المكناسي:

---

(١)هو أبو علي الحسن بن عبد الرحمن الكناني الأستاذ من أهل مرسية ويعرف بالرفاء ، توفي عام ٦٣٣هـ. ترجمته في المقتضب: ٢٢٤.

وإن نبا في الغريبِ بيتٌ كنت له موضع المبيتِ[١]

ونجد أن الشعراء متفقون في الأفكار والمعاني والوزن والقافية والروي ، والمعارضة تامة الأركان.

كما أكثر الأندلسيون من بناء الحمامات والوفود إليها، وإذا اجتمع فيها الشعراء كانت دافعا في إنشاء المعارضة بينهم، ومن ذلك أن دخل ابن غتال[٢]وأبو بكر بن مغاور[٣]وصاحب لهما حماما من جهة شاطبة [٤]، فهب عليهم هواء بارد فقال ابن مغاور:

شَرُفتَ بحمام النوارِ بيار فدخانه تَعْشَى به الأبصارُ

وقال الآخر:

بينا تروم تنعماً في دفنه يغشاك قرٌّ ما عليه قرارُ

فقال ابن غتال:

لو أن لي فيه عصا موسى على آياتها ما فر عني الفارُ[٥]

وقد جاءت المعارضة تامة الأركان.

وقد انتشرت الدواليب في الأندلس بشكل كبير، نتيجة لكثرة الأنهار فانشأوها على ضفاف الأنهار، ولفتت أنظار الشعراء فوصفوها ووصفوا ماءها وحركتها وصوتها، ومن ذلك قول ابن الأبار في وصف الدولاب:

ورافضةٍ من مائها في هوائها نثاراً يريها في عِداد النواصبِ

---

[١] المقري، النفح،:٢/٢.

[٢] وهو أبو الحكم جعفر بن يحيى المعروف بابن غتال توفي عام٥٩٦هـ. ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار: ٢٨ ، والمقتضب: ٨١ .

[٣] هو أبو بكر بن مغاور من أهل شاطبة ومن جلة الكتاب والمشاهير في الأندلس، كان بارعا في الشعر له ديوان اسمه (نور الكمائم وسجع الحمائم.) توفي عام ٥٨٧هـ .ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار: ٢٨ – ٢٩.

[٤] هي مدينة في شرق الأندلس وشرقي قرطبة وهي مدينة كبيرة وقديمة وكنيت بذلك اشتقاقا من الشطبة وهي السعفة الخضراء الرطبة.

[٥] ابن الأبار، تحفة القادم:٩م.

تَمُجُّ[١] كبار الدُّرِ في دورانها ... فلو لقطتْ زانت نحور الكواعبِ

وتفرع أنواع الفُروعْ صوادقاً ... دلاءً لها منهلّةٌ كالسّحائبِ

بناتُ الرياضِ العينّ من أخواتها ... فتبكي عليها بالدموعِ السواكبِ

ومنها:

فإن يك للماء السّلاسلِ[٢] روحُها ... فجثمانَها في الدّوح عالي المناسبِ

ومن الخائضات[٣] النهر يسمو حَبابه ... فيذْكرُ من حسنٍ ثغور الحبائبِ

ويختمها:

فتأتي له مِثْل الغياث لوقْتِه ... بمنسابةٍ منساحةٍ في المذانبِ

أراقمُ للبستان خيرُ رَواقِم ... سوالبَ للأشجانِ خير سوالبِ[٤]

فعارضه بذلك أبو علي بن الحسين[٥]، وهو ابن عم علي بن سعيد المغربي، بقوله:

وْمحنية الأصلابِ تحنو على الثّرى ... وتسقي نبات التّربِ دَرّ الترائبِ[٦]

ترى نصفها العُلْويّ قوساً مُرِنّةً ... ترامي سهامَ الماءِ عن كل جانبِ

تعدّ من الأفلاك إنّ مياهها ... نجومٌ لرجم المحلِ ذات ذوائبِ

وأطربتها رقصُ الغصونِ ذوَابلا ... فدارت بأمثال السيوف القواضبِ[٧]

وما خلتها تشكو بتحنانها الصّدى ... ومن فوق متنيها أطّراد المذانبِ[٨]

---

[١] مج الماء: لفظه.

[٢] الماء السلامل: العذب الصافي السلس السهل، إذا شرب تسلسل في الحلق.

[٣] المخاض من النهر الكبير: الموضع القليل الماء الذي يعبر فيه الناس النهر مشاة وركبانا.

[٤] ابن الأبار ، الديوان:٦٣- ٦٤.

[٥] هو الوزير العالم الرئيس أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبي الحسين بن أبي سعيد، توفي بعد عام ٦٤٠هـ . ترجمته في رايات المبرزين لابن سعيد: ٦٤.

[٦] الأصلاب مفرد صلب: وهو فقرات عظام الظهر، والترائب: عظام الصدر.

[٧] جمع قضيب: وهو من السيف : القاطع.

[٨] القواضب : جمع قضيب . المذانب : جمع مذنب وهو : مسيل الماء إلى الأرض، والمذنب أيضا الذيل الطويل.

وتحسبها والرَّوض شربـاً وقينـــةً كمن حولها ما بين شادٍ وشاربِ

كـــأن مجاريها ودهـــمَةٌ لونهـــا بياضُ العطايا في سوادِ المطالبِ[١]

لقد تشابه الشاعران في طرح أفكارهما ؛ إذ ركزا على وصف هيئة الـدولاب وحركتـه وبيان أجزائه والفائدة منه ؛ إذ ينساب الماء منه ليسقي النبات، وتكمن المعارضة في اقتفاء ابـو علي لمذهب ابن الأبار في المعاني والصور والأسلوب وبعض الألفاظ والتراكيب، وقد تفوق أبـي الأبار في طول نفسه الشعري في القصيدة.

- معارضات أخرى في الوصف:

تعددت اتجاهات الأندلسيين في الوصف، فلم يتركوا شيئا لم يصفوه فكما وصفوا الطبيعـة الخلابة الفاتنة بأزهارها ورياضها ومياهها وصفوا أيضا البراري الموحشـة، وبينـوا وحشـتها والرهبة منها ومن ذلك يذكر ابن سعيد[٢] إنه خرج مع والده[٣] يوما إلى البريـة، فقـال والـده واصفا لها:

ومجهلةٍ معروفةٍ بتوحُّشٍ يصير بها قلبُ الشُّجاع جبَانَا

فقال ابن سعيد معارضا:

ترى الآل[٤]فيها خائفاً متعطِّشا يمد إلى لفح الهجير لِسانَا

لبستْ بها شمس الظَّهيرة حُلَّـة مذهَّبة حيث الهجيرُ كَسانا

---

[١] ابن سعيد، رايات المبرزين: ٦٤.

[٢] هو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ولد عام ٦١٠هـ، وتوفي عام ٦٨٥هـ. صاحب كتاب (المغرب في حلى المغرب) ومن مؤلفاته أيضا كتاب (رايات المبرزين) و (اختصار القدح المعلى). ترجمته في كتاب المغرب لابن سعيد مقدمة المحقق :٣/١، ورايات المبرزين لابن سعيد مقدمة المحقق :٤.

[٣] هو أبو عمران موسى بن محمد بن سعيد بن عبد الملك بن سعيد ، اشتهر في حفظه التاريخ والاعتناء بالآداب في بلاده حيث لا يحتاج إلى تنبيه ولا إطناب ولد عام ٥٧٣هـ و توفي بثغر الاسكندرية عام ٦٤٠هـ. ترجمته في النفح للمقري: ٣٣٤/٢، والمغرب لابن سعيد : ٩٩/٢.

[٤] الآل: شجر رملي حسن المنظر، مر الطعم دائم الخضرة يؤكل ما دام رطبا فإذا جف دبغ به . السمع بالكسرة: هو الذئب من الضبع والسام: أي المتطلع.

وقد ثار من وَقع السنابك[١] قسطلٌ ... تخال لتلك النار منه دُخانا

ولا سمع إلا وهو سامٍ مذلّل ... يراقبُ أن يلقى الحمام عِيانا[٢]

وعند النظر في المعارضة نجد أن والد ابن سعيد هو الأصل الذي بفضله أنشئت المعارضة، إذ بين وحشة البرية ورهبتها، فجاء ابن سعيد ليؤكد هذه الفكرة فتبع والده في الفكرة والمضمون فأكد ما جاء به والده متفقا معه في الوزن والقافية والروي، إلا أنه فاقه بعدد الأبيات، والمعارضة صحيحة تامة.

كما اتجه الشعراء إلى وصف أصحابهم وبعض المقربين إليهم وإبراز عيوبهم بأسلوب سلس فيه روح الفكاهة والمداعبة والممازحة، ومن ذلك أن قال أبو الصلت أمية[٣] في وصف رجل ثقيل:

لي جليسٌ عجيب كيف استطاعتْ ... هذه الأرضَ والجبال ثقلُه

أنا أرعاه مكْرَماً وبقلبي ... منه ما يتلف الحياة أقلُّه

فهو مثل المشيب أكره مرأ ... ه ولكن أصونه وأجلُّه[٤]

فعارضه أبو الحسن بن الحاج الميورقي في[٥] في وصف رجل ثقيل أيضا:

لي صاحبٌ عميتْ علي شؤونُه ... حركاتُه مجهولةٌ وسكونُه

يرتابُ بالأمرِ الجليّ توهماً ... وإذا تيقّن نازعته ظُنونُه

ما زلت أحفظهُ على شَرَقي به[٦] ... كالشيب نكرهُه وأنت تصونُه[٧]

---

[١] السنبك من الأرض: الغليظة القليلة الخير.

[٢] ابن سعيد القدح المعلى: ٤ .

[٣] هو أبو الصلت الداني ، أمية بن عبد العزيز ، ولد عام ٤٦٠هـ وتوفي عام ٥٢٩هـ . ترجمته في الديوان : مقدمة المحقق .

[٤] الحكيم بن أبي الصلت ، الديوان : ١٣٢ .

[٥] هو جعفر بن إبراهيم بن أحمد بن سعيد بن الحاج الميورقي، من أهل جلالة ووزارة وكان مقدما في النثر والنظم وزاد انطباعا في طريقة الزهد، وكان عين مدينة لورقة ونسب إليها، وكان حيا عام ٥٧٢هـ. ترجمته في المطرب لابن دحية: ١٣٨- ١٧٥.

[٦] شرق به: شجى وغص.

[٧] المقري النفح: ٢/ ٣١٠ ..

وعند الموازنة بين طرفي المعارضة نجد أن الميورقي تبعه بالغرض والقافية والـــروي فضلا عن أنه تناول الفكرة نفسها والمضمون أيضا، ولكن نجد أبا الصلت في مقطوعته يســتثقل من صاحبه ويضجر منه في حين لم يرد هذا في مقطوعة الميورقي. كمــا أنــه أخــل بــالوزن فجاءت معارضته غير تامة.

ثانيا : الغـــــــزل

يعد الغزل من أبرز الأغراض الشعرية التي زخر بها شعرنا العربي القديم؛ إذ قلما نجــد قصيدة عربية قديمة لم يستهلها صاحبها بالنسيب ومناجــاة الحبيــب وذكــر الباديــة والأهــوال والمصاعب التي واجهها في سبيل الوصول إليه واللقاء به.

وقد ساعدت الطبيعة الأندلسية والحياة الحضرية الناعمــة ومجــالس الأنــس والرخــاء والخمر والغناء على استمرار هذا الفن، فقد شاع الغزل في عصر الموحدين ولم تضعفه الدعــوة الموحدية، وتميز بتحرره من الطريقة التقليدية إذ خفت نغمة البكاء على الأطلال وغلــب عليــه الطابع الغنائي الرقيق ؛ لذا وجدنا العديد من المعارضات التي تطالعنا في غرض الغــزل، فقــد عارض الأندلسيون في شعرهم الغزلي الشعراء القدامى من المشارقة والأندلسيين كما عــارضوا معاصريهم أيضا:

- معارضات في الغزل :

ومن أشعار الغزل المشرقية التي عارضها الأندلسيون بيتين للشريف الرضي وهما:

إذا ما قلت إني عنكَ سالٍ فذاك اليوم أعشَقُ ما أكونُ

فلا تخشَ القطيعة إن قلبي عليك اليوم مؤتمَنٌ أمينُ[1]

---

[1] ابن خميس ، أدباء مالقة: ٢٣٢.

فقد عارضها أبو بحر بن جامع المرسي[١] بمقطوعة شعرية ، قال فيها، وقد طلب إجازة بيتي الشريف الرضي:

ولا تخشَ مع الأيام حزناً ... فقلبي بعضه بعضاً يخونُ

وأين من السلوّ فؤاد صبٍّ ... له في كلّ جارحةٍ حنينُ

يعلّل باذكاركَ كلّ حينٍ ... ويخضع في رضاك ويستكينُ

فيسلى كلّ حبٍّ غير حبّي ... وتفنيني ولا تفنى الشجونُ[٢]

ونلاحظ أن طرفي المعارضة متشابهان في الوزن والقافية والغرض والروي، فضلا عن تشابههما في المعنى والمضمون؛ إذ تبع ابن بحر الرضي في فكرته، فأكد على إخلاصه لمحبوبته وتمكنها من نفسه وفؤاده بحيث يتمنى نسيانها، ولكن لا يقوى على ذلك، فتبع الأسلوب نفسه الذي اتخذه الشريف الرضي، وهو بذلك لم يأت بجديد إلا أنه تفوق على الرضي بطول نفسه الشعري ؛ إذ بلغت مقطوعته أربعة أبيات في حين اقتصرت مقطوعة الرضي على بيتين اثنين فقط.

ومن أشعار الغزل الأندلسية التي رغب شعراء عصر الموحدين في معارضتها مقطوعة للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر[٣]:

تملّكتَ يا مهجَتي مُهجَتي ... وأسهرتَ يا ناظِري ناظِري

---

[١] هو علي بن جامع المرسي المالقي، يكنى أبا البحر وأبا الحسن ، كان شاعرا مطبوعا أو أديبا بليغا، وكان كفيف البصر ، وكانت وفاته بعد ٥٦٧هـ ترجمته في أدباء مالقة لابن خميس: ٣٣١ ، والذيل والتكملة للمراكشي: س ٥ق١/ ٢٠٢- ٢٠٣.

[٢] هو عبد الوهاب بن محمد بن الفازازي، ولي القضاء، أيام أمير المؤمنين ، كان موصوفا بالجزالة والتنفيذ انتقل من مالقة إلى اشبيلية (٦٢٥هـ) ترجمته أدباء مالقة : ٣٣٠.

[٣] هو عبد الوهاب بن محمد القيسي المالقي بن الأصم المنشي، توفي عام ٥٩٨هـ. ترجمته في الذيل والتكملة للمراكشي: س٥ ق١/٧٥-٩٤.

وما كان ذا أملي يا مَلولُ[١] ولا خَطَرَ الهجر في خاطِري

فجد بالوصال فدتك النفو سٌ فلستَ على الهجر بالقادِرِ

وفيك تعلّمتَ نظم الكلام فلقّبني النّاس بالشّاعِرِ[٢]

وقد عارضه الفقيه أبو زيد الفازازي[٣] بقطعة حسنة في وزن الأولى ورويها وقريبة من معانيها وأسلوبها، وهي:

أَأسلوٌ وقد غبت عن ناظري ومَثّلَكَ الشّوْقُ في خاطِري

أيا غائبًا حاضرًا في الحشا ويا واصِلاً في حُلَى هاجِرِ

دعاء فتىً صدّعتهُ النّوى فأصبح كالمَثَل السّائِرِ

أكابد ليل النّوَى مفردًا ومالي- وحقّكَ- من ناصِرِ

وأذكرُ عابر أيّامنا فأبكي على الزّمن الغابِرِ

نظمت الغرام نثرت الدموع فسميت بالناظم الناثِرِ

فلا تنكرنّ ادّعاء الهوى فحسبُكَ من باطني ظاهري

عسى من قضى بالنّوى أوّلاً سيقضي بوصلك في الأخرِ[٤]

ومنها أيضا قطعة شعرية في مالقة لأحد الشعراء تحكي معاناة عاشق وقد مزجت بنوع من المداعبة والفكاهة، وهي:

أراود بعادي فأدنيتهم فقالوا: عجيبٌ عجيبٌ عجيبْ

فأهملت دمعي على وجنتي فقالوا: مريبٌ مريبٌ مريبْ[٥]

فناديت ففي الحي يا غربتي فقالوا: غريبٌ غريبٌ غريبْ

فقلت متى الوصل يا سادتي فقالوا: قريبٌ قريبٌ قريبْ

---

[١] الملول: السريع الملل.

[٢] الرعيني: برنامج شيوخ الرعيني: ١٣٧.

[٣] هو عبد الله بن محمد بن الفازازي، ولي القضاء أيام أمير المؤمنين أبي العلي بن المنصور كان موصوفا بالجزالة والتنفيذ، انتقل إلى إشبيلية عام٦٢٥هـ. ترجمته في أدباء مالقة لابن خميس: ٢٤٠.

[٤] الرعيني: برنامج الرعيني:١٣٨.

[٥] الريب: الظن والشك والتهمة، ورجل مريب فيه ريبة وشك.

فسلمت تسليم صب بهم　　فقالوا: حبيبٌ حبيبٌ حبيبٌ[١]

فاستغربت بمالقة ونالت إعجاب الشاعر ابن رضا المالقي[٢]،فقال معارضا:

نسبتُ بها في الهوى مُعلناً　　بذكرى فقالوا: نسيبٌ نسيبٌ

وأغربت في حبها طالباً　　رضاها فقالوا: غريبٌ غريبٌ

أهاب التصابي فلبيتُهُ　　وهيت فقالوا: مهيبٌ مهيبٌ

وكم قد كذبت فلم أنخدع　　لقيل فقالت: كذيبٌ كذيبٌ

أرابوا وإني لذو إربة　　وإرب فقالت: أريبٌ أريبٌ[٣]

عسى وطن سمعت منشداً　　يقول فقالت: حبيبٌ حبيبٌ[٤]

ويبدو تأثر ابن رضا وتقليده واضحا ابتداء من ذلك التقسيم الموسيقي في كلا المقطوعتين إلى أساليب الصياغة اللفظية واستخدام لغة الحوار، فضلا عن التقائهما في الوزن، والقافية والروي، والموضوع، والميل إلى الرقة والسهولة والبعد عن التعقيد في كلا المقطوعتين، ونجد ابن رضا قد اتجه إلى عرض معانيه ومعالجتها بطريقة تميزه بعض الشئ عن سابقه وقد كانت معانيه أكثر عمقا كما اختار ألفاظا جديدة لم يسبقه إليها الاخر إلا كلمة (فقالوا) وكان ذلك لإظهار إبداعه وتفوقه على سابقه ، الا أنهما تشابها في الجو العام ؛ إذ إن كلا المقطوعين تحكي معاناة عاشق يتمنى الوصل بمن يحب .

وقد وجدت المعارضات الشعرية الأندلسية في الغزل في عصر الموحدين على ضربين: أحدهما بين الشاعر ومحبوبته ؛ إذ وجدت المرأة المتحررة التي ظهرت بصورة غير محتشمة فهي تأتي طالبة لا مطلوبة، ويبرز ذلك في غزل حفصة الركونية التي لا تجد حرجا في أن تزور عاشقها وتعرض عليه نفسها، ومن ذلك قولها لعاشقها جعفر بن سعيد إذ قالت:

أزورك أم تزورَ فإنّ قلبي　　إلى ما تشتهي أبداً يميلُ

---

[١] ابن الأبار، تحفة القادم، :١١٠.

[٢] هو أبو عمر رضي بن رضا المالقي من أهل مالقة، وقد مات شهيدا بدانية أو إحدى ضواحيها بعد عام ٥٩٠هـ. ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار: ١١٠- ١١١.والمقتضب :٧٩، والوافي للصفدي :١٤/ ١٣١.

[٣] الأرب: الدهاء والفطنة، ورجل أريب ذو ذكاء وفطنة.

[٤] ابن الأبار، تحفة القادم: ١١٠-١١١.

فثغْرِي موردٌ عـذبٌ زلالٌ وفرع ذوائبي ظِلٌ ظلـيـلٌ

وقد أَمَّلْتَ أن تظما وتضحى إذا وافى إليكَ بـي المقـيـلُ

فيجاوبها ابن سعيد ملبيا دعوتها بما تطلبه، فيقول:

أجـلْكـمْ ما دام بي نهضةٌ عن أن تزورا إن وجدتَ السبيلْ

ما الروض زوَّاراً ولكنما يـزورُهُ هـبَّ الـنسيم العليلْ[1]

ولم تتحقق في معارضتهما مقومات المعارضة التامة؛ لاختلافهما في الوزن والروي وبذلك فقـد جاءت المعارضة ناقصة.

وكتبت له في أخرى تطلب وصله:

سار شعري لك عزيزاتـراً فأَعرْ سمْعَ المعالي شِفَهُ

وكذا الروضُ إذ لم يستطعْ زورةً أرسل عنه عرْفهُ

فجاوبها على الوزن والقافية والروي بمعارضة تامة، إذ قال:

قد أتـانا منك شعرٌ مثلما أطلع الأفقُ لنا أنجمهُ

وفم فاه بـه قد أقـسمتْ شفتي بالله أن تَلْثمهُ[2]

ومنها وقد طلب أبو جعفر الاجتماع بها فمطلته قدر شهرين، فكتب لها:

يا من أَجانبَ ذكر اسـ مه وحسبي عـلَامَهْ

ما إن أرى الوعد يُقضـى والعمر أخشى انْصِرَامَهْ

اليوم أرجـوك لا أن تكون لي في القـيامَهْ

لو قد بصرت بـحالي والليل أرخى ظـلامَهْ

أنوحُ وجـداً وشـوقاً إذ تستريح الحـمامَهْ

صـبٌ أطـال هـواه علـى الحبيبِ غَرامَهْ

---

[1] ابن سعيد، المغرب :٢ /١٦١.

[2] المصدر السابق : ١٦١

لمَـــنْ يتيـــهُ علـــيهِ ولا يـــرُدُّ ســـلامَهْ
إن لـــم تُـــنيلي أريـــحـــي فاليأسُ يثني زمامَـــهْ[1]

فأجابته بقطعة على الوزن والقافية والروي:

يا مُدَّعي في هَوَى الحســـ ـنِ والغـــرامِ الإمامَـــهْ
أتى قريضـــك، لـــكن لم أرض منه نـــظامَـــهْ
أمدَّعي الحـــبَّ يـــثني يأسٌ الحبيب زمامَـــهْ؟
ضللت كلَّ ضـــــلالٍ ولـــم تفـــدك الزعامَهْ

وختمها:

لو كنتَ تعرفَ عذري كففتَ غرب الملامَهْ[2]

لم تتفق قصيدة حفصة في جوها العام مع قصيدة أبي جعفر ، إذ نجد في قصيدته غـــزلا ممزوجا بنوع من العتاب العذب الرقيق، ويتمنى وصلها ويرجو اللقاء بها، في حيـــن نجـــد فـــي قصيدتها الصد وعدم الرضى.

أما الضرب الثاني: فهو يأتي بين الشعراء أنفسهم ومن ذلك بيتان لأبي محمد بـــن عبـــد الوهاب المالقي[3] يشكو فيهما من لوعة الهوى ونار الهجر، ويطلب فيهما الوصل من المحبوبـــة ، إذ قال:

بإحدى هذه الخيمات جارَهْ ترى هجري وتعذيبي تجاره
وكم ناديتُ يا هذي ارحمينا فلسنا بالحديدِ ولا الحجاره[4]

---

[1] المقري، النفح: ٤/ ١٧٣.

[2] المصدر السابق : ١٧٣.

[3] هو الفقيه أبو محمد بن عبد الوهاب ، كان فقيها عاقدا للشروط نافذا في العربية مجيدا للنظـــم والنـــثر، ولـــي الصلاة والخطبة بجامع مالقة بعد الخطيب أبي عبد الله الأستجي، كان مولده عام ٥٢١هـــ ووفاتـــه فـــي عـــام ٥٨٩هـــ. ترجمته في الذيل والتكملة للمراكشي : س٥ق١/ ٧٦.

[4] المراكشي، الذيل والتكلمة: س٥ق ١/٧٧.

وقد انشدهما لأبي الحجاج بن الشيخ المالقي (ت٥٦٣هـ) فأنشدهما أبو الحجاج لجماعة من أصحابه، فرغبوا[١]في معارضته وكان من بينهم أبو علي بن كسرى[٢]، فقال معارضا:

بإحدى هذه الخيمات جاره ... ترى هجري وتعذيبي تجارَهْ

وكم ناديتُ يا هذي ارحمينا ... فلسنا بالحديد ولا الحجارَهْ

سلي في مُلتقَى الخيلين زَحْفا ... إذا سَال الردى مني الإجارَهْ

هنالك تعرفين خطير قدرِي ... وتسترضين من حرٍّ نجارَهْ[٣]

وعند الموازنة بين مقطوعته وبيتي أبي محمد بن عبد الوهاب نجد أنه تبعه لفظا بلفظ ومعنى بمعنى، فضلا عن تشابههما في الوزن والقافية والروي والغرض وكانت المعارضة تحفل بالمقومات التامة.

وتظهر المرأة في شعر المعارضات أحيانا، متذللة خاضعة للحبيب تعاني من ألم الوجد والهجر وتستعطف المحبوب بوصلها، ومن ذلك قول ابن ذمام المرسي بمقطوعة تظهر فيها المرأة وهي تشكي لفرط الصبابة ولوعة الوجد وتطلب الاستعطاف والوصل فقال:

شكت يا ليتها تشكو لَفَرْطِ صبابةٍ ... ولوعة وجدٍ ألبستها الضَّنى بردَا[٤]

وقالت ودمع العينِ في ورد خدِّها ... يريك جمان الطلِّ إذ بلَّ الورْدا[٥]

أيا قمرٌ رفقاً على القلبِ إنَّه ... سقيمٌ ضعيفٌ ليس يحتملُ الصَّدّا

---

[١] رغب في معارضتها ثمانية من شعراء عصره، وهم أبو الحجاج بن الشيخ، والحاج أبو عبد الله بن سلمة، وأبو عبد الله بن الحناط، وأبو القاسم بن الكاتب، وأبو علي القرطبي، وأبو علي بن كسرى ، وأبو عبد الله الحجاري، والقرشي بن أحمد، انظر معارضاتهم في الذيل والتكلمة للمراكشي: س٥ ق١/٧٧-٨٣.

[٢] هو أبو علي بن محمد الأنصاري بن كسرى، شاعر مشهور في زمن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، توفي ما بين عام ٦٠٣هـ و٦٠٤هـ. ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار: ١٣٠- ١٣٣١، والنفح للمقري: ٣/ ٣٩٩.

[٣] المراكشي، الذيل والتكملة: س٥، ق١/٨٢.

[٤] الصبابة: الشوق ورقته أو حرارته. والوجد: الحزن.

[٥] الجمان: اللؤلؤ. والطل: الحسن المعجب من كل شيء.

فلو حمّلت شَمُّ الجبال من الهوى كبعض الذي حمّلتُهُ هدّها هـدّا[١]

معارضة لبيت ابن الغمر يتغزل فيه بحبيبته ويبين صفاتها ومحاسنها ، إذ يقول :

أُعَـانِقُ غصن البَانِ منها تعلُّلاً فأُنكِـرُهُ مسّـاً وأعرِفُهُ قـدّا

وعند النظر في المعارضة نجد أنها معارضة تامة لاتفاق طرفيها في الـوزن والقافيـة والروي والغرض، إلا أنه اتجه في الغزل اتجاه مختلفاً عن ابن الغمر؛ إذ جاءت مقطوعته بفكـرة واحدة وهي بيان مدى تمكن العشق من قلب المحبة وطلبها وصله والقرب منه، في حيـن جـاء بيت ابن الغمر بمضمون مختلف يتحدث فيه عن وصله لمحبوبته ووصف محاسنها والتغزل فيـها وكانت مقطوعته في أربعة أبيات في حين اقتصر ابن الغمر على بيت واحد، وقد تحققـت فـي المعارضة مقوماتها التامة.

وقد عبر الشعراء في معارضاتهم الغزلية عن ألـم الحـب والوجـد وطلـب الوصـل بالمحبوبة، دون أن يتعرضوا لوصفها حسيا أو النظر إليها من هذا الجانب، والأمثلة علـى ذلـك كثيرة، ونكتفي بذكر معارضة أبي محمد بن مطروح[٢]، إذ سئل تذييل هذا البيت:

وإذا ذكرتك لم أَجِدْ لك لوعةً إذ لا تفارقَ قلبي المعهودا[٣]

فقال على الوزن والقافية والروي، معارضا:

ما غبت عن قلبي فديتك لحظةً وكفى بقلبك لي لديك شهيدا

لكنّ حظّ العيـنِ منـكَ فقدتُـهُ فالشوقُ مني لا يزال جديدا[٤]

وقد اتجه الشعراء في شعر الغزل اتجاها آخر هو الغزل بالغلمان وساعدت حياة الـترف واللهو والمجون التي سادت بعض البيئات الأندلسية على انتشار هذا اللون من الغزل، فضلا عـن الحانات ودور اللهو الزاخرة بالمجان من روادها، وكثرة الغلمان الذين كانوا يباعون في أسـواق

---

[١] ابن الأبار ، تحفة القادم: ١٠٥- ١٠٦.

[٢] هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن مطروح التجيبي، كان قاضيا من أهل بلنسية، توفي بها والروم يحاصرونها في عام ٦٣٥هـ. ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار:٢٢٨.

[٣] ورد في تحفة القادم لابن الأبار أن هذا البيت للشاعر الجراوي المالقي، تحفة القادم لابن الأبار:٢٥٧.

[٤] ابن الأبار: تحفة القادم: ٢٢٩.

النخاسة آنذاك، ولكن الغزل الغلماني جاء بمقطوعات صغيرة لم يقصد الشعراء منه تحقيق أهداف جنسية، فقد يأتي لمداعبة الغلمان وممازحتهم أو للتسلية والترفيه عن النفس، ومن ذلك ما أورده صفوان بن إدريس إذ قال : حدثني بعض الطلبة في مراكش أن أبا العباس الجراوي[١]كان في حانوت وراق بتونس، وهناك فتى يميل إليه فتناول الفتى سوسنة صفراء وأومأ بها إلى خديه مشيرا تحريكا للشعراء، فقال أبو بكر بن مجبر[٢]متغزلا به:

بي رشأٌ وسَنْانَ مهما انثنى ... حار قضيبُ البانِ في قدِّهِ

مُذْ ولي الحسن وسلطانَهَ ... صارت قلوبُ الناس من جُنْدِهِ

أودع في وجنتيهِ زهرةً ... كأنّها تجزَعُ من صَدِّهِ

وقد تفاءلْتُ على فعلِهِ ... أنيّ أرى خدّي على خَدِّهِ[٣]

وقد عارضه صفوان بن إدريس التجيبي فقال:

أومَى إلى خدِّهِ بسوسنةٍ ... صفراءَ صيغتْ من وجنتيْ عبدِهْ

لم ترَعيني من قبله غُصُناً ... سوسنُهُ نابتٌ إذا وردِهْ

أعملْتُ زجري فقلتُ ربَّما ... قرَّب خدَّ المشوقِ من خدِّهْ[٤]

ونلاحظ أن مقطوعته هذه جاءت مشابهة لمقطوعة ابن مجبر في المعنى والقافية والروي، ولكنه أخل في الوزن وحركة حرف الروي فلم ترق معارضتهما إلى درجة التمام.

---

[١] هو أحمد بن الحسن بن سيد بن العباس الجراوي من كبار أدباء الأندلس توفي عام ٥٦٠هـ. ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار :٥٩ والوافي للصفدي: ٣٧/٩.

[٢] هو يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الاشبيلي أبو بكر، ولد عام ٥٣٥هـ وتوفي عام ٥٨٨هـ. وكان شاعرا بارعا في عصره . ترجمته في الإحاطة للسان الدين : ٤١٨/٤، وبغية الملتمس للضبي: ٤٩٣.

[٣] صفوان ابن إدريس، زاد المسافر : ٣٤،

[٤] المصدر السابق : ٣٤.

وفي المقامة المعروفة بالمقامة المحسنية[١]تغزل عدد من شعراء مالقة بالأديب عبد المحسن بن علي الأنصاري[٢] لما تميز به من جمال الصورة وحسن العشرة ومن ذلك ما كتبه أبو عمر بن سالم إلى أبي الحسين بن زعرور[٣]فيه:

قسماً بمجدِ أبي الحسين وحُسنهِ ... ما بالملاحِ شبيه عبد المُحسِنِ

هو مَلْكُ حُسنٍ قد رضينا حُكمهُ ... دون البريّة فليسَيءْ أو يُحسِنِ

قد صيّر الإحْسانَ فينا سيرةً ... لولاه ما حسُنتَ محاسِنُ محسنِ

فأجابه أبو الحسن بن زعرور معارضا بقطعة على وزن الأولى ورويها وقريبا من معناها:

يا مادحي بكلامه المُستَحسَنِ ... هلا اجتزيْتَ بمدحِ عبد المُحْسِنِ

ذاك الذي مهما أشار مسلّما ... أزرَتْ أنامِلُهُ بنور السّوْسَنِ

وإذا تكلّم أو تبسّم ضاحكاً ... خرست محاسِنُهُ جميع الألسُنِ

يا ليته، والله يكلأ حسنه، ... لو ذاد عنّي بعض ضرٍّ مسّني

فكفى به أن قُلْتَ في أوصافه ... لولاه ما حَسُنتَ محاسِنُ محسنِ[٤]

---

[١] هي مجموعة من القطع الشعرية القصيرة ذات قافية واحدة ووزن واحد وقد جمعها أبو عبد الله الجوني وسماها المقامة المحسنية؛ لأنها في الأديب عبد المحسن بن علي الأنصاري، وقد بدأها أبو عمر بن سالم بثلاثة أبيات بعث بها إلى ابن زعرور فجاوبه بأبيات مثلها وقيل أنها من الشعر الرائق المستظرف فأعجب بها عدد من الشعراء وعارضوها. أدباء مالقة لابن خميس : ٢٩٢ ، ومختارات في الشعر الأندلسي والمغربي: ٧٧ .

[٢] هو عبد المحسن بن علي بن عبد الله الأنصاري، يعرف بابن خرص، كان من طلبة مالقة ونبهائها ذكيا فطنا لوذعيا، كريم النفس عالي الهمة وحسن العشرة مات حديث السن ورجع في اخر عمره إلى الزهد . ترجمته في أدباء مالقة لابن خميس : ٢٩٢- ٢٩٨.

[٣] ترجم عبد الملك لأبي جعفر أحمد بن محمد بن زعرور العاملي وهو من جلة الأدباء، كان معاصرا لأبي زيد السهيلي في القرن الخامس، كما ذكر أبا أحمد جعفر بن زعرور وكان تلميذا لأبي محمد القرطبي المتوفي عام ٦١١هـ، ولكنا لم نقف على ما يؤكد لنا أيهما شاعرنا منهما ولكن يتبين من أبيات أبي عمر بن سالم إليه أنه من معاصريه ، انظر الذيل والتكملة للمركشي: س٥ق١/ ٢٠٢_ ٢٠٣.

[٤] ابن خميس، أدباء مالقة: ٢٩٣.

وفي غلام بديع الصورة يسبح في البحر، قال ابن سعيد: كنت يوما مع أبي عبد الحق الزهري القرطبي[١] بمالقة على الساحل. وكان هناك غلام بديع الصورة فتجرد من ثيابه وشق البحر كالسيف المهند، فقال أبو عبد الحق فيه:

جسمٌ هو الماء لطفاً وارته شُقّة ماءِ

فقال ابن سعيد:

لا بل هو النُّور أضحى يدبُّ في الظّلماءِ

فقال أبو عبد الحق:

يخفى كسيفٍ بغمْدِ ويَنْتَضَى للمضاءِ

فقال ابن سعيد:

كأنه نجمٌ رجم يَشُقّ ثوبَ السماءِ[٢]

وجاءت المعارضة تامة الأركان.

ثالثا : الإخوانيات :

وهي مراسلات ومكاتبات بين الشعراء، إلا أنها بلغت أوجها في عصر الموحدين لما شهده هذا العصر من نهضة ثقافية وأدبية، فكان الشعر وسيلة للتخاطب والاتصال والتفاهم بين الشعراء، وقد كثرت الرحلات في طلب العلم والحج ولأغراض أخرى، فكان الشعراء يلتقون بعضهم مع بعض فيكونون علاقات الأخوة والصداقة ويصير الشعر وسيلة اتصالهم الوحيدة بعد الفراق، وكثرت الاخوانيات بين الشعراء في البلد الواحد بل بين الأصدقاء والمقربين منهم، وهي بذلك لا تكون إلا بين المتعاصرين من الشعراء.

وقد اتجه الشعراء اتجاهات مختلفة في معارضاتهم الإخوانية ، فطرقوا أبوابا عدة وهي:

---

[١] هو كاتب أديب شاعر ، وكان أحفظ الناس بأشعار أبي نواس وقال فيه ابن سعيد: (وكثيرا ما جالسته باشبيلية ومالقة فرأيته من الممتعين وكأنما يعرف من ماء عذب معين). ترجمته في القدح لابن سعيد: ١٣٥. والمطرب لابن دحية : ١٢١ .

[٢] ابن سعيد ، القدح المعلى: ١٣٥.

معارضات إخوانية في المدح والشكر والثناء:

ويطالعنا في هذا المجال زخم كبير من شعر المعارضات ، إذ قضت طبيعة العلاقات الاخوانية وعلاقات الصداقة والمودة بين الشعراء بأن يحتل المدح النصيب الأكبر من إخوانياتهم حتى يكاد يكون السمة الغالبة على شعر المعارضات الإخوانية، حيث يتبادل الشعراء فيما بينهم عبارات المدح والشكر والثناء، ومن ذلك أن كتب سالم بن صالح الهمذاني

إلى أبي عبد الإله[1] خال ابن خميس صاحب أدباء مالقة قائلا:

يا مَنْ غدا بين أَهلِ العلْمِ كالعَلَمِ ... أزلْتَ بعض الذي أشكو من الأَلَمِ

أعملتَ فكري يا من لا مثالَ له ... في العلْمِ والحِلْمِ والآدابِ والحكَمِ

في قَصّة أنت تدري سر مَبْسَمِها ... جلوتَها كجلاءِ البدرِ في الظُّلمِ

أثبتَ خيراً أبا عبد الإله على ... من باتَ يشكر ما أوليت من نعمِ

حتى ثنى جيدَهُ بالجيد ملتفتاً ... إلىَّ ربُّ الجدي والجودِ والكرمِ

شخصٌ السّماح ومعنى كلّ معلوةٍ ... من خُصَّ بالخُلُقِ المحمود والشيمِ

ومنها:

سما إلى الأفق الأعلى فهمتُهُ ... ما همَّها غير أن تَسمُو على الهِمَمِ

موفّر العرضِ لكنّ وفرَ نائلِهِ ... مقسَّمٌ في ذوي الإثراءِ و العدمِ

مرفّع القدر مشهورٌ تواضُعُهُ ... يسدي ويعطي ويرعى خَالصِ الذممِ

ويختمها:

وإن شكوتَ إليه جور مظلمةٍ ... لم يرقُد الليلَ إشفاقاً ولم ينمِ

فاردُدْ جوابي فقد أصبحت في قلقٍ ... محالِفَ الوجد والأشجانِ والسّقمِ[2]

---

[1] لم أعثر على اسمه ولكنه ورد في قصيدة ابن سالم باسم عبد الإله.

[2] ابن حميس ، أدباء مالقة: ٣٦٢.

فأجابه أبو عبد الإله قائلا:

مالـي يدٌ بالـذي أوليـت من نعمٍ ... ولا أطيـق حياتي شُكْرَها بفمي

ولستُ أستطيع وصف بعضها أبداً ... حتى أؤلّفَ بين الماءِ والضَّرَمِ

صحيفةٌ قد أتتني منك محكمةٌ ... كأنّها راحةٌ تُهدي الى سَقِمِ

بدا بها عندما عاينْتُ أحرفها ... لاحت كمسكٍ على الكافورِ منتظمِ

شعر مصوغٌ من الشِّعرى ومِرْزَمها ... ومن عقيقٍ ومن درٍّ ومن حكمِ [1]

شتّى وألّفها السحر الحلال به ... كأنّ هاروت بين الفكرِ والقلمِ

كأنّما كوكبٌ ففي كلِّ قافيةٍ ... ما أحسن الشُّهْبَ في الألفاظِ والكلمِ

ومنها:

إنْ كان زَهْراً فمن يمناك منبتُهُ ... وإنما تنبتُ الأزهارَ بالدِّيَمِ

أو كان بحراً فأنتَ البحر في أدبٍ ... وعادةُ البحرِ قذفَ الدرِّ للأممِ

أكرم بمرسلها من ماجدٍ ورعٍ ... حلو الشمائلِ والأخلاقِ والشيمِ

قد رقّ طبعاً وقد راقت شمائله ... فهو الوجودُ وكلُّ الناسِ كالعدمِ

ومنها:

وصاغة الله من فَضْلٍ ومن أدبٍ ... حتى اغتدى فوق أنف المجد كالشَّمَمِ

من آل سالم من قوم لهم حسبٌ ... يضيئ كالبدر جلى ليلة الظُّلَمِ

الحاملون علومَ الدين إن تركت ... والحاكمون صروفَ الدهر بالحكمِ

ويختمها:

أرضعتني بلبان العلم مغتديا ... به فحسبي من قُربي ومن رحِمِ

بعثْتَ لي ببنات الفكر مُحْكمةً ... حرائراً فلذا وجهت بالخَدَمِ

---

[1] المرزم: اسم لعدد من النجوم اشهرها: مرزمان هما الشعريان: العبور، والغميصاء. والعقيقة: نواة رخوة كالعجوة تؤكل، والعقيقة: النهر.

وما قصّدتَ- وحاشا- أن أماثلها ومن يماثلُ بين السّيْف والزّلَمِ[١]

وإن تكُنْ صفةٌ للشعر تجمعها فليس حمرةُ خدٍّ كاحمرار دمِ[٢]

ولو وازنا بين القصيدتين لوجدنا أن قصيدة ابن سالم جاءت في محور واحد، جعله في المدح الخاص لأبي عبد الإله خال ابن خميس، فبين محاسنه وصفاته وأخلاقه الحميدة من علم وأدب وتواضع وحكمة وإغاثة للملهوف، في حين جاءت قصيدة عبد الإله على أربعة محاور:

أما المحور الأول: فقد جعله في وصف الصحيفة التي بعث بها ابن سالم إليه وما جاء فيها من شعر منظوم موزون مقفى.

وخصص المحور الثاني بعد حسن التخلص في مدح أبي عمرو بن سالم وما تميز به من علو الهمة والأدب ورقة الطبع.

وجاء المحور الثالث: في المدح العام لقوم آل سالم وما تميزوا به من علم ودين وحكمة .

أما المحور الرابع: فقد مزج به بين مدحه وشكره وثنائه لابن سالم على ما أكرمه به من مدح وما أفضل عليه من فضائل، وبين معاودته للحديث عن صحيفة ابن سالم ووصفها .

وقد جاءت القصيدتان متشابهتين في الوزن والقافية والروي والغرض، إلا أن أبا عبد الإله قد تعداه إلى المدح العام لقوم ابن سالم وأضاف معنى جديدا وهو الوصف ، كما كان نفسه الشعري أطول فتفوق بذلك على ابن سالم، والمعارضة بينهما تامة لاتفاقهما بالمقومات الأساسية للمعارضة التامة.

وقد كان الشعراء يستدعون بعضهم للالتقاء والتنزه في رسائل شعرية تحمل طابع المدح الإخواني، ومنها أن اجتمع ابن غالب الرصافي والكتندي وبعض أصحابهما في غرناطة واتفقوا أن يخرجوا للتنزه في نجد أو حور مؤمل وهما متنزهان في أشرف وأظرف متنزهات غرناطة ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع في ظاهر البلد، فقالوا ما لنا غنى عن أبي جعفر بن سعيد، فكتبوا له يدعونه:

---

[١] الزلم: السهم لا ريش عليه.

[٢] ابن خميس ، أدباء مالقة: ٣٦٣- ٣٦٤.

بعثنا إلى ربّ السماحة والمجد ... ومن ماله في ملّة الظرف من ندّ

ليسعدنا عندَ الصبيحة في غدٍ ... لنسعى إلى الحوار المؤمل أو نجدِ

ونسرّح منّا أنفساً من شجونها ... ثَوَتْ في شجونٍ هنّ شرٌّ من اللحدِ

ونظفر من بخل الزمان بساعة ... ألذّ من العليا وأشهى من الحمدِ

على جَدْول ما بين ألفاف دَوْحة ... تهزّ الصّبا فيها لواء من الرّندِ

ومن كان ذا شربٍ يخلّى بشأنه ... ومن كان ذا زهدٍ تركناه للزّهد[١]

وختموها بقولهم:

نظمنا من الخلاّن عقد فرائدٍ ... ولمّا نجد إلاّكَ واسطة لعقد

فماذا تراهُ لا عدمناك ساعةً ... فنحنُ بما تبديه في جنّة الخلد[٢]

ورشدك مطلوب وأمركَ نحوه ار ... تقابٌ وكل منك يَهدْي إلى الرشدِ

فكتب إليهم بجواب ملبيا دعوتهم، ويدعوهم عنده إلى حديقة كالجنة بجمالها، إذ قال يستهل قصيدته بوصف ما وصله من شعرهم:

هو القولُ منظوماً أو الدُّر في العقدِ ... هو الزّهْرُ نفّاحُ الصبا أم شَذا الوردِ[٣]

أتاني وفكري في عقالٍ من الأسى ... فحلّ بنَفْثِ السِّحْرِ ما حلّ من عقدِ

ومن قبل علمي أين مبعثُ وجههِ ... لتقديم عصرٍ أو وقوف على حدِّ

فكلُّ أوانٍ فيه أعْلامَ فضلِهِ ... ترادف مَوْج البحر ردّا إلى ردِّ

ومنها:

فسمعاً وطوعاً للذّي قد أشرْتَمُ ... به لا أرى عنهُ مدى الدهرِ من بدّ

فقوموا على اسم الله نحو حَديقةٍ ... مقلّدة الأجْياد مَوْشية البُردِ[٤]

---

[١] يقصد ابن غالب الرصافي وقد كان معهم وأظهر التزهد.

[٢] المقري: النفح: ٣/٥١٣.

[٣] الشذا: قوة الرائحة.

[٤] الوشي: نقش الثوب ويكون من كل لون. والبرد: كساء مخطط يلتحف به.

بها قبّةٌ تدعى الكمامــة فاطلعوا ... بها زهراً أذكــى نسيــماً من النــدِّ

وعندي ما يحتاج كــلُّ مــؤمّلٍ ... من الرّاح والمعشوقِ والكتبِ والنردِ

ويختمها:

ضمنتُ لمن قد قال إني زاهدٌ ... إذا حَلّ عندي أن يحول عن الزهدِ

فإن كان يرجوا جنّة الخُلدِ عَجلاً ... فعندي له في عاجلٍ جنّةُ الخــلدِ[1]

وتسير قصيدة أبي جعفر بن سعي على نهج القصيدة السابقة في معنى المدح، وترسـيخ مفهوم الصداقة والأخوة بين الشعراء ، والمحافظة على الود والصحبة ، والرغبــة فــي اللقــاء والمؤانسة بينهم ، كما اقتفى أثرهم في الدعوة إلى مجلس أنس عنده، كما تكمن المعارضــة فــي محاكاة مذهب القصيدة السابقة في المعاني والتراكيب ومجاراة منحاها في الأسلوب والصور.

- معارضات إخوانية في الحنين والشوق والمذاكرة :

كما نظم الشعراء إخواناتهم في المذاكرة والشوق والحنين لأيام النعيم والشــباب التــي قضوها معا، وقد كان للفراق الذي حل بين الشعراء وبعد المســافة بينــهم دافعــا قويــا لكــثرة المعارضات الإخوانية في هذا اللون من الشعر، ومن ذلك ما كتبه أبو بكر الكتنــدي إلــى ابــن غالب الرصافي يتمنى عودة الزمان الذي مضى لهما معا:

أعــندكمٌ يا ســاكني الــودّ أنكم ... بمرأىً على بعد المسافة من حمصِ

أتقضي الليــالي أن تلمّ بمــنزلٍ ... ألِفناهُ ما بــين الأراكــة والدعــصِ

وإني حريصٌ أن يعود بما مضى ... زمانٌ وما حرصُ المقاديرِ من حرصِ[2]

فجاوبه ابن غالب الرصافي:

سلامٌ أبا بــكرٍ علــيك ورحمــةٌ ... تحيةَ صدقٍ من أخ لكَ مُخْــتَصِّ

لعمري وما أدري بصدّع زجاجةَ ... عليكَ فقد تُدني الليالي كما تُــقصي

---

[1] المقري: النفح: ٣/٥١٥.

[2] الرصافي، الديوان: ١٠٢.

لقد بان عنّي يوم ودّعت صاحبٌ ... برئ أساليب الوداد من النقص

أقول لنفسي حين طارتْ بك النوى ... أخوك فريشي من جناحك أوقصّي

فباتتْ على ظهر النزوع إليكمُ ... تطير بما في الوكر أجنحةُ الحرص

إلى كم أبا بكرٍ نحوم بأنفسٍ ... ظماءٍ إلى عهد الأُجَيْزِع أو حمص

ومنها:

وكانَ لنا فيها هناك مآربٌ ... نطيعُ الهوى العذريَّ فيها ولا نعصي

ليالينا بالريِّ والعيش صالحٌ ... وظلُّك عنها غير منتقل الشخص

وما ذكرها لولا شفاً من علاقة ... تتبّعُها نفسي تتبُّعَ مستقصي

وددت أَبا بكر لو أنّي عالمٌ ... وللكون زندٌ يقدَحُ بالحرص[1]

هل الغيب يوماً مفرجاً لي بابَهُ ... فأنظر منه كيف أُنسكَ في حمص

ومنها:

بارزقَ سلّال الحسام وقد بدا ... يداعبُ كأسٍ تحرّكُ للرقص

وما معصمٌ رّيانَ[2] دار سوارُهُ ... على مثل ماء الدرّ في بشرٍ رخص

بأسمح منه في العيون إذ بدا ... ولا سيما والشمس جانحةُ القرص

خليج كخيط الفجر تتجرُّ فوقه ... ذيول عشّياتٍ مزخرفة القمص[3]

ولا شك في تفوق ابن غالب، فقد عارض مقطوعة سابقة بقصيدة طويلة جعل القسم الأول منها على ما جاء به سابقه وهو الشوق والحنين والمذاكرة لأيام الشباب التي خلت له مع صاحبه، وقد توسع بذلك فطرق وألفاظا وصورا، جديدة لم ترد عند سابقه فضلا عن إدخاله معنى جديدا حيث خصص القسم الثاني لوصف الطبيعة الأندلسية الخلابة، فقد تفوق بجمالية النص أيضا إذ زينه من خلال الصور الطبيعية الفاتنة كقوله مثلا:

---

[1] الزند: العود الأعلى الذي تقدح به النار.

[2] الريان: الممتلىء.

[3] الرصافي، الديوان : ١٠٣- ١٠٤، والقمص : القميص، والمقصود كأن ما يحيط به قميص مزخرف.

خليجٌ كخيطِ الفجر تجرُّ فوقه ذيولُ عشّياتٍ مزخرفة القمصِ

هذا فضلا عن التزامه بالمقومات الأساسية للمعارضة التامة.

ومنها أن كتب أحد أصحاب أبي الحجاج يوسف بن محمد البياسي[1]، مذاكرا له بأيام الأنس والنعيم التي قضياها معا معبرا فيها عن مشاعر الشوق والحنين لتلك الأيام الماضية، قائلا:

أبا الحَجاج تذكُركم نَعِمْنا وحجتنا تخال على الشباب

بوادي حمصٍ أو وادي شريش سقى بلديهما دَرُّ السحاب

وللأداب أكواسٌ أُديرت على أهل الصبا زمن التَّصابي

وأقمار الجمال بكل أُفْق تطالعنا فنزهدُ في المتاب

فديتُكَ إنّ بي نجوىً وشوقاً وليس البرء إلاّ في الجواب

فجاوبه البياسي معارضا:

أبا حَسن لعمركَ إنّ ذكري لأيام النَّعيم من الصَّواب

أمثلي ليس يذكر عهد حمص وقد جمحتْ[2] بنا خيلٌ التصابي

ونحن نَجرّ أثواب الأماني مطرّزة هنالك بالشَّباب

وعهدٌ بالجزيرة ليس يُنسى وإن أغفلْتَهَ عند الخِطاب

هو الأحلى لديّ وإن حماني عن العسل اُجتماعٌ للذُّباب[3]

وقد اتفقت المقطوعتان في الوزن والقافية والروي، فضلا عن اتفاقهما بالمضمون والأسلوب والفكرة، إذ تبع أثر السابق في الحديث عن الأيام الماضية والمذاكرة لها.

وقد كثرت المعاتبات والاعتذارات بين الشعراء، وانعكس ذلك على المعارضات الإخوانية، إذ يعاتب الشاعر صديقه بأبيات من الشعر، فيجيبه الآخر معتذرا ومن ذلك ما حدث بين أبي علي

---

[1] من أشياخ المؤرخين والأدباء المشهورين، بالتصنيف والإقراء من أصحاب ابن سعيد الأندلسي وقال ابن سعيد فيه " حاضرته غير مرة بحضرة تونس واستفدت من فنون آدابه ما لا أنسى "، وكان ذاكرا للفكاهات التي صيرته جليسا عند الملوك والأمراء وكان يلقب بالقط. ترجمته في القدح المعلى لابن سعيد: ٩٤.

[2] جمحت الفرس: عتى عن أمر صاحبه حتى غلبه.

[3] ابن سعيد، القدح المعلى : ٩٤- ٩٥.

بن كسرى وأبي بكر الكتندي ؛ إذ اتفقا أن يجتمعا عشي أحد الأيام في أحد بساتين مالقة، وكان جميلا، فخلف ابن كسرى وعده وخرج مع أصحابه وترك الكتندي، فلما علم الكتندي بذلك كتب له معاتبا:

يا مولماً قد ألام لمّا ... لم يثن برداً إلى مزاره

جُدْتُ له من فمي بمعنى ... وضنّ بالرشا من قراره

جنته أزلفتٌ لغيري ... وبرزت في جحيم ناره[١]

فلما قرأ ابن كسرى الأبيات خجل وخجل من كان عنده ؛ فكتب إليه معتذرا :

يا لائمًا قد ألام لمّا ... أجريت فعلي على اختياره

فرّقَ ما بيننا اجتماعٌ ... أسفقتُ منه على وقاره

لما اضطررنا له ولكنّ ... لا عذر للمرءِ في اضطراره[٢]

ومنها أيضا ما كتبه الحجاري[٣]إلى القاضي أبي عبد الله اللوشي[٤]يستدعيه من شعره ليكتبه في كتابه، فلم يلب دعوته ؛ فكتب إليه معاتبا:

يا مانعاً شعْرَهُ عن سَمْع ذي أدبٍ ... نائي المحلّ بعيدِ الشخص مغتربِ

يسير عنك به في كلّ متّجَهِ ... كما يمُرّ نسيم الريح بالعذبِ[٥]

إني وحقّكَ أهلٌ أن أفوزَ به ... واسأل فديتك عن ذاتي وعن أدبي[٦]

---

[١] ابن خميس، أدباء مالقة: ٨٩.

[٢] المصدر السابق نفسه: ٨٩.

[٣] هو أبو إبراهيم بن أحمد الحجاري ينسب إلى وادي الحجارة من عمل طليطلة كان أبوه معروفا بالأزجال ومعروفا في البلاد بالحل والترحال، وكان الحجاري متعلقا بالآداب ظافرا من الشعر بالأهداب، توفي عام ٦٣٧هـ. ترجمته في القدح المعلى لابن سعيد: ١٧٥.

[٤] هو الفقيه القاضي أبو عبد الله بن اللوشي من أهل غرناطة ونسب إلى ألوشة من حواضر غرناطة ، كان فقيها توفي قبل الأربعين عام ٥٤٠هـ. ترجمته في قلائد العقيان لابن خاقان ، والتكملة لابن الأبار : ١/٤٤٤ ، والخريدة للأصفهاني :٢/ ٥٤٦.

[٥] العذب: السائغ من الطعام والشراب وغيرهما.

[٦] المقري، النفح: ٣/ ٣٤٦.

فأجابه معتذرا، مبينا أسباب امتناعه عنه، على الوزن والقافية والروي:

يا طالباً شعر من لم يسمّ في الأدبِ ... مــاذا تريد بنظم غير مُنْتَخَبِ[1]

إني وحقّك لـم أبخـل به صـلَفاً ... ومن يضنّ على جيد بمخْشَلَبِ[2]

لكني صـنْتُ قـدري عن روايته ... فمثله قلّ عن سام إلى الـرُتبِ

خذه إليك أكرهـت مـضطرباً ... محلّلاً ذمّ مـولاهُ مدى الحقـبِ[3]

ومن إخوانياتهم في المداعبة والممازحة، ما كتبه ابن سعيد إلى إبراهيم بن سهيل الإسرائيلي[4] (ت ٦٤٦هـ) يوما يدعوه إلى مرج الفضة، قائلا:

هلمّ أبـا إسحـاق نـحو نزاهـة ... كمثل الـتي عُوّدت بالدّوح والنهرِ

ونبدي لزهر الرّوض والورد وجنةً ... وثغـر فـم أنـدى من الورد والزّهرِ

وإن عبتمـونا في التّـصابي جهالةً ... فعصر الشباب الغضّ يغني عن العُذرِ[5]

فجاوبه علىٰ سبيل المداعبة والممازحة على الوزن والقافية والروي:

أبا حسـنٍ لا حـسّنَ الله حالـه ... تَحوّج أربابَ الشبابِ إلى العُذرِ

ولا من ينّـادي نحو نَهرٍ ودَوحةٍ ... ووجـه أخي حسن يقابَل البدرِ

فلا تترك الأشـغال طُرّا وترتقي ... إلى أفـق اللذات جهراً بلا سِرّ

أعد دعوةً اللقيا على مسمعي الذي ... يلذّ بما أودعتـه دائـم الدّهـرِ

ويختمها:

فو الله ما في الأرض مجلسٌ راحة ... بغير حَلى الراحِ التي سكبت صَبري

---

[1] المنتخب: الجيد المختار.

[2] المخشلب: الرديء.

[3] المقري، النفح:٣/٣٤٦.

[4] هو إبراهيم بن سهل الإسرائيلي من الأدباء الأذكياء الشعراء، مات غريقا مع ابن خلاص ولي سبتة عام ٦٤٦هـ. ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار : ٢٤٣.

[5] ابن سعيد ، القدح المعلى: ٧٤.

سألفـــهـــا إلـــف العتـــيق كتابـــة ولا أشتهي وردا[١] سواها لدى الحشر[٢]

ومنها أن كتب أبو ربيع[٣] إلى ابن عمه أبي حفص[٤] مداعبا:

اليوم يومُ الجُمُعة يومٌ سرُور وَدعَـــه

وشمْلنا مُفـــتَرِقٌ فهل ترى أنْ نجَمعه

فجاوبه مداعبا أيضا على الوزن والقافية والروي:

اليوم يوم الجُمعة وربُّـــنا قد رَفعه

والشَّرْبَ فيه بِدْعَةٌ فهل ترى أن نَدعَه[٥]

ومن معارضتهم الإخوانية في المواعظ والنصح، ما حدث بين ابن المنخل وأحد أصحابه[٦]، إذ كتب إليه أحد أصدقائه مادحا واعظا:

لئن غضَّ منك الدهر يوماً بأزمةٍ فحسبُكَ أن تُلفَى وأنت صبورُ

فليس أسى يبقى وإن جلَّ، مثل ما على كل حالٍ لا يدوم سرورُ

أيوجد في الدنيا من الناس صاحبٌ إذا أعرضتْ أبقى لذاك عسيرُ

طلبتَ عزيزاً لا يُنال، فإن يكنْ فإنّ أبا بـــكرٍ بـــذاك جـــديـــرُ

رضيتَ به حظّاً من الناس كلهـــمْ فمـــا بعـــده حرّ إلـــيه نشـــيرُ[٧]

فقال ابن المنخل مادحا واعظا أيضا:

---

[١] الورد: الإشراف على الماء وغيره.

[٢] ابن سعيد، القدح المعلى: ٧٤-٧٥.

[٣] هو سلمان بن عبد الله بن عبد المؤمن، كان متميزا في قومه عالما فيهم، توفي عام ٦٠٤ هـ. اشتهر باختصاره للأغاني ترجمته في الغصون اليانعة لابن سعيد: ١٣١.

[٤] هو أبو حفص السيد أبو الحسن على بن أبي حفص بن عبد المؤمن ، كان من أجل بيته قدرا، وأطيبهم ذكرا، وكان مألفا للشعراء والأدباء توفي عام ٦٠٦هـ. الغصون اليانعة لابن سعيد : ١٠٥-١٥٤.

[٥] ابن سعيد، الغصون اليانعة: ١٥٤.

[٦] هو أبو الوليد محمد بن عمر، أحد أعيان شلب كان متميزا بالمعارف الأدبية، توفي عام ٥٥٨هـ، تميز بالمعارف الأدبية والفقهية. ترجمته في الحلة السيراء لابن الأبار ٢/٢٠٨.

[٧] ابن الأبار ، الحلة السيراء : ٢/ ٢١٠.

تجافَ عن الدنيا وعن بَردِ ظلِّها ... فإنَّ برودًا لا يدوم حرورُ[1]

فديتُك، لا تأسف لدنيا تقلّصتْ ... وأوحشَ يومًا منبرٌ وسريرُ

وإن عريت جُرْدُ المذاكي وُذُلّلتْ ... أسودٌ، فلم يُسمع لهن زئيرُ

وختمها بقوله:

طلبت وفاءً، والوفاءَ سجيةٌ ... ولكنَّها- أمُّ الوفاء- تزورُ

رأيتك تبغى مثل نفسك في العلا ... طِلابٌ لعمري ما أردت عسيرُ

ومن ذا الذي يسمو سموَّك للعلا ... ويعفو عن الزلات وهو قديرٌ[2]

رابعا : المديـــــــع :

استمرت قصيدة المديح الأندلسية على الطريقة التقليدية؛ إذ يستهل الشاعر قصيدته بغرض آخر يكون مدخلا للمدح، كأن يبدأ بالغزل أو الوصف وغيرهما، وقد تعرضت قصيدة المدح الأندلسية في عصر الموحدين لبعض التغير والتطور، فاشتد ارتباطها بالسياسة، نتيجة للأحداث التي مرت بها هذه الحقبة الزمنية وكثرة المعارك، وفضلا عن الفتن الداخلية التي أنهكت قواها. فقد أهمل الشعراء كثيرا من تلك المقدمات التي كانت تستهل بها قصيدة المدح، فأبعدوا الفلسفة والرثاء ووصف الرحلة، وأحلوا محلها فنونا جديدة لا تعد مدخلا لغرض المدح بل تأتي ممزوجة ومرتبطة به ارتباطا وثيقا فهي تمثل معاني البطولة والشجاعة وهذا مرتبط ارتباطا وثيقا بالمدح.

- **معارضات في المديح :**

وكان بعض الشعراء يستمدون روح قصائدهم المدحية من قصائد الشعراء المشارقة القدماء الفحول ؛ وذلك لكثرة قصائدهم المدحية وإبداعهم في نظمها، فتأثروا بها وقلدوها، وعارضوها بقصائد تصور انتصارات خلفائهم والمناسبات التي يحظون بحضورها، ففي مناسبة

---

[1] الحرور: الحر الدائم.

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء: ٢/٢١٠-٢١١.

عبور الخليفة عبد المؤمن جبل طارق[١]، الذي سمي في حينها (بجبل الفتح) في سنة ٥٥٥هـ، مدح الأصم المراوني الخليفة عبد المؤمن بقصيدة مطلعها:

ما للعدا جُنَّةٌ أوقىٰ من الهربِ ... أين المفرُّ وخيلَ الله في الطلبِ

ومنها:

وأين يذهبُ من في رأسِ شاهقةٍ ... وقد رمتْهُ سماءُ الله بالشُّهُبِ

حدِّثْ عن الروم في أقطارِ أندلسٍ ... والبحرُ قد ملأ العبّرين بالعربِ

وطودُ طارق قد حلَّ الإمامُ به ... كالطورِ كان لموسىٰ أيمنَ الرتبِ

ولو تيقنَ بأساً حل ذروتَهُ ... لغارَ كالعينِ من خوفٍ ومن رهَبِ

ومن يعاود هذا الفتح ثانيةً ... أضعافَ ما حدثوا في سالكِ الحقبِ

ويلبسُ الدين غضاً ثوبَ عزتِه ... كأنَّ أيامَ (بدر) عنه لم تغبِ[٢]

معارضا قصيدة أبي تمام التي مدح بها المعتصم، ومطلعها:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... في حدِّه الحدُّ بين الجدِ واللعبِ[٣]

---

[١] وقد تعددت معارضات الموحدين للشعراء المشارقة في هذه المناسبة، ومنها معارضة ابن المنخل ، ت٥٦٠هـ ومطلعها:

فتحتمْ بلاد الشرق فاعتمدوا الغَرْبا ... فإن نسيمَ النصر بالفتح قد هَبا

معارضة لقصيدة المتنبي التي مطلعها:

فديناكَ من رَبعٍ وإن زدتنا كَرْبا ... فإنك كنتَ الشرق للشمسِ والغَرْبا

كما نظم ابن سيد الاشبيلي قصيدة في هذه المناسبة مطلعها:

غضَّضْ عن الشمسِ واستقصر مدى زُحَل ... وانظُرْ إلى الجبل الرّاسي على جبلِ

معارضا بها قصيدة المتنبي التي مطلعها:

أعلى الممالكَ ما يبنى على الأسلِ ... والطعن عند محبيهنَّ كالقُبلِ.

ابن صاحب الصلاة تاريخ المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة: ٢/ ١٥١ ما بعدها، شفيق الرقب شعر الجهاد في عصر الموحدين:١٦٨ وما بعدها.

[٢] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة :٢/ ٣٤.

[٣] أبو تمام، الديوان: ١/٤٠.

ولو وازنا بين القصيدتين لوجدنا اتفاقا في الوزن والقافية والروي، فضلا عن اتفاقهما في بعض المعاني والألفاظ والأساليب، ومضمونها واحد، فإذ يمدح أبو تمام المعتصم ويبين دوره في فتح عمورية وهزيمة الأعداء، يترسم الأصم المرواني خطى أبي تمام في مدحه للإمام عبد المؤمن ويجد في شخصية ممدوحه خصالا تقارب خصال المعتصم في إقدامه على الأعداء وهزيمتهم ، كما يؤكد في قصيدته على المعاني الإسلامية التي ركز عليها أبو تمام، فإذا قال:

وطودٌ طارِق قد حَلَّ الإمام به ... كالطورِ كان لموسى أيمن الرُتَبِ

يشبه جبل طارق بن زياد بجبل الطور في سيناء الذي كان يتعبد به موسى عليه السلام، ويشير إلى معركة بدر قول أبي تمام:

فبين أيامك اللاتي نصرتَ بها ... وبين أيام بدر أقربُ النَسبِ

في قوله:

ويلبس الدين غضاً ثوب عزته ... كأنَّ أيام (بدرٍ) عنه لم تَغِبِ

وبذلك تكون المعارضة صحيحة تامة الأركان.

ومن معارضات الأندلسيين فيما بينهم أن مدح أحد أعيان شلب[1] ابا بكر بن المنخل (ت٥٦٠هـ) وقد استوزره بولائه:

يا واحدي مِن ذا الورى بولائه ... ووحيدَهُم- إن ناظَروا- بذكائه

أما الكلامُ فقد ملكت زمامهُ ... نوعا فنوعا فانفرد بلوائه

إن شئت فانظم دُرَّ لفظ رائق ... يحكي حمام الأيك حال غنائه

أو شئت فانثر من كلامك جوهراً ... تغلو به الأرباح عند شرائه

يا طالبا علم الكلام تحققا ... أبِشْر فقد أدركته بلقائه

إن كنت تبغي كشف غامضة فقد ... أنجحت، فانزل وارتبط بفنائه

واسمع إذا ألقى إليك معلماً ... والقَنْ هديت الحقَّ من إلقائه

---

[1] هو أبو الوليد محمد بن عمر من أعيان شلب، نشأ فيها وتميز بالمعارف الفقهية والأدبية وتوفي في سلا عام ٥٠٨هـ. ترجمته في الحلة السيراء لابن الأبار: ٢/ ٢٠٩.

إلى أن يختمها بقوله:

لو أنني ممن تسوء ظنونُـه ... ما نالني ما نـال من تلِـقائه

ما ساء فِعلي مرةً فيسوءَ لي ... ظـنٌّ بـمن قَدّمَتْ لـي بولائه[1]

فقال ابن المنخل بمعارضة تامة:

يا مُلبِسي النعمى بحسن ثنائهِ ... ومميِّزي نقـداً بصـدق ولائـهِ

ألقى علـيَّ مديـحه فلبِستَهَ ... بُرَداً، وردَّ علـيَّ فضـل ردائـهِ

وأعارني من خُلْقهِ وصفاتـه ... فحسبتُ ذيل الوَشْيِ[2] من صنعائه

لبيكَ مـن داعٍ تـيم حبُّـه ... قلبـي، فـصيَّره إلى سَوَدائـهِ[3]

ومنها:

لله دَرُّك من فتىً عبـثتْ به ... أيدي الزمـان فأخلفت بعَلائـهِ

أفديه من حُـرٍّ جفـاه زمـانَه ... لو كان يسمـح دهرُنا بفدائـهِ

ومنها:

شهمًا إذا دجت الخطوب تبلّجت ... لـعـقولنا الأقـمارُ من لألائهِ

شِيمٌ كازهار الربـيع وراءهـا ... همـم تحطُّ النجم من عُلوائهِ

ويختمها:

كانت لياليه نجومَ زمانـنـا ... فتناثرت حُمَماً على ظَلّمائهِ[4]

ويتبع ابن المنخل نهج سابقه في الجو العام للقصيدة وشعره عموماً ، في إرسـال معنـى المدح والشكر والثناء ، وفي ترسيخ معنى الصداقة التي تربط بين الشاعرين، فقـد جـاراه فـي معاني القصيدة ولم يجاريه في ألفاظها وتعبيراتها إلا يسيراً .

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء: ٢/٢٠٩.

[2] وشى الثوب: نمنمه ونقشه وحسنه. والكلام: ألفه ولونه وزينه.

[3] السوداء من القلب: سواده.

[4] ابن الأبار، الحلة السيراء: ٢/٢١٠.

ومنها أيضا معارضة لأبي ذمام المرسي يعارض فيها بيتا لأحد الشعراء بناءً على طلب أبي الغمر وهو:

يَخُطّ الشّوقُ شخصك في ضَميري ... على بُعدِ التّزاوُرِ خَطّ زُورِ

فقال في معارضة تامة يتفوق فيها على ابن الغمري في طول نفسه الشعري واختيار صياغة جديدة ، ولكنه يتبعه في المعنى إذ يقول :

ملكتَ الفضل يا نجل ابن سَعْدٍ ... فما لك في الأكارم من نَظيرِ

حُسامُكَ حاسمٌ عَدْوَ الأعادي ... ومالُكَ مُذْهِبٌ عُدْمَ الفقيرِ

ووجهك إن تبدّى في ظلامٍ ... تَجلّى عن سنا قمرٍ منيرِ

لذا سَمّاك من سَمّى هلالاً ... لإشراقٍ حُبيتَ به ونُورِ[1]

ومدح ابن مرج الكحل أبا بكر التطيلي[2] بقوله:

لأبي بكر التّطيليّ برٌّ ... يتبع الإخْوان شرقاً وغربا

فأجابه التطيلي مادحا أيضا على الوزن والقافية والروي:

يا أَبا عبد الإله المفدّى ... من جميع الناس عُجْماً وعرّبا

ثمرات الأُنس تُرْتاد عندي ... وهَي من روضك تُجْنَى وتُجْبَى

قد بلوتَ الناسَ شرقاً وغرباً ... ودعوتَ الصبر حزنا فلبّى

فالتزم حالك صبرا وإلاّ ... زدت بالعجز إلى الخطب خَطْبَا[3]

ومنها أن اجتمع علي بن فرحون المكني بأبي الحسن مع أبي بكر الكتندي يوما بمالقة عند بعض أعيانها وأكابرها ، وكان بين أيديهما لوح ومحبرة، فأخذهما أبو الحسن وكتب مادحا:

يا ذا الذي ملك المحاسن كلها

---

[1] ابن الأبار ، تحفة القادم:١٠٥.

[2] هو أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلي الغرناطي، ولد عام ٥٥٩هـ وتوفي بغرناطة عام ٦٢٩هـ. وهو شاعر بارع في شعر الزهد. ترجمته في برنامج الرعيني : ٢٠٢، والمغرب لابن سعيد: ٢/٤٥٠.

[3] ابن سعيد ، المغرب : ٢/ ٤٥٠.

فقال الكتندي:

وحوى جميعَ العالمين أقلّها

فقال أبو بكر بن سالم وقد كان معهما:

الدهر إن قابلته متبسّماً

فقال الكتندي:

أبكيتَ كثر الحادثات وقلّها

فقال أبو عمر:

والسيف يفخر أن تمسّ رياسه

فقال الكتندي:

ويردّ شفرته الصقيلة سلّها[1]

وجاءت معارضة تامة.

- معارضات في المدح النبوي :

وقد تأثر الشعراء بالدعوة الموحدية وما أقيمت عليه من أسس وقواعد وما تبثه من قيم وأهداف، فأكثروا من القصائد التي تحمل المعاني الدينية وبخاصة قصائد المديح النبوي ومدح تمثال نعل النبي، فانعكس ذلك على المعارضات الشعرية ، ومن المعارضات التي تطالعنا في ذلك قول علي بن خير الأنصاري[2] في مدح تمثال نعل النبي :

يا لاحظاً تمثالَ نعل نبيِّه ... قَبّلْ مثال النعلِ لا متكبرا

والثمْ به فلطالما عَكَفتْ به ... قَدَمُ النبيِّ مروّحاً ومبكرا

---

[1] ابن خميس، أدباء مالقة: ٣١٥.

[2] هو علي بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير الأنصاري بلنسي قشتالي الأصل ، كان إماما متقدما بارعا في علوم اللسان نحوا ولغة ، وأدبا ، وكاتبا بليغا شاعرا مجيدا بديع التشبيه عجيب الاختراع والتوليد، ولد ببلنسية عام ٥١٠هـ وتوفي بها عام ٥٧١هـ. ترجمته في الذيل والتكملة للمراكشي : س٥ ق١/١٧٨.

أَو ما ترى أن الشجيَّ[١] مقبِّل ** طللاً وإن لـــم يَلفِ فيه مخبرا

فذيلها القاضي أبو عميرة أمية بن عفير[٢] فقال:

ولربَّما ذكـر المـحبُّ حبيـبَهُ بشبيهه فغـــدا لـه متـصـوِّرا

أوما رأيت الصحف ينقل حكمها فـيوافـق الـمتقـدِّمُ الـمتأخرا

والمرءُ يهوى بالسَّماع ولم يكنْ لِحُلى الذي قد هام فـيه مُبْصِـرا

ويظنُّ حين يرى اسمه في رقعة أَنْ قد رأى فيها الحبيب مصـــوَّرا

لا سيَّما في حقِّ نعلٍ لم تـزل صَوْناً لأَخمصِ خير من وطئَ الثرى

فعساك تلثُم في غدٍ من لثمـها كأس النبـــيِّ إذا وردت الـكوثرا[٣]

وتأتي المعارضة في محاكاة مذهب الأنصاري في المعاني ومجاراة منحـــاه فـــي الأسلوب دون أن تتضمن التشابه في اللفظ والصورة.

خامسا: الهجاء والسخرية والتهكم والمداعبة:

احتدم الهجاء في الشعر العربي القديم احتداما شديدا، بفعل تأثير العصبيات التي اشـتعلت نيرانها في كل مكان، حتى بعد مجئ الإسلام على الرغم من دعوته إلى نبذ العصبيات، كما كـان لأطماع الشعراء أثر كبير في نموه وازدهاره إذ كانوا يأتون بالهجاء لتحقيق أهـــداف شـخصية ومكاسب مادية.

أما في الأندلس فلم يلق الهجاء سوقا رائجة كالتي لقيها في المشـــرق وخاصـــة الـــهجاء السياسي ؛ وذلك لقلة الأحزاب السياسية، فتفوق المشارقة على الأندلسيين في هذا المجال[٤].

ومن الغريب أن الدولة الموحدية التي قامت على دعائم وأسس دينية لم تستنكر الـــهجاء، ولم تقف من شعراء هذا الاتجاه موقفا صارما، بل تذكر الروايات أن بعـض خلفـاء الموحديـن

---

[١] شجي: اهتاج للذكرى، والشجى: الحزن.

[٢] هوأمية بن سعد السعود بن عفير. ترجمته في الذيل والتكملة: س ٥ ق١ /١٨٧.

[٣] المراكشي ، الذيل والتكملة: س٥ق١/ ١٨٩.

[٤] جودت الركابي ، في الأدب الأندلسي: ١١٥.

شجعوا عليه، إذ أن الخليفة عبد المؤمن امتحن الشعراء بهجاء وزيره ابن عطيـــة عندمـــا أمـــر بسجنه[١]. وعندما نشبت الفتن بين أمراء الموحدين اضطر بعضهم إلى تكليف الشـــعراء بـــهجاء إخوانهم وأقاربهم ممن يتنافسون على السلطة[٢]، وعلى الرغم من الروايات التـــي تثبـــت رواج الهجاء في هذا العصر، إلا أننا لم نجد منه إلا النزر اليسير، ويعود ذلك إلى النزعـــة الأخلاقيـــة التي سيطرت على أفكار مؤرخي الأدب وتحكمت في كتاباتهم مما جعلهم يحجمون عن ذكرهـــا ، فقال ابن سعيد وهو يتحدث عن أبي محمد القرطبي: "إنه قد أطال عمره في أكـــل الأعـــراض ، فانتهض في صنعته الذميمة"[٣] ولم يذكر لفظه الهجاء.

وقد اتجه شعراء المعارضات اتجاهات مختلفة في هذا الباب، فقد ورد عندهم معارضـــات في هجاء أصحاب الوظائف الرسمية والقضاة والوزراء، ومنه يذكر ابن سعيد أنه كان يوما مـــع ابن سهل عبد العزيز بن صاحب الرد[٤] وإذ بأبي الوليد[٥]جاء بموكـــب ضخـــم وقـــد كـــان لا يستحسنه الناس ويمجه القلب، وطلعته غير مرضية للناس، فقال ابن سهل:

وزيِّرنا يا ويحنا أَفلحُ

فقال ابن سعيد:

فهل تَرانا معه نُفلِحُ

فقال ابن سهل :

يقرأ راجيه على فيهِ لا

---

[١] فوزي سعد عيسى ، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين: ١٥٠ ، ومحمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس: ١٨٠.

[٢] فوزي سعد عيسى، الشعر الأندلسي: ٢١٥.

[٣] ابن سعيد ، القدح: ٢١٢.

[٤] هو أبو بكر بن عبد الله بن عبد العزيز بن صاحب الرد، من إشبيلية ، وكان أول من أشعل الفتنة في دولة بني هود وكان حيا بعد عام ٦٣٠هـ. ترجمته في القدح المعلى لابن سعيد : ١١٢.

[٥] هو اسماعيل بن حجاج الأفلح اللخمي من البيت المشهور بإشبيلية ، كان أديبا وعالما وتقلب حاله ما بين قاض ووزير وكاتب ومشير. انظر القدح المعلى لابن سعيد :١٠٤.

فقال ابن سعيد:

فحاجةُ المسكين لاتَنْجَح[1]

كما وجد عندهم الهجاء الساخر الذي أقرب ما يكون إلى التندر والفكاهة وذكر بعض العيوب الخلقية، ومنه أن استقبح ابن الياسمين[2] خلقة أبي الحجاج النميري[3] واستحسن كلامه، فلما بلغ ذلك ابن الحجاج قال فيه:

أيُّها اللاّبس لون ... الليل ثوباً حين أظلمْ

والذي يضمر داءً ... منه يوْماً ما تألّمْ

أنت من أقبحُ خلْق ... الله ما لم تتكلّمْ

بشذور باهراتٍ ... ساحراتٍ لوتجسّمْ

أصبحتْ في كل جيدٍ ... حسَنٍ عِقداً منظّمْ[4]

وعندما بلغت الأبيات سمع ابن الياسمين قال:

أيها الفاسِي أتى ريـ ... ـحُكَ قبل النّجوم يفعمْ

في قريضٍ حسن الصّو ... رة بالهَجْو مجذّمْ

فقبلناه وقد جا ... ء لنا بالمدح معلمْ

ثم قلنا: بمزاحٍ ... منك قول ليس يعدَمْ

إنما الشأنُ فقيهٌ ... عالمٌ ليس يعلّمْ

لا تراه الدهر إلاّ ... بعزيم الكأس مُغْرم

وإذا صلّى رياءً ... كان فيها مثلَ أبكم

---

[1] ابن سعيد ، القدح المعلى:١٠٧.

[2] هو أبو محمد بن الياسمين، عبد الله بن حجاج الإشبيلي، نسب إلى أمه وكانت سوداء، أول تعلقه بالفقه ثم انتقل بالنظم والنثر والآداب فصار من أعلام الأدباء والكتاب، ترجمته في الغصون اليانعة لابن سعيد : ٤٢.

[3] هو أبو الحجاج بن عبد الصمد بن يوسف عبد الرحمن بن النمري، أخذ عن القاضي أبي جعفر بن مضاء، ولد ٥٥٤هـ وتوفي ٦١٤هـ.ترجمته في الغصون اليانعة لابن سعيد : ٤٩.

[4] ابن سعيد، الغصون اليانعة: ٤٩.

فـــي ثـيابٍ كربيـــعٍ قد ترى فيها المُحرَّم
ذا جوابي وهو ظُلْـــم لك والـبادئُ أظلَـــمُ[1]

وقد جاءت المعارضة في اتباع مذهب ابن الحجاج في الهجاء على الوزن والقافية والـروي، دون أن تتضمن التشابه في اللفظ والصورة .

وقد جاءت معارضات الهجاء عندهم على ضربين : أحدهما يأتي بين الشاعر وخصمـــه ومنه أن ابن الأبار كان يلقب عند أعدائه بالفأر فكان له لقبا ؛ فهجاه أبـــو الحســـن بـــن شـــبلون المعافري،[2] بقوله:

لا تعْجبوا لمضرَّةٍ نالتْ جميـــ ـعَ الناسِ صادرةً عن الأبارِ
أوَ ليْسَ فأراً خـــلْقةً وخليقـــةً والفأرُ مجبولٌ على الأضرارِ

فأجابه ابن الأبار على الوزن والقافية والروي:

قلْ لابن شبلون مقال تنزُّهٍ غيري يُجاريكَ الهجاءُ فجارِ
إنا اقتسمنا خطَّيناَ بيننا فحملتُ برَّةَ واحتملتَ فجارِ[3]

أما الثاني فهو أن يقتفي الشاعر نهج السابقين في هجاء خصمه، فقد هجـــا ابـــن مـــرج الكحل أبا حريز[4] محفوظ بن مرعي الشريف يرد عليه في مقطوعاته التي انتقـــد فيـــها مدائـــح مرج الكحل؛ ولذلك يتسائل مرج الكحل متعجبا من ذم أبي حريز إياه فيقول:

أيا عجباً ما للشَّريـــف يذُمُّنـــي ويبغِضُني حتى كأني مسجِدُ
ولا عَيْبَ عِندي غيرَ أنيَ مُسلِمٌ وأنَّ اسمي اسمُ الهاشميِّ محمَّدُ

وقد أخذه وعارض به قول الأعمى المخزومي:

---

[1] ابن سعيد- الغصون : ٤٩- ٥٠.

[2] هو أبو الحسن علي بن شبلون المعافري من أهل بلنسية كان من الأدباء النجباء وتوفي بمراكش عام ٦٣٩هـ. ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار : ٢١٦. والمقتضب: ١٥١.

[3] القفطي، المحمدون من الشعراء: ٢٧٤.

[4] هو محفوظ بن حريز الشريف من شعراء زاد المسافر لم أقف على ترجمته ولكن يتضح من المعارضة أنه من معاصري مرج الكحل ، زاد المسافر : ١٥٢.

ما لِزِنْديقٍ[1] بنَي فـاعِـلٍ يَذُمُّ منيّ كل ما يُحمَدُ

يلحظُني شزراً إذا مرّ بي كأنني في عَيْنِه مَسْجِدُ[2]

فنجد ابن مرج الكحل لا يوجه خطابه إلى أبي حريز ، بل يتحدث عنه وكأنه يدافع عـن نفسـه وينفي ما وجه إليه من اتهامات ويدافع عن نفسه باتهامه ابن حريز في دينه فهو يبغضه ويكرهـه كما يكره المساجد فعيبه عند ابن حريز إنه مسلم وعلى دين سيدنا محمد فهو يبغضه لذلك.

وقد اتفق المخزومي في المضمون والمعنى والأفكار ، كما اتفق معه في القافية والروي. فـالآخر مذموم فيه كل ما يحمد ومبغوض من قبل خصمه فهو يكرهـه كأنـه مسـجد، وبذلـك فـإن المعارضة متفقة في المضمون والقافية والروي ولكنها اختلفت في الوزن فهي غير تامة.

ومن ذلك أيضا أن هجا أبو الحسن مطرف الغرناطي سهل بن مالك[3]ببيتين هما:

وصفوا سهلاً فقالوا حاطبٌ والليلُ ليلُ

إنما العلمُ الـثريـا والفتى سهلٌ سهيلُ

فرد عليه ابن مرج الكحل بهذين البيتين على الوزن والقافية والروي:

إن دعوني بسهـيلٍ فأنا حقاً سهـيلُ

قد دهاكم من طلوعي يا بني الزَّنْيَةِ[1] ويلُ

وقد تميز شعراء هذه الفترة بروح الدعابة والفكاهة، فوجدت عندهم معارضات فـي المداعبـة والممازحة، ومن ذلك أن اجتمع مرج الكحل مع بعض أصحابه في حانوت بعـض الأطبـاء باشـبيلية فأضجروه بحيث تعذرت المنفعة على الطبيب بسبب وجودهم في حانوته، فأنشدهم:

خفـفوا عنـا قليلا رُبَّ ضيقٍ في بـراحِ

هـل شكوتُم من سقامٍ أوْ جلـسنا للـصحاحِ

---

[1] الزنديق: من يؤمن بالزندقة، والزندقة: القول بأزلية العالم.

[2] صفوان بن إدريس ، زاد لمسافر: ١٢٥.

[3] هو أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي الغرناطي، كان من أعيان أهل بلده وأكابرها، وتوفي عام ٦٣٩هـ. ترجمته في زاد المسافر لصفوان بن إدريس : ٩٦، وبرنامج شيوخ الرعيني للرعيني: ٥٩- ٦٣.

[1] ابن الأبار ، تحفة القادم: ١٤٥. والزنية: الزنا.

فأضاف مرج الكحل بيتا ثالثا على سبيل المداعبة بمعارضة تامة:

إن أتيـــتم ففـــرادى ذاكَ حكم المستـــراح[1]

وبعد فإن هجاء العصر لا يخرج بصورة عامة عن القذف بالشتائم والسباب والإكثـــار مـن الســـوءات والفواحش، ويقف ويبتعد عن البذاءة، فيأتي بعامة على ما يتقبله الذوق الأدبي والعرف الاجتماعي.

سادسا: معارضات في أغراض أخرى :

- **معارضات في الحنين :**

شهدت الأندلس ويلات الحروب والمعارك وأكره الكثير من أهلها على الخـــروج منـــها والإبتعاد عنها، وذاقوا مرارة الغربة وألم الحرمان، لذلك كثر عندهم شـــعر الشـــكوى والبكـــاء والحنين، وكان حنينهم للأندلس من أصدق ما قيل في الحنين؛ لأنه يصدر من نفوس تجرعـــت مـــرارة الغربة وألم الحرمان، ومن ذلك قصيدة لأبي الربيع بن سالم[2] يحن فيها إلى نجد ويتغنى بها، ومنها:

أَحنَّ إلى نجد ومن حلَّ في نجدِ وماذا الذي يغني حنينيَ أو يُجـــدي

وقد أوطنوا وادِعـــينَ وخَـــلَّفوا محبَّتهمْ رهن الصـــبابةِ والوجـــدِ

ومنها:

وضاقت عليَّ الأرضُ حتى كأنها وشاحٌ بخصرٍ أو سوارٌ على زنـــدِ

إلى الله أشكو ما ألاقي من الجوى وبعض الذي لاقيته من جَوىً يُردّي[3]

فـــراقُ أخـــلاَّءَ وصَـــدُّ أحبَّـــةٍ كأنَّ صروف الدهر كانت على وعدِ

ظمئتُ فهل ظلٌّ يبرِّد لوعتـــي ضحيت فهل ظلٌّ يسكن من وجـــدي

ويختمها:

فيا ليتَ شعري هل تعود لنا المنى وعيشٌ كـــما نمنمتَ حاشيتي بُردِ

---

[1] المقري، النفح: ٣/ ٥٩٥.

[2] هو سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي يكنى أبا الربيع ، توفي عام ٦٣٤ هـ ، من أجل شيوخ الأندلس علماً وتأديباً . ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار : ٢٠١-٢٠٥ .

[3] الردى: الهلاك.

عسى الله أن يدني السرور بقربكم فيبـــدو منّا الشمل منتظم العــقدِ[١]

وقد أعجب صفوان بن إدريس بهذه القصيدة فعارضها بقصيدة يحن فيـــها إلـــى نجـــد، قـــائلا: (الطويل)

سَقَى مضرب الخَيْماتِ من علمي نَجْدِ أسحّ غمامي أدْمُعي و الحيا الرغْدِ
وقد كان في دمـــعي كـــفاءٌ وإنّـــما يجَفّفُها ما بالضُـــلوع من الوَقْدِ

ومنها:

أرى زَفْرتَي تُذْكيَ ودمعي ينهمي نَقيضَيْنِ قاما بالصِلاء وبالوِرْد[٢]
فهل بالّذي أبصـــرْتمُ أو ســـمعْتمُ غمامٌ بلا أفْقٍ وبرقٌ بلا رعدِ

ومنها:

لِيَ الله كم أهْذي بنَـــجْـــدٍ وأهْـــلها وما لي بها إلاّ التّوَهّم من عَهْدِ
إلى الله أشكو رَيْبَ دَهْرٍ يغصّ في نوائبه قد ألجمَتْ ألسُنَ الـــعَـــدَّ

ويختمها:

إلى أنْ يقول السّامعونَ لرفقتي نَعمْ طار ذاك السّقْطُ[٣] عن ذلك الزّنْدِ
أُحيّي بريّاها جناب ابن سالمٍ فيقرَعَ فيه البابَ فـــي زمن الـــوَرْدِ[٤]

وعند الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقهما في الوزن والقافية والروي، كما اتفقا في الموضـــوع والأفكار وبعض المعاني والأساليب كما تشابها في جزيئات القصيدة، فإذا ما قال صفـــوان بـــن إدريس:

سَقَى مضرب الخيماتِ من علمي نَجْدِ اسحّ غمامي أدْمُعي والحيا الرَغْـــدِ

٥٢١٩٨٥

---

[١] المقري، انفح: ٣/ ٤٧٦.

[٢] زفرة الشيء: وسطه. والذكوة: الجمرة الملتهبة. والصلاء: الصلي وال،شواء.

[٣] السقط: الشرارة تتطاير من قدح الزندين.

[٤] صفوان بن إدريس، زاد المسافر: ٢٨-٣٠.

فقد استلهمه من قول أبي الربيع :

أَحِنُّ إلى نجدٍ ومَنْ حلَّ في نجدِ وماذا الذي يغني حنينيَ أو يُجدي

وإذا قال:

إلى الله أشكو رَيْبَ دَهْرٍ يُغِصُّ في نوائبِهِ قد ألجمت ألسن العدِّ

فهو من قول أبي الربيع:

إلى الله أشكو ما ألاقي من الجوى وبعض الذي لاقيته من جوىً يُرْدي

وفي الحنين لأيام الصبا وعهد الشباب يقول الرعيني: إن بعض أصحاب ابن سيد المالقي دخل عليه يوما، فأراد أن يقوم إليه برا به، فثقل عن ذلك، فتمثل بقول ابن حمديس:

أصبحتَ عند الحِسان زَيْفاً غيَّرتِ الحادثاتُ نَقْشي

وكنتُ أَمْشي ولستُ أَعْيا فالآنَ أعيا ولَسْتُ أَمْشي

فقال ابن أخيل [1]:

وإن أقُمْ قام بي أناسٌ كأنهم حاملونَ نَعْشي

وقال أصبغ بن أبي العباس [2]:

والذئب إن أَخْشَ منه عَدْواً فالأُسْدُ كانت تخاف بَطْشي

وقال أخو أبي العباس [3]:

فالحمد لله من زمانٍ يَهْدم بالموتِ كلَّ عَرْشِ [4]

---

[1] هو القاضي الكاتب أبو القاسم أخيل بن إدريس ، عرف بالأدب والبلاغة توفي عام ٥٦٠هـ أو ٥٦١هـ. ترجمته في المغرب لابن سعيد :١/ ٣٣٥.

[2] يكنى أبا الوليد كان فقيها أديبا حسيبا كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا. ترجمته في الذيل والتكملة للمراكشي:٢٧١، والمغرب لابن سعيد: ١/ ٤٤٥.

[3] أخو أصبغ بن أبي العباس ولم أقف على ترجمته.

[4] الرعيني، برنامج الرعيني: ٥٣.

فجميعهم جاء بالفكرة نفسها وهي: تقلب الأحوال وتغير الزمان، على الوزن نفسه والقافية والروي أيضا فجاءت المعارضة صحيحة تامة.

- معارضات في الرثاء :

كما اتجه الشعراء في معارضاتهم إلى الرثاء، فهو فن قديم في الشعر العربي؛ إلا أنه يتجدد مع كل مصيبة تصيب الشاعر، فيعبر عنها بما تجود به قريحته، فرثوا الأقارب والأهل والأصدقاء . كما وجد عندهم الرثاء الرسمي ؛ وهو رثاء الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة، ومنه ما قاله أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة (ت٥٧٣هـ) في رثاء الأمير ابن تيفوليت "أبي بكر بن إبراهيم " يقول :

يا صدىً بالثغر جاوَرَهُ ... رِمَمٌ بوركتَ من رِمَمِ[1]

صَبَّحتكَ الخيلُ غاديةً ... وأثارتك فلم تَرِمِ[2]

قد طوى ذا الدهرُ غرته ... عنكَ فالبس حُلةَ الكرمِ[3]

معارضا بها قول ابن خفاجة[4] :

يا صدىً بالثغرِ مرتهناً ... بمَمَرِّ الريحِ والديمِ

لا أرَى إلاّ أخا كَرَمٍ ... باكياً منه أخا كَرَمِ

كم بصدري فيك من حُرَقٍ ... ويكفيّ منك منَ نعمِ[5]

وعند النظر في المقطوعتين نجد تشابهاً في الوزن والقافية والروي والغرض.

---

[1] الصدى: جسد الانسان بعد موته. والرمة: العظام البالية.

[2] رام: تباعد.

[3] ابن خفاجة، الديوان: ١٠٥.

[4] هو أبو اسحاق بن أبي الفتح الخفاجي من أعيان مدينة شقر ، اشتهر بشعر الطبيعة، ولد عام ٤٥٠ توفي عام ٥٣٣هـ . ترجمته في المطرب لابن دحية : ١١٢ .

[5] المصدر السابق : ١٠٥ .

- معارضاته في الحكم :

ومن معارضاتهم بالحكم والمواعظ ما أنشده محمد بن عميثيل[١] للأديب محمد بن غانم[٢]:

وإذا الديارُ تغيرّت عن حالها ... فدع الديارَ وباكر التحويلا

ليس المقامُ عليك حتماً واجباً ... في بلدةٍ تدَعُ العزيز ذليلا

فاستحين ذلك وبادر بالمعارضة قائلا:

لا يرتضي حُرٌّ بمنزل ذلّةٍ ... لو لم يجِدْ في الخافقين مَقيلا

فارْضَ الوفاء لحرِّ نفسك لا تَكُنْ ... ترضى المذلّة ما حييتَ بديلا

واخصص بودّك من خبرت وفاءَهُ ... لا تتّخِذْ إلاّ الوفيَّ خليلا

إن الصديق إذا أحبَّ صديقه ... أثنى عليه بكرةً وأصيلا

ولقد خبرتُ الناس منذ عرفتُهمْ ... فوجدتُ جنسَ الأوفياءِ قليلا

سَقيا لأيّام الشبابِ فإنّها ... كالإلف[٣] جاور أن يجدّ رحيلا

قصُرَت أمانٍ كنت أرجو نيلها ... قد عاد ليلي بعدهنّ طويلا

قد مات روضي بعد ذلك جدبةً ... وغدا فؤادي بعدهنّ عليلا[٤]

ولو وازنا بين المقطوعتين لوجدنا تشابها في الوزن والقافية والروي والغرض ، فضلا عن اتفاقهما في بعض المعاني والألفاظ والأسلوب؛ فكلاهما يتخذ أسلوب الحكيم الواعظ الذي يرفض الذل ويدعو إلى العيش الكريم، لكن محمد بن غانم جاء بمعان جديدة؛ إذ يدعو إلى البحث عن الصديق الوفي ويدعو إلى الوفاء والإخلاص بين الأخلاء، كما يضيف إلى القصيدة معنى الحنين

---

[١] هو أحمد بن محمد بن عميثيل الأنصاري يكنى أبا عبد الله من أهل مالقة ومن أعيان أهلها ، كان حيا بعد عام ٥٤٨هـ. ترجمته في أدباء مالقة لابن خميس : ٤٥، والذيل والتكملة للمراكشي : س٥ ق١/ ١٨.

[٢] هو أبو محمد بن الوليد المخزومي. ترجمته في الذخيرة لابن بسام : ق١م٢/ ٨٥٣- ٨٧٠، والمغرب لابن سعيد: ١/ ٣٨١، والمطرب لابن دحية : ٧٤٠.

[٣] الإلف: الأنس والمحبة وألفه إلفا: أنس به وأحبه.

[٤] ابن خميس ، أدباء مالقة :٤٥.

فنجده في نهايتها يحن لأيام الشباب ويدعو لها بالسقيا، كما كان نفسه الشعري أطول فيكون بذلك قد تفوق على ابن عميثل.

- معارضات في التهنئة :

ومن معارضاتهم في المشاركة بالمناسبات والتهنئة بها ما كتبه أبو الفرس[١] بالتهنئة لأبي العباس بن الحلال بمناسبة شفائه من مرضه:

تجلّتْ هُمومٌ وجلّتْ همَمْ ... وعمّ نعيمٌ وحلّتْ نِعَمْ

وإن صحّ قاضي القُضاة اغتدَى ... صحائحَ مِنّا مراضَ النسَمْ[٢]

فما خصّ هذا الأذى جسمَهُ ... ولاكنّه عمّ هذي الأُممْ

وأضرم حتى ضلوعَ العُلى ... وفطر حتى فؤاد الكرَمْ

كأنّ النفوس له جنّةٌ ... وما حلّ إلا بهنّ الألمْ

وأروى بادمعنا أرضَنا ... فأغنى الغمائِم أن تنسجِمْ

وإما أدق لنا شخصهُ ... فما انفك منه الندى ذا عظمْ

وإما إتساءٌ بلى أنه ... يُنافسُ فيك الوجود العدمْ[٣]

وقد عارض به المتنبي في قصيدته التي قالها في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران ، والتي مطلعها:

سِرْبٌ محاسِنهِ حَرمتْ ذَواتُها ... وإنّ الصفات بعيداً عن هفواتِها[٤]

وقد جاءت المعارضة في المعنى فقط لاختلافهما في الوزن والقافية.

---

[١] هو أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي ، المعروف بابن الفرس المالكي من أهل غرناطة كان متقدما في علم اللسان وألف كتابا في أحكام القرآن من أجل ما صنف في هذا المجال. ترجمته في تحفة القادم لابن الأبار : ١١٥، وبرنامج شيوخ الرعيني للرعيني: ٦٥ ،وراية المبرزين لابن سعيد : ٤٥.

[٢] النسم : النفس والروح .

[٣] صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ١٤٩- ١٥٠.

[٤] المتنبي، الديوان: ١/ ٢٥٢.

وبعد، فإن دراسة أغراض المعارضات الشعرية الأندلسية في عصر الموحدين تكشف عن جوانب الحياة الأدبية والثقافية متمثلة في شعر هذا العصر، فقد كان ميدانا للشعر والأدب، وقد ساعدهم على ذلك الطبيعة الأندلسية الساحرة الخلابة، وقد وقف ذلك وراء إبداع الشعراء الأندلسيين آنذاك فبرز منهم شعراء أفذاذ ساهموا مساهمة فعالة في نماء فن المعارضات الأندلسية في عصر الموحدين وازدهاره.

- البناء العام لقصيدة المعارضات الأندلسية.

- اللغة والأسلوب.

- الصـــــــــور.

- أثر البيئة الأندلسية.

- التأثر والتأثيـــــر.

يرتبط بناء القصيدة في الشعر العربي بتقاليد فنية معينة تعود بها إلى العصر الجاهلي، وأصبحت تشكل إطاراً فنياً يقاس به جمال القصيدة العربية، وقد أكد ذلك الدكتور شوقي ضيف بقوله: "... وكأنما العصر الجاهلي نفسه هو الذي أعد للقصيدة التقليدية عند العرب، قصيدة المدح والهجاء، فإنّ الشعراء كانوا يحرصون في كثير من مطولاتهم منذ العصر الجاهلي على أسلوب موروث فيها. واستقرت تلك الطريقة في الشعر العربي.."[1]

وبقيت هذه التقاليد ثابتة وفرضت نفسها في عصور الأدب المختلفة فلم يغيرها المكان ولا الزمان؛ لأنها وجدت من يتعلق بها ويرى فيها مثالاً يحتذى وعلى الرغم من ذلك فإنها لم تتسم بالجمود التام، بل تميزت بالليونة والتفاعل، فقد استوعبت محاولات بعض الشعراء الذين حاولوا أن يغيروا ويجددوا في بناء القصيدة العربية على ضوء ما تفرضه عليهم القيم الحضارية الجديدة ؛ وذلك عن طريق إحلال عناصر جديدة محل العناصر القديمة، مع المحافظة على البناء القديم، فالقديم قادر على استيعاب الجديد: لأنه قابل للنمو بقدر ما هو أساس للثبات؛ ولذلك نجد أن نماذج الشعر الأندلسي التي نبتت في البيئة الأندلسية لا تخرج في إطارها العام عن الشعر الشرقي باعتبارها جزءاً لا يتجزأ منه، مع مراعاة أثر البيئة وطريقة التعبير لكل منهما؛ لذا فإن المتمعن في شعر المعارضات الأندلسية في عصر الموحدين، يجد أنّ الشاعر لم يلتزم منهجاً محدداً في بنائه لقصيدة المعارضات، فنجده تارة مجدداً وتارة مقلداً ؛ ومن أجل ذلك ارتأينا أن أقسم قصيدة المعارضات الأندلسية في عصر الموحدين من حيث شكلها وهيكلية بنائها إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : قصيدة المعارضات التقليدية : ونعني بها تلك القصائد التي تتناول في بنائها العناصر الأساسية التالية :

- مقدمة القصيدة.

- حسن التخلص.

---

[1] شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ١٨ .

- خاتمة القصيدة.

ثانياً : المقطوعات الشعرية : نعني بها تلك الأبيات التي ينظمها الشاعر في مقطوعة شعرية معارضاً أو مجاوباً ولا يُعنى بها بمقدمة وخاتمة كما هو الحال في قصيدة المعارضات التقليدية.

ثالثاً : الإجازات والمطارحات الشعرية : وتختلف في بنائها عن القصيدة والمقطوعة في أنها لم تشكل وحدة متصلة تصدر من فكر واحد ولسان واحد، وإنما يشترك في بنائها شاعران أو أكثر.

ولا بدَّ لنا في هذا المقام من دراسة العناصر الأساسية التالية : مقدمة القصيدة، حسن التخلص، والخاتمة.

- المقدمة :

عني النقاد العرب القدماء عناية كبيرة بمقدمات القصائد ومطالعها على اعتبار أنها أول ما يطرق السمع؛ فإذا حسنت وطربت لها الأسماع حسنت القصيدة كلها، وإذا قبحت ومجتها الأسماع قبحت القصيدة كلها[١] ، ويرى ابن قتيبة أنه لا بد من ضرورة بدء القصيدة بمقدمة طللية ينتقل منها الشاعر إلى النسيب ثم وصف الرحلة ومنه إلى غرضه الأصلي الذي نظم القصيدة من أجله[٢]. كما يعيب ابن رشيق القيرواني على الشعراء الذين يهجمون على قصائدهم دون أن يمهدوا لها بمقدمة مناسبة ويسميها (بالقصائد البتراء)[٣] .

ومن خلال التأمل في نصوص المعارضات الشعرية الأندلسية، ندرك أن الشاعر الأندلسي لم يكن سائراً على نهج واحد في عرضه لمعانيه، فنجده تارة يعرض لغرضه المقصود بشكل مستقل، وتارة أخرى يتسلل إليه عبر غرض آخر. ومن هنا نستطيع القول: إن مقدمات قصائد المعارضات الشعرية الأندلسية في عصر الموحدين تنقسم إلى قسمين:

---

(١) ابن رشيق ، العمدة : ٢١٧/١ .

(٢) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء : ٥٧/١ .

(٣) ابن رشيق، العمدة : ٢٣١/١ .

أولاً : المقدمة التقليدية (المتجددة) : وهي أن يتناول الشاعر الغرض الأصلي الـــذي يقصده ضمن موضوعات أخرى، كأن يبدأ الشاعر قصيدة المدح بمقدمة غزليه مثلاً، ويتبعـه الشاعر المعارض في ذلك، وقد أطلقنا عليها اسم (المقدمة التقليدية المتجددة) لأن العديد مـن الشعراء يفتتحون قصائدهم بالمقدمة التقليدية، إلا أنهم يطرحون كثيراً من مقومات هذه المقدمة وتقاليدها الموروثة، فقد أبعدوا المظاهر البدوية التي لم تعد تتفق مع بيئتهم الجديدة، كوصـف الصحراء والناقة والمعارك الدائرة، بل أولوا اهتمامهم بالعناصر الجديدة التي اقتضتها طبيعـة التطور الاجتماعي والحضاري الذي طرأ على الواقع الجديد، فاستبدل بوصف المنزل الداثـر العافي وصف الديار العامرة، وانتقل الشاعر الأندلسي في مقدمة معارضته من مجرد الوقوف على المنزل بمفهومه التقليدي الخاص إلى الوقوف على المنزل المتمثل في بلاده ووطنه الأم، الذي اعتاد مفارقته وتوديعه والبكاء على أطلاله كلما ابتعد عنه؛ طلباً للرزق أو هربـاً مـن الحروب والكوارث والصراعات السياسية التي مرت بها الأندلس، ثم لم يلبـث الشـاعر أن يعقب بوصف ما يثيره الفراق من شجن وألم وما يطالعه به الدهر من شوق وحنين أفضى به إلى استطابة عبرات التذكر والأسى واستعادة أيام اللهو والحياة الراغدة. وقد يتـأثر الشـاعر المعارض بأسلوب الشاعر المعارض وتقسيمه لقصيدته، مقتفياً أثره في ذلك متقيداً به تقيـداً تاماً، ومن ذلك معارضة صفوان بن إدريس للرصافي، إذ استهل الرصافي إحـدى قصـائده بالحنين إلى بلدته بلنسية مستنشقاً عبير عطرها الفواح، على الرغم من بعد المسافة بينـهما، طالباً لها السقيا، مستذكراً أيام لين العيش التي قضاها فيها، قائلاً :

خليليَّ ما للبيدِ قد عَبقَتْ نشـــرا وما لرؤوس الركب قدْ رنَّحت سكْـرا
هلْ المسكُ مفتوقاً بمدرَجَة الصَّـبا أم القوم أجروْا منْ بلنسيةٍ ذكْـــرا
خليليَّ عُوْجا بي عليها فإنَّـــهُ حديث كبْرد الماء في الكبد الحـــرَّى
بجسر معانٍ والرُّصافة إنَّـــهُ على القطر أنْ يسقي الرُّصافة والجسْرا[1]

---

[1] الرصافة ضاحية ومتنزهان بين بلنسية والبحر، والجسر قائم على نهرها.

بلادي التي ريشتْ قويِّدمتي[١] بها فريخاً وآوتني قرراتـــها وكـــرا
مبادئُ لين العيش في ريق الصبا أبى الله أن أنسى لها أبـــداً ذكـــرا
أكلُّ مكانٍ راح في الأرضِ مسقطاً لرأس الفتى يهواهُ ما عاشَ مضطرّا[٢]

فيعارض صفوان بن إدريس بقصيدة يستهلها بالشوق والحنين، لبلدته مرسية قائلاً:

لعلَّ رسول البرق يغتنمُ الأجـرا فينثّر عنّي ماء عبرته نثـــرا
معـــاملةٌ اربى بها غير مذنـــب فأقضيه دمع العين عن نقطةٍ بحرا
ليسقيَ من تدميرَ قُطْراً محبَّـباً يقرُّ بعين القُطر أنْ تشرب القطْرا
ويقرِضُهُ ذُوبَ اللُّجينِ وإنمـــا تُوفيهِ عَيْني من مدامِعِها تِبْـــرَا
وما ذاكَ تقصيراً بها غيرَ أنَّـــهُ سجيَّةُ ماء البحر أن يذوي الزهرا
فإنّ الصبا ريحٌ عليَّ كريمـــةٌ بأيَّة ما تسري من الجنة الصغرى
خليلي أعني أرض مرسية المنى ولولا توخي الصدق سمّيتُها الكُبْرَى
محليَّ بل جَويّ الذي عبقت بـــهِ نواسِمُ آدابـــي معطِّـــرةً نَشْـــرَا
ووكْري الذي منه درجْتُ فليتني فُجِعْتُ بريش العَزْم كي أُلزَمَ الوَكْرَا[٣]

وعند الموازنة بين المقدمتين السابقتين نجد أن صفوان بن إدريس قـــد تـــأثر بـــابن غـــالب الرصافي وتقيد بما جاء به تقييداً واضحاً. فإذا بحثنا عن الغرض الأصلي الذي نظم الرصافي قصيدته من أجله نجده الوصف لبلدته بلنسية بطبيعتها الخلاّبه فجعل الحنين تمهيدا لذلك، وقـد تبعه صفوان بن إدريس بذلك فكان وصف مرسية هو الغرض الأصلي الذي عمل معارضتـه من أجله، فسار على نهج الرصافي بأن جعل الشوق والحنين لمرسية مدخلاً لذلك، ذارفاً دمع العين وفاءً ومحبة وحنيناً لها ، طالباً لها السقيا، مستذكراً الحياة الراغدة والعيشة الهانئة التـــي

---

[١] قويدمتي: تصغير قادمتي، والقادمة إحدى القوادم وهي ريشات في مقدم الجناح.

[٢] الرصافي، الديوان: ٧٠-٧١ .

[٣] صفوان بن إدريس : زاد المسافر : ٢٥ .

عاشها في ربوعها، وقد أخذ كثيراً من المعاني والألفاظ والأساليب وبعض التراكيب التي جاء بها الرصافي، وضمنها في مقدمته : فإذا ما استوقف ابن غالب أصحابه وطلب منهم أن يعرجا على بلنسية فيحدثانه عنها ليبرد نار الشوق المتقدة في صدره قائلاً :

خليليَّ عُوْجا بي عليها فإنَهَ حديثٌ كبردِ الماءِ في الكبد الحرَّى

نجد صفوان ابن ادريس يتبعه في ذلك ، قائلا :

خليليَّ قُوْما فاحبسا طُرُقَ الصَّبا مخافةَ أن يحمي بزفرتي الحـرّا

وإذا ما استذكر ابن غالب أيامه التي خلت ببلاده ، ذاكراً أفضالها عليه قائلاً :

بلادي التي ريشت قويدمتي بها فُريخاً وآوتني قرراتُها وكـرَا

فيتبعه صفوان بن إدريس بذلك قائلاً :

محلٌّ بل جَويّ الذي عَبِقَتْ بـه نواسِمَ آدابي معطـرةَ نشـرَا

ووكري الذي منْهُ درجتُ فليتني فجعت بريشَ العزم كي ألزم الوكرَا

وإذا ما طلب السقيا لبلاده ، قائلاً :

بجْسرِ معـانٍ والرُصـافة إنَّـهُ على القطر أن يسقي الرُصافة والجسرَا

قال صفوان بن إدريس :

ليسـقي من تدمير قطراً محبباً يقرُّ بعين القطْر أن تشرب القـطـرَا

وقد يخالف الشاعر المعارض الشاعر المعارَض أيضاً في الغرض الذي يجعله مقدمة لموضوعه، ومن ذلك ما حصل بين أبي الوليد القسطلي وصفوان بن إدريس التجيبي ؛ إذ نظم القسطلي قصيدة في مدح الوزير ابن صفوان ويصف بناءه لمنزل أزرق فاستهل قصيدته بوصفه للمنزل ثم انتقل إلى غرض المدح، فاستهل قائلاً:

بنيْتَ بدارةِ القمرَيْنِ دارا فدعْ غُمدان أو إيوانَ دارا

بطوْدٍ مُشْرفِ الجنباتِ عالٍ كأنَّ على النُجومِ له مَدارا

وقد غَرَستْ أياديكَ المعالـــي حفـافَـيْهِ وأعْـبُدكَ الثِّمارا[١]

فعارضه صفوان بن إدريس بقصيدة على الغرض نفسه، ولكنه اختلف معه في التقسيم، ففي حين بدأ القسطلي بمقدمة يصف بها المنزل، بدأ صفوان بمقدمة يمدح بها جماعة من أصحابه، فقال :

ومُـذْ خيَّمتُ بالخضراء دارا وزنتُ بشِسْعِ نَعْلي تـاجَ دارا

تـوهَّمـتُ السَّـماءَ بها محليّ لأني للنجومِ أقمتُ جـــارا

لإخـــوانٍ إذا فكَّـرتُ فيـهم رأيـتُ كـبارَ إخواني صغارَا

كـأنَّ الله قـد سَـبكَ المعالي فخلَّصَ مجْدهم منها نضـارا

ومـا قالـوا لها الخضراءَ إلا لأنَّ كانت لأنجُمِهِمْ مـدارَا[٢]

ثانياً : المقدمة غير التقليدية (الجديدة) : وفيها يبتعد الشاعر كلياً عن التقاليد والقواعد التي بنيت عليها القصيدة العربية، وقد اتجه الشعراء فيه ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول : وهو ما أشار إليه ابن رشيق القيرواني بقوله : "ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطاً من النسيب ، بل يهجم على ما يريده مكافحة، ويتناوله مصافحة..."[٣] وهذا هو القطع، والبتر، والوثب ؛ أي أن يقطع الشاعر المقدمة المعتادة في القصيدة العربية ويثب إلى الغرض الذي يريده مباشرة بشكل مستقل فيفرد له قصيدة مستقلة ، ومثل هذه القصائد يسميها حازم القرطاجني بالقصائد (البسيطة ذات موضوع واحد)[٤]. وتكثر مثل هذه المقدمات في شعر المعارضات الأندلسية وفي معارضات الوصف والغزل والهجاء بشكل خاص؛ بحيث ينظم الشاعر المعارض قصيدة على هذا النحو فيتبعه الشاعر المعارض بذلك ويتقيد بأسلوبه، ومن هذه البدايات الجديدة نجد قصيدة ابن الأبار في وصف الدولاب يصف

---

[١] صفوان بن إدريس : زاد المسافر : ٥٩ .

[٢] المصدر السابق : ٩٥ .

[٣] ابن رشيق ، العمدة : ٢٣١/١ .

[٤] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء : ٣٠٩ .

صوتها وحركتها وهي تنثر الماء من كل جانب فتسقي به النبات ، دون أن يمهد لذلك بمقدمة توصله له ، فيقول :

ورافضةٍ من مائِها في هوائِها ... نثاراً يُريها في عِدادِ النَّواصبِ

تمجُّ كبار الدُّر في دورانِهـا ... فلو لَقطتْ زانتْ نحورَ الكواكبِ

وتُفرِغ أنواع الفُروعْ صوادقاً ... دلاءً لها مُنْهلّةٌ كالسَّحائـــبِ

وتجعل تَرْدادَ الحنين لأَصلِها ... دلالة طيبِ المُنتَمى والغرائبِ[1]

وهي قصيدة طويلة كلها في وصف الدولاب ، فيعارضه بهذه القصيدة أبو علي بن أبي الحسن ، يصف دولاباً أيضاً فنجده يتقيد بما جاء به ابن الأبار تقيداً تاماً ، إذ يقدم لمعارضته بمقدمة جديدة يستهلها بغرضه الأصلي وهو وصف الدولاب على شاكلة قصيدة ابن الأبار ، فيقول :

ومخنية الأَصْلاب تَحنُو على الثَّرى ... وتَسْقي نباتَ التُّربِ دُرَّ الترائبِ

ترى نصفها العُلْوِيَّ قوساً مُرنَّـــةً ... ترامي سهامِ الماءِ عن كلِّ جانبِ

تعدُّ من الأفلاك إن مـيـاهـهـا ... نجومٌ لرجم المحل ذات ذوائبِ

ويستمر في ذلك إلى أن يختمها :

كأنّ مجاريها ودُهمة لوْنِـهـا ... بياضُ العطَايا في سوادِ المطالبِ[2]

ومن هذه المقدمات ، مقدمة قصيدة بعث بها أحد أعيان شلب إلى أبي بكر بن المنخل مادحاً :

يا واحدي من ذا الورى بولائِهِ ... ووحيدَهُم - إن ناظروا - بذكائِهِ

أما الكلامُ فقد ملكت زِمـامَـه ... نوعاً فنوعاً فانفردْ بلوائِـهِ[3]

---

[1] ابن الأبار ، الديوان : ٦٣ - ٦٤ .

[2] ابن سعيد ، رايات المبرزين : ٦٤ .

[3] ابن الأبار ، الحلة السيراء : ٢٠٩/٢ .

فيجاوبه ابن المنخل بقصيدة معارضاً متتبعاً آثاره ومنتهجاً نهجه في مقدمة جديدة يدخله إلى غرض المدح مباشرة فيقول :

يا مُلْبسي النُعمى بحسن ثنائهِ ومميزي نَقْداً بصدقِ ولائهِ

ألقى عليَّ مديحه فلبستُهُ برداً ، وردَّ عليَّ فضل رادئِهِ

وأعارني من خُلقهِ وصفاته فحسبتُ ذيل الوشي من صنعائهِ

إلى أن يختمها :

كانتْ لياليهِ نُجومَ زماننَا فتناثرتْ حِمَماً على ظلْمائِهِ[1]

الثاني : أن يستهل الشاعر معارضته بما يتناسب والغرض المنشود، وبما يتلاءم والجو العام للقصيدة ، كأن يبدأ الشاعر قصيدة المدح الجهادية بالدعاء أو التهنئة للممدوح بالنصر الذي حققه، فقد عزف الشعراء عن المقدمات الغزلية في معارضات الجهاد مثلاً ، واستعاضوا عنها بمقدمات ترتبط بالجو العام للقصيدة ؛ لأنّ شدة انفعال الشاعر وفرحته بالنصر كانت تفرض عليه أن يبدأ مباشرة إما بالتهنئة بالنصر أو بالإشادة بمن حققه. ومنها قصيدة نظمها ابن المنخل بمناسبة عبور الخليفة عبد المؤمن إلى الأندلس، ونزوله في جبل طارق، فتضمنت قصيدته الحديث عن قوة الموحدين وحروبهم وضخامة جيوشهم التي اعتمدوا عليها، وهي توحي بالتفوق في تلك الحروب ، وبالعنف الذي أخذ به الموحدون على الأعداء ، كما تحمل إحساس الشاعر بقوة الدولة الموحدية وعنفوانها وقد استهلها الشاعر بالإشادة بالممدوح وشجاعته وبسالته في لقاء العدو، فقال :

فتحتُم بلاد الشرق فاعتمدُوا الغرْبَا فإن نسيمَ النصرِ بالفتح قد هبَّا

أصَرتم إليه الخيلَ وهي أجادلٌ فسالتْ بكم بحراً وطارتْ بكم ركبَا[2]

ودستُم بها هاماتِ كلّ مضلّل ولم تتركُوا عجماً هناك ولا عُربْا

---

[1] ابن الأبار ، الحلة السيراء : ٢/ ٢١٠

[2] ركبا: أي وهم راكبوها.

رميتُمْ بها مثلَ السِّهام فأصبحتْ كُماتُهم[١] صرعى وأموالُهم نهبَا

أتوكم يجرون الحَديدَ سوابغاً كأنهم البحرُ الغَمالطِ قد عبَّا[٢]

وظنوا -وفي الظن الجهالةُ- أنّهمْ يفلوُن من أجنادِكَ الصارم العضبا[٣]

فلما تلاقيتم وبينْت الوغى تولوا وقد طارتْ قلوبُهم رُعبَا

أضلّتهمْ البيضُ الصوارم والقَنَا فكانت لهم رفعاً وكانوا لها نَصْبا !

ومنها :

ومن تَخِذَ الآساد عدّة حربه أعد مجاجات[٤] الكلوم له شربا[٥]

وقد عارض بها قصيدة المتنبي التي مطلعها :

فَديناكَ من رَبعٍ وإن زدتنا كَرْبا فإنّكَ كنت الشرق للشمسِ والغَرْبا[٦]

ومنها :

وكيفَ عرفنا رسمَ من لم يدعْ لنا فؤاداً لعرفان الرُسوم ولا لُبّا

نزلنا عن الأكوارِ[٧] نمشي كرامةً لمن بان عنهُ أن نلمَّ به رَكْبَا

نذمُّ السَحابَ الغرَّ في فعلها به ونعرِضُ عنها كلّما طلعتْ عَتْبَا[٨]

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلّبت على عينيه حتى يرى صدقها كِذْبَا

---

[١] الكمي: البطل الشجاع الذي يلبس السلاح.

[٢] والسابغ : الشيء التام الطويل أسبغ الفارس: لبس درعا سابغة،. والغمالط: الهائج المضطرب الأمواج، والبحر العباب: ارتفع موجه واصطخب.

[٣] الأجناد: الأنصار والأعوان وهم العسكر. والغضب: القاطع.

[٤] مجاجات : جمع مجاجة ، ومجاجة الشيء : عصارته .

[٥] ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة : ١٥١/٢-١٥٥ .

[٦] الربع: منازل الحبيب، والكرب: الحزن.

[٧] الأكوار : رحال الجمال .

[٨] الغُر : البيض . أعرض عنه: أي حول وجهه عنه.

ذكرت به وصلاً كأن لم أفز به وعيشاً كأني كنت أقطعه وثبـــا[1]

وقد نظم المتنبي هذه القصيدة في مدح سيف الدولة الحمداني وكـــانت قصيـــدة ابـــن المنخل في مدح الخليفة عبد المؤمن، ولو نظرنا إلى مقدمتي القصيدتين لوجدنا أن المتنبي يبدأ قصيدته بمقدمة تقليدية يعرج فيها على ديار الحبيب ومنازله، ويخاطبه ويدعو له ، فهو يـهيّج الحزن في داخله لذكرى الحبيب الذي كان فيه، ثم نجده يترحل عن ركائبه ويمشي في هـــذا الربع إكراماً وتعظيماً للحبيب ذاكراً أيام وصله به ، وسرعة انقضاء تلـــك الأيـــام الجميلـــة ويتحدث عن تقلب الأحوال وينتقل منه إلى الحديث عن ألم الفراق والبعد وما فعلـــه بـــه ؛ إذ جعله حائراً تائهاً ، ومنه يبدأ بالخوض في مدح سيف الدولة الحمداني فكانت مقدمته تقليدية ، في حين عارضه ابن المنخل بهذه القصيدة . وأخذ منه كثيراً من معاني المدح وكثـــيراً مـــن الألفاظ وبعض التراكيب والصور، ولكنه جعل مقدمة معارضته بما يتـــلاءم والجـــو العـــام للقصيدة وما يتناسب مع المناسبة التي قيلت فيها ، فبدأها بمقدمة متجددة تحـــدث فيـــها عـــن الإشادة بالممدوح، وهزيمته للأعداء، ووصف المعركة، ووصف حالة الأعـــداء وخذلانـــهم وهزيمتهم، وأشاد بجيش الخليفة عبد المؤمن وبسالته، إلا أنه ضمّن مقدمته هذه بعض معـــاني المتنبي وألفاظه ومن ذلك قوله:

وَمَنْ تَخِذَ الآساد عِدَّة حَرْبِـــــه أَعَدَّ مَجاجاتِ الكلومِ له شربا

فهو من قول المتنبي :

ومن تكن الأُسدُ الضواري جدوده يكن ليله صبحاً ومطعمه غصبا

الاتجاه الثالث : هو أن يمزج الشاعر المعارض مقدمة معارضته بغرضين ويكثر هذا النوع من المعارضات في المجاوبات والمراسلات والمراجعات، كأن يبعث شـــاعر لآخـــر رسالة شعرية مجاوبا مادحاً شاكراً، كما في معارضة أبي علي عمر وابن الأبار، فقد وصـــف أبو علي تمراً أهداه إلى ابن الأبار فيقول :

أتتْـــكَ خليقاتٌ بحُسنِ الخلائقِ بها غُنيةٌ عن كلِّ ما في الحدائقِ

---

[1] المتنبي ، الديوان : ٣٣٤ - ٣٤٠ .

سَليلاتُ جبارٍ حَكىٰ وسطُ دوحِهِ خَوافِقَ بالمرّانِ فوق الفيالقِ[١]

فيجاوبه ابن الأبار معارضاً بقصيدة يصف بها التمر ، فيستهلها بمقدمة مادحاً وشاكراً لأبي علي على ما اسداه من منائح ويصفها ، فيقول :

أمولاي حقُّ العبد تقريرُ عذره إذا هو لم يلق الحقوق بلائق

منائحٌ أسدتها مناحٍ كريمةٌ تُفوِّفُ للأحداقِ مثل الحدائقِ[٢]

ومما يتصل بالحديث عن مقدمة قصيدة المعارضات الأندلسية، الحديث عن مطلعها لما له من أهمية كبيرة فهو أول ما يقرع السمع، فإذا كان جيداً جعل السامع يتشوق لما بعده من أبيات ، وإن كان سيئاً أدى إلى نفور السامع وإعراضه عن القصيدة حتى لو كانت جيدة .

وقد اشترط النقاد القدامى في المطالع الجيدة الأسلوب الواضح ، والمعنى الظاهر والترابط في المعنى بين شطري المطلع واستخدام الألفاظ المناسبة، ومناسبة المطلع لغرض القصيدة وهو ما يسمى ببراعة الاستهلال[٣].

والناظر في مطالع قصائد المعارضات على اختلاف موضوعاتها يجدها في الغالب تتفق مع هذه الشروط كما أنها تتناسب مع موضوع القصيدة المعارضة والمعارضة أيضاً، وبخاصة المعارضات في المراجعات والمجاوبات والمراسلات، ومن الأمثلة على ذلك قول الكتندي وبعض أصحابه إذ كتبوا لأبي جعفر بن سعيد يدعوه إلى نزهة في حور مؤمل ونجد – وهما من أظرف متنزهات غرناطة – وقد ظمنوا دعوتهم معنى المدح، فقالوا في قصيدة مطلعها :

بعثنا إلى ربِّ السماحةِ والمجدِ ومَنْ مالهُ في مِلَّة الظرفِ من ندِّ[٤]

فيجاوبهم بقصيدة مطلعها :

---

[١] ابن الأبار ، الحلة السيراء : ٢/٢٨٢ .

[٢] ابن الأبار، الحلة السيراء: ٢/٢٨٢ .

[٣] ابن رشيق ، العمدة : ١/٢١٧-٢٣٢ .

[٤] المقري، النفح: ٣/٥١٣.

هو القولُ منظومٌ أم الدُّرُّ في العقدِ هو الزهرُ نفّاحُ الصبا أم شذَا الورد[١]

ولو وازنا بين المطلعين لوجدنا اتفاقاً وانسجاماً واضحاً، إذ جاء المطلع الأول متضمناً معنى المدح كتمهيد لرسالة شعرية تزخر بمعاني الإشادة وحسن الخلق لأبي جعفر بن سعيد وبيان خصاله النبيلة ودعوة له للاستمتاع معهم بنزهة في ضلال الطبيعة الأندلسية الخلاّبه ، وقد جاء مطلع القصيدة مناسباً لمضمونها ؛ فقد ترجم سبب دعوتهم له وإصرارهم على مشاركته لهم في نزهتهم هذه ؛ وذلك لما يتمتع به من ظرف وخفة روح، فضلاً عن الصداقة الحميمة بينهم.

وكان مطلع معارضة ابن سعيد ومجاوبته لهم ملائماً لهذه الرسالة الشعرية وما تحمله من معان فاضله، فجعل مطلعها في وصف رسالتهم وحسن نظمهم وكلامهم، فهو محبوك ومسبوك كالدر في العقد، ومعانيها زكية كشذا الورد ، وبما أن معارضته جاءت جواباً لهم كان مطلعها ملائماً ومناسباً لما تضمنته من معان.

ومن هذه المطالع أيضاً مطلع معارضة صفوان بن إدريس التي يحن فيها إلى نجد وهو :

سقَى مَضْرِبَ الخيماتِ من عَلَمَيْ نَجْدِ

أسحُّ غمامٍ أدْمَعي والحيا الرَّغْدِ[٢]

التي عارض بها أبا الربيع بن سالم بقصيدته التي مطلعها :

أحِنُّ إلى نجدٍ ومن حَلَّ في نجدِ وماذا الذي يُغني حنيني أو يُجدي[٣]

فقد جاء المطلعان مناسبين لمضمون القصيدتين، فكلاهما جاءت في الحنين إلى نجد، كما جاء مطلع معارضة صفوان بن إدريس ملائماً جداً لمطلع قصيدة ابن سالم، فنجده منذ البداية قد حدد موضوعه وهو الحنين والشوق والبكاء على بلدته التي قدر له أن يبتعد عنها،

---

[١] المقري، النفح: ٥١٣/٣ .

[٢] صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ٢٨ .

[٣] المقري ، النفح : ٤٧٦/٣ .

وبين بألفاظه التي اختارها، عاطفته تجاهها وهي عاطفة مشبوبة بالحزن والأسى واللوعة والبكاء ، وهو بذلك تقيد تقيداً تاماً بما جاء به الرصافي في مطلع قصيدته، بل أضاف إليه معنى البكاء فهو لم يرد في مطلع قصيدة الرصافي، إلا انه أظهر حنينه وشوقه ولوعته لبعده عنها من البداية، وهذا ما جاء به صفوان بن إدريس أيضاً.

إلا أن المطلع غير الجيد يضعف قصيدة المعارضة ويحط من قيمتها حتى لو كانت جيدة ومناسبتها عظيمة ، وهذا قل وجوده في شعر معارضات الأندلسيين في عصر الموحدين ولكن الأمر لا يخلا، ومن هذه المطالع ، مطلع معارضة ابن سيد الإشبيلي التي قالها في مدح الخليفة عبد المؤمن عند عبوره جبل طارق متوجهاً إلى الأندلس سنة ٥٥٥هـ، وهو:

غمّضْ عن الشّمْسِ واستَقْصِر مدى زُحَل
وانظُرْ إلى الجبلِ الرّاسِي على الجَبلِ[١]

وقد عارض بها قصيدة المتنبي التي مطلعها :

أعْلى الممالِكِ ما يُبنّى على الأسَـــل
والطّعنُ عند مجيبهنّ كالقُبـــلِ[٢]

فقد عاب أمير المؤمنين عندما سمع قصيدة الإشبيلي عليه هذا المطلع وأنكر قوله: (غمض عن الشمس) وقال على سمع من الناس: (غمّضْ! غمّضْ!) منكراً لها لأنه يحبُ الفأل الحسن[٣]. على الرغم من أن مضمون القصيدة جيد ومناسبتها عظيمة .

حسن التخلص :

---

[١] ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة : ١٥٦/٢ .

[٢] المتنبي ، الديوان : ٢٨١/٢ .

[٣] ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة : ١٥٧/٢ .

ومما يتصل بقصائد المعارضات ذات المقدمات، ما أطلق عليه النقاد "حسن التخلص" وهو ان ينتقل الشاعر بالسامع أو القارئ من المقدمة إلى الغرض الرئيسي دون أن يشعره بذلك، فحرص شعراء الأندلس في معارضاتهم على تحسين انتقالاتهم من المقدمات إلى الموضوع الذي يقصدونه ؛ ليكون بين المقدمة والغرض المنشود انسجام وتلاؤم يريح سمع المتلقي، ولا يشعره بالنفور من التباين والانقطاع الذي قد يحدث بين أجزاء النص الشعري وقد كان ذلك استجابة لدعوة النقاد والبلاغيين القدامى الذين لفتوا أنظار الشعراء الى ضرورة حسن التخلص بحذر وعناية شديدين من جزء لآخر في النص الشعري، حتى لا يشعر المتلقي بانقطاع مفاجيء يشتت خواطره وأحاسيسه[١].

وقد علل حازم القرطاجني أهمية حسن التخلص بقوله: " ... إن النفوس والمسامع، إذا كانت متدرجة في فن الكلام إلى فن مباين له من غير جامع بينهما، وملائم بين طرفيهما، وجدت الأنفس في طباعها نفورا من ذلك ونبت عنه...."[٢]

وهذا التعليل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بطبيعة النفس الإنسانية ؛ لأن النفس إذا اعتادت شيئاً واستسهلته وتفاعلت معه ، يصعب بعد ذلك نقلها إلى شيء آخر بطريقة مفاجئة ، للاختلاف المفاجئ للجو النفسي الجديد .

وقد سلك شعراء المعارضات في عصر الموحدين مسالك متعددة للتخلص الحسن الرقيق الهادئ في معارضاتهم كاستخدامهم لأدوات الربط مثل: (أن) المخففة والثقيلة، والواو، والكاف، والفاء ، وأساليب الاستفهام والشرط ؛ وذلك لإيهام المتلقي بترابط المعنى داخل النص .

ولم يلتزم الشاعر المعارض بالشاعر المعارض في استخدامه للأسلوب أو الأداة التي يتخلص بها وينتقل للغرض الذي يريده، ولا يعدُّ ذلك شرطاً من شروط المعارضة التامة، فقد يختلف وقد يتفق معه في ذلك.

---

[١] حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء : ٣١٨ .

[٢] المصدر السابق : ٣١٨ .

ومن هذه التخلصات اللطيفة نجد أبا الوليد يونس القسطلي في قصيدته التي مدح بها أبا الحسن بن حسون ، ويصف بناءه لمنزل أزرق ، ينتقل من وصفه للمنزل إلى غرض المدح باستخدام (الفاء) ، إذ قال :

فمن يكُ سائلاً عني فإنّي نزلتُ بأكرمِ الثقلين جَارا

أَبي الحسنُ بن حسونٍ الذي لا يُجاري في السّماح ولا يبارى[١]

وقد تخلص صفوان بن إدريس بمعارضته له باستخدام (الواو) فقال :

ومنزِلُنا بأزرقَ كوثريٍ بمنزلٍ أزرقَ ما إنْ يجارا

لبسنا للغدير به دُرُوعاً وجرّدنا جداولَهَ شِفَارَا[٢]

ومن تلك التخلصات الحسنة التي عمد إليها شعراء المعارضات الأندلسية قول ابن المنخل وقد انتقل من وصف المعركة وهزيمة الأعداء إلى مدح الخليفة عبد المؤمن بقوله:

ومن تَخِذَ الآسادَ عِدّةَ حَرْبِهِ أعدّ مُجاجاتِ الكلومِ له شِرْبَا[٣]

وقد تقيد بذلك تقيداً تاماً بالمتنبي، الذي انتقل إلى غرض المدح لسيف الدولة بعد مقدمة في النسيب والغزل، فقال :

ومن تكن الأسدُ الضواري جدودهُ يكن ليلُهُ صبحاً ومطعمُهُ غَصّبَا[٤]

ونجد ابن المنخل هنا قد تقيد والتزم بالأداة التي انتقل بها المتنبي.

---

[١] صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ٥٩ .

[٢] المصدر السابق : ٦٠-٦١.

[٣] ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة : ٥٣/٢ .

[٤] المتنبي ، الديوان : ٣٣٦ .

ولم يكتف الشعراء بالعناية بكيفية الانتقال من مقدمة القصيدة إلى الموضـــوع الــذي يريدونه فحسب ، وإنما عنوا عناية كبيرة بما يلي بيت التخلص، بوصفه مطلع الغرض الجديد الذي نظمت القصيدة من أجله، كما يشترك مع المقدمة والاستهلال في أبعاده النفسية ، فينبغي أن يكون مؤثراً محركاً للنفس مستثيراً للعاطفة، يبعث بها حيوية ونشاطاً، فبعد أن تخلص ابن المنخل إلى غرض المدح بعد البيت التالي :

ومن تَخِذَ الآسادَ عدَّة حَرْبِهِ أعد مُجاجاتِ الكلومِ لَهُ شُرْبَـا

تابع بخلع صفات المجد والشجاعة على الممدوح بأسلوب يجذب انتباه المتلقي، إذ قال:

مليكٌ كأنَّ الأرضَ قبضةُ كفِّهِ فلا بُعدَ فيما ينتحِيهِ ولا قُرْبَـــا

يكفيهِ فَضْلٌ بان عن كُلِّ فاضِلٍ إذا شدَّ عقدَ السِّلم أَو بعث الحَرْبَا[1]

وقد تابع في ذلك المتنبي فبعد أن تخلص إلى غرض المدح بقوله :

ومنْ تكُنُ الأُسدُ الضواري جُدوده يكن ليله صُبْحاً ومطعَمَهُ غَصْبَا

تابع بخلع صفات المدح والشجاعة والمجد بأسلوب شائق :

فُرُبَّ غلامٍ علَّمَ المجدُ نفســهِ كتعليمِ سَيف الدَّولة الطَّعن والضَّرْبَـا

إذا الدولة استكفتْ به في مَلمةٍ كفاها فكان السيفَ والكفَّ والقلـــبَ[2]

---

[1] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٥٣/٢.

[2] المتنبي: الديوان: ٣٣٦.

الخاتمة :

لم يكن اهتمام شعراء المعارضات بخاتمة القصيدة أقل من اهتمامهم بمقدمتها، فقد أولى النقاد القدامى خاتمة القصيدة عناية كبيرة، لا تقل عن اهتمامهم بالمقدمة والتخلص؛ لأنها قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في السمع، فإذا حسنت حسن الكلام بها وإذا قبحت قبح، وإن كان أول الشعر مفتاحه، فإن الخاتمة قفله.

وقد سلك شعراء المعارضات اتجاهات متعددة في اختتام معارضاتهم وعنوا بها عناية كبيرة ؛ تبعوا سابقيهم في خواتيم معارضاتهم بحيث تتفق وخاتمة القصيدة المعارضة في غالب الأحيان ، وبخاصة في معارضات المدح، ومن ذلك معارضة ابن المنخل للمتنبي .

في قصيدته التي مطلعها:

فَدَيْناكَ من رَبعٍ وإن زِدْتَنا كرْبَا ... فإنك كنتَ الشَّرْقَ للشَّمسِ والغرَبا

إذ عارضها ابن المنخل بمعارضة مطلعها:

فتحتمْ بلادَ الشرقِ فاعتمدوا الغرْبَا ... فإنّ نسيمَ النصرِ بالفتحِ قد هبّا

وقد ختم قصيدته بمدحه للخليفة عبد المؤمن قائلا:

رأوا بكَ دينَ الله كيف اعتزازهُ ... وأنتُمْ له حربٌ فكانوا له حَرْبَا[1]

وقد تأثر بالمتنبي بذلك فتبعه بالمعنى، إذ قال المتنبي خاتما قصيدته في مدح في مدح سيف الدولة:

فمن كانَ يُرْضِي اللُّؤْمَ والكفرَ ملكُهُ ... فهذَا الذي يُرْضِي المَكارِمَ والرَّبّا[2]

ومن الشعراء من يختم معارضته مازجا بين غرضين، كأن يمزج بين المدح والوصف ومن ذلك معارضة ابن الأبار لأبي علي عمرو في وصفه تمرا أهداه إليه فقد ختم معارضته بقوله يمدحه ويصف نثره وشعره الذي بعث به إليه:

مَننتَ بها منثورةً وشفعتَها ... بمنظومةٍ كالعقدِ في نَحْرِ عاتقِ

من الكلمِ اللاّتي انتمينَ إلى العُلا ... وشرّفنَ بالتسديدِ بيضَ المهارِقِ[3]

---

[1] ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة: ١٥١/٢.

[2] المتنبي، الديوان: ٣٣٩.

[3] ابن الأبار، الحلة السيراء : ٢/ ٢٨٦- ٢٨٧.

وقد اتفق بذلك مع أبي علي، إذ ختم قصيدته يطلب الصفح من ابن الأبار ويصف الشعر والرقعة التي بعث بها اليه:

فصفحاً عن المّهدي ومُهدىَ ورقعةً ... أتتكَ بعجزٍ لا بإعجازِ خارقِ

ويرمي إذا يرَمي القوافي بصائبٍ ... من الفَكْرِ لم يصحبْ بفوقٍ موافقِ

وقد كان يصَمي حينَ يرمي كأنما ... له خاطرٌ أفكاره من جُلاهِقِ

سرىٰ دَهْرُهُ في نشره فتفرقتْ ... شبيبَتَهُ إذ لاح شيبُ المفارِقِ

ومنهم من يضمن خاتمة معارضته ما يشير به إلى كلام الله تعالى، كما في معارضته صفوان بن إدريس للرصافي في قصيدته التي مطلعها:

لعلّ رسولَ البرق يغتنم الأجرا ... فينثرَ عني ماءَ عبرته نَثْرَا

وختمها بما يعبر فيه عن أمله في العودة إلى بلدته التي ابتعد عنها ويضمنها معنى قوله تعالى: ((إنّ مع العُسْرِ يُسرَا ، إنّ مع العُسْرِ يُسْرَا...[1]))

إذ قال:

ولستُ وإن طاشتْ سِهامي بآيسٍ ... فإنّ مع العُسْرِ الذي يُتقَى يُسْرَا[2]

ولم يتفق بذلك مع الرصافي، إذ ختم الرصافي قصيدته بوصف بلنسية:

هي الدُّرّة البيضاء من حيث جِئتها ... أضاءتْ ومن للدُّرِ أن يشبه البدرا

معاهد قد ولت إذا ما اعتبرتها ... وجدتَ الذي يحلو من العيشِ قد مرّا[3]

وعند الموازنة بين الخاتمتين نجد أن صفوان بن إدريس قد تفوق على الرصافي بحيث ختم قصيدته بغرض جديد وضمنها معاني القرآن الكريم، في حين استمر الرصافي في وصف بلنسية حتى ختم قصيدته به.

وقد يختم الشاعر معارضته بذكر الشاعر الذي يعارضه ويمدحه ويحيه كما فعل صفوان بن إدريس في معارضته لأبي الربيع بن سالم بقصيدته التي يحن فيها إلى نجد والتي مطلعها:

---

(1) سورة الشرح، اية : ٥-٦.

(2) صفوان بن إدريس، زاد المسافر : ٢٥.

(3) الرصافي ، الديوان:٧١.

أحنُّ إلى نجدٍ ومن حلَّ في نجدِ وماذا الذي يُغنني حنيني أو يُجدي

فعارضه صفوان بن إدريس بقصيدة يحن ففيها إلى نجد وختمها قائلا:

أحييّ برَيّاها جَنابَ ابن سالمٍ فيقرَعُ فيه البابَ في زمن الورد[١]

في حين ختمها ابن سالم في الحنين قائلا:

عسى الله أن يُدني السرورَ بقربكم فيبدو منّا الشمل منتظم العقدِ[٢]

ومن شعراء المعارضات من يبدأ قصيدته ويختمها بموضوع واحد ومن ذلك معارضة ابن الحسين لابن الأبار في وصف الدولاب، فقد بدأها بقوله:

ومحنيةِ الأصلابِ تحنو على الثرىٰ وتسقي نباتَ التُّربِ دُرَّ الترائبِ

وختمها بقوله:

كأنَّ مجاريها ودهمةَ لونها بياضَ العطايَا في سوادِ المطالبِ[٣]

وقد تأثر بذلك بابن الأبار الذي بدأ قصيدته قائلا:

ورافضةٍ من مائها في هوائها نثاراً يُريها في عِداد النواصبِ

وختمها بقوله:

أراقمُ للبستانِ خيرٌ رواقمٍ سوالبَ للأشجانِ خيرٌ سوالبِ[٤]

أما المعارضات الشعرية التي جاءت على هيئة مقطوعات، فهي ضمن المقدمات الجديدة غير التقليدية، لأنها في الغالب جاءت نتيجة للمجاوبات والمراسلات التي كانت تدور بين الشعراء في موضوع ما، أو بعضها التي جاءت في الوصف والغزل وبعض المقطوعات الهجائية لأن المعارضات في هذه الأغراض غالبا جاءت بمقطوعات بسيطة تأتي ضمن موضوع موحد فلا يعنى شعراؤها بمقدمة تمهد للموضوع وخاتمة ,وإنما يبدأ الموضوع مباشرة ويختمها بما يتلائم معه، ومن الأمثلة على ذلك معارضة في الحكم والمواعظ بين ابن المنخل وأحد أصحابه، إذ كتب إليه صاحبه ينصحه ويعظه، قائلا:

---

[١] صفوان بن إدريس، زاد المسافر: ٢٨.

[٢] المقري، النفح: ٣/ ٤٧٦.

[٣] ابن سعيد، رايات المبرزين: ٦٤.

[٤] المصدر السابق: ٢١٠

لئنْ غضَّ منكَ الدَّهرُ يوماً بأزمةٍ فحسبُكَ أن تلقَى وأنت صبورُ[1]

فليسَ أسىً يبقى وإنْ جلَّ مثلُ ما علَى كلِّ حالٍ لا يدومُ سرورُ

أيوجدُ في الدُّنيا من الناسِ صاحباً إذا أعرضتَ أبقى؟ لذاك عسيرُ

طلبت عزيزاً لا يُنَالُ، فإن يكُنْ فإنَّ أبا بكرٍ بذاكَ جديرُ

رضيتُ به حظّاً من الناسِ كُلِّهم فما بَعدَهُ حر إليه نشيرُ

فقال ابن المنخل:

تجافَ عن الدُّنيا وعن بردِ ظلِّها فإنَّ برودَاً لا يدومُ حرورُ[2]

فديتَكَ، لا تأسَفْ لدُنيَا تقلصتْ وأوحشَ يوماً منبرٌ وسريرُ

وإن عُرِّيتْ جُرْدُ المذاكي وذُلِّلتْ أسودُ، فلمْ يسمعْ لهنَّ زئيرُ

وغودرتِ الراياتِ تهفو كأنها إذا رفرفتْ يوم الهياجِ نسورُ

وختمها بقوله:

ومن ذا الذي يسمو سموّك للعلا ويعفو عن الزلات وهو قدير

وعند النظر في المقطوعتين السابقتين نجد أن ابن المنخل قد تقيد تقيدا واضحا عند جوابه لصاحبه بأسلوبه وبنائه لهذه المقطوعة، بحيث جاء جوابه ملائما للمقطوعة السابقة فقد بدأها بالمواعظ، وختمها بمدح يقتضيه الجو العام للنص كما هو الحال عند سابقه.

وإما أن تأتي هذه المعارضات في وصف شئ ما وتنتهي بوصفه، وهذا كثيرا ما يكون في المقطوعات البسيطة في الوصف أو معارضات الغزل مثلاً، ومن ذلك هذه المعارضة في وصف الأقلام، فقد استهدى أبو بكر بن بقي الشريشي بعض أصحابه أقلاما، فبعث إليه بثلاثة من قصب وكتب يصفها:

خُذْها إليكَ أبا بكرِ العُلا قَصَباً كأنّما صاغها الصوّاغُ من ورقِهْ

يُزهى بها الطرسُ حسناً فانثرتْ بها مسكَ المدادِ على الكافور من ورقهِ[3]

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء: ٢/ ٢١٠.

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء: ٢/٢١٠.

[3] المقري، النفح: ٣/ ٤٣٩.

فأجابه أبو بكر وقد وصفها أيضا:

أرسلتَ نحوي ثلاثاً من قناً سَلَبٍ ... ميّادة تطعنُ القرطاسَ في وَرَقَهْ

فالخطُّ يُنكرها والحظُّ يعرفها ... والرَّقُّ يخدمها بالرِّقِّ في عنقهْ[1]

أما المعارضات في المطارحات والإجازات الشعرية، فهي لا تعنى بمقدمة ولا خاتمة ولا بتخلص ينقلها من غرض لآخر؛ إذ تأتي في موضوع ما وهي اشتراك بين شاعرين أحدهما يطرح الفكرة والآخر يكملها أو يبدؤها شاعر ويختمها الآخر، ومن ذلك معارضة في وصف مالقة بين ابن مسلمة ووالد ابن سعيد، إذ مرا يوما بها فقال ابن مسلمة في وصف طبيعتها:

مَرَرْنَا بِرَّيةَ قصداً كما ... يمرُّ النسيمُ بروضِ الزَّهَرْ

فقال والد ابن سعيد:

فجُلْنَا بروضٍ نأى زَهْرُهُ ... وأقلعَ عَنْهُ انسكابُ المطَرْ

فقال ابن مسلمة:

فلم تَرِ رِحْلتنَا دون أن ... نَسِرَ ببِشْرٍ وسقيا دُرَرْ

فقال والد ابن سعيد:

ولم نقضِ من كَعْبة الجُودما ... يقضِّي الذي حجَّها واعتَمَرْ

فقال ابن مسلمة:

ولم نرَ إلا خطاب العُلاَ ... بطَوْعِ الإقامة أو بالسَّفَرْ

فقال والد ابن سعيد:

وتَرْكَ التكلُّفِ تأميلُنا ... متى كنتَ بالبدْوِ أوْ بالحضَرْ[2]

ونستنتج مما سبق أن الوحدة الموضوعية تتجسد بشكل كبير وواضح بين المعارضات في الإجازات والمطارحات والمقطوعات الشعرية البسيطة.

وهذا هو الغالب على قصائد المعارضات ذات المقدمة والخاتمة، نجدها في بعض الأحيان متحدة في موضوعها وأجزائها ومعانيها وتقسيمها على الرغم من احتواء إحدى

---

[1] المقري ، النفح : ٤٣٩/٣ .

[2] ابن سعيد، المغرب: ٧٥/١.

القصيدتين على أكثر من فكرة، كأن يبدأ الشاعر قصيدته في الحنين والتحسر على فراقه لأهلـــه وبلاده،ثم ينتقل إلى وصفها بطبيعتها وما فيها من أزهار ورياض:... ثم يتابع في المذاكرة لأيـــام الشباب ولين العيش في أفيائها، فهو بذلك يكون قد ضمن معارضته ثلاثة موضوعات: الحنيـــن، والوصف، والمذاكرة، فجاءت بأكثر من فكرة وأكثر من عاطفة، ونجد الشاعر المعارض يتقيـــد بأسلوبه هذا فيأتي بقصيدة معارضة تتحد كليا مع القصيدة المعارضة،[1]ومنها ما يختل في وحدتـه الموضوعية وهي المعارضات غير التامة وهي قليلة في شعر المعارضات في عصر الموحدين.

- اللـغـــــة :

تعد اللغة عنصرا جوهريا وركنا أساسيا في بناء القصيدة فهي وسيلة الشاعر فـــي التعبير والخلق والإبداع، بل هي الأساس الذي يحدد قيمة العمـــل الفنـــي لأن موضـــوع القصيدة وصورها وموسيقاها لا تكفي وحدها لإعطائها قيمتها النهائية بمعزل عن اللغـــة التي تتفاعل مع التجربة الشعورية، فتنتج عملا فنيا يزخر بالحياة والحركة الصور والألوان التـــي تؤثر في نفسية المتلقي فتمنحه القدرة على التفاعل مع الشاعر والإحساس بتجربته.

وكان شعراء الأندلس في عصر الموحدين وفي مختلف العصور الأندلسية ينظرون إلـــى لغة الشعراء القدامى ويستقون من نبع أفكارهم ومعانيهم ويستخدمون ألفاظهم التي تعد من الذخائر، ولا ضير من أن ينتفع بها الشاعر متى أراد ولا يعد استخدامها سرقة، مثل كلمة (خليلي، وعوجا) وغيرها، فكثر استعمالها عندهم بمعنى الحنين والشـــوق لبلدهـــم التـــي أجبروا على البعد عنها، كما في قول الرصافي:

خليليّ ما للبيدِ قد عبقت نشرَا وما لرءوسِ الرَّكبِ قد رُنِّحت سكرَا

ونجد أن أبا بحر صفوان بن إدريس قد تأثر بالرصافي وتقيد بما جاء به من ألفاظ، فقال:

خليليّ قوما فاحبسا طُرَقَ الصَّبا مخافةَ أن يحمي بزفرتي الـــحـــرَّا

وقال ابن مرج الكحل في قصيدة بعث بها إلى صفوان بن إدريس نلمح منها معنى العتاب:

---

[1] انظر معارضة صفوان بن إدريس التي مطلعها:

لعل رسول البرق يغتنم الأجرا فينثر ماء عبرته نثرا/ زاد المسافر : ٢٥.

والتي عارض بها الرصافي في قصيدته التي مطلعها:

خليلي ما للبيد قد عبقت نشرا وما لرؤوس الركب قد رنحت سكرا

خليليّ ما في الأرضِ صفو مودةٍ إذا لم يكنْ يصفي المودّة صفْوانُ[١]

وفي معارضة صفوان له نجده أيضا يقتفي أثره في اختيار الألفاظ فينتقي لفظة خليلي بقوله :

خليليّ عوجا فانظر وتبيّنا ولا تكسلا لن يبلغ المجدَ كسْلانُ[٢]

وقد اتجه شعراء المعارضات الأندلسية إلى استخدام اللغة تتناسب مع الموضوع، و تعبر عن نفسية الشاعر بنقل صورة دقيقة مطابقة للواقع، كما أنها تشابه لغة القصيدة المعارضة، من حيث التأثر بالمعاني واختيار الألفاظ التي تناسبها ووضعها في قالب لغوي يتفق ولغة القصيدة المعارضة، وتتفق القصيدتان في لغتهما من حيث السهولة والسلاسة أو الصعوبة والتعقيد ففي معارضات المدح-مثلا- التي تأثر بها شعراؤها بالشعراء المشارقة القدامى، نجدهم يبحثون فيها عن معاني الفخامة والجزالة، ويتخيرون لها الألفاظ المناسبة للمعاني العميقة.

ومن ذلك قول ابن المنخل في معارضته للمتنبي ففي قصيدته التي مدح بها سيف الدولة والتي مطلعها:

فديناكَ من رَبع وإنْ زدتنا كرْبَا فإنكَ كنتَ الشرقَ للشمسِ والغرْبَا

إذ قال في مدح الخليفة عبد المؤمن:

ومن تَخِذَ الآساد عُدة حرْبهِ أعد مُجاجات الكلوم له شرْبَا

وهو بذلك عمد إلى اختيار ألفاظ تعطي معنى أقوى وأعمق مما جاء به المتنبي بقوله:

ومن تكن الأُسد الضواري جدودَهُ يكن ليله صبحاً ومطعمهُ غصْبَا

فجاءت ألفاظه عميقة وقوية تلائم الموقف ككلمة (مجاجات) وقد عمد الى اختيار الجمع في (كلوم) لتقوية المعنى والمبالغة فيه حتى نجده يصل إلى درجة المتنبي في ذلك في عمق المعنى واختيار الألفاظ. كما أنه عمد إلى ألفاظ المتنبي نفسها وتضمينها قصيدته بل اقتبس منها شطراً كاملا عندما قال:

ويستنشدُ البطريقُ في عرصاتِكمْ " فديناك من رَبْعٍ إن زدتنا كَرْبَا"

---

[١] ابن خميس، أدباء مالقة: ٢١٠.

[٢] المصدر السابق : ٢١١.

كما استعار كثيرا من معاني المتنبي ووظفها في معارضاته بقالب لغوي جديد، فقال في مدح الخليفة وبيان شجاعته والإعلاء من شأنه:

مليكٌ كأنّ الأرضَ قبضةُ كفّهِ ... فلا بعد فيما ينتحيهِ ولا قُربَا

لكفيّه فضلٌ باتَ عن كل فاضلٍ ... إذا شد عقدُ السّلم أو بعثَ الحرْبَا!

وقد أخذ ذلك من قول المتنبي:

إذا الدولة أستكفتْ به في مُلمةٍ ... كفاها فكانَ السيفَ والكفَ والقلْبَا

وفي قوله:

ولو علمَ الناسُ الخفيّاتِ أمرُهُ ... لما درسُوا صحفاً ولا صنّفوا كتْبَا!

فهو من معنى قول المتنبي:

عليمٌ بأسرَارِ الدّياناتِ واللّغى ... له خطراتٌ تفضحُ النّاسَ والكتْبَا

يتقيد شاعر المعارضة في استخدام لغته بلغة القصيدة المعارضه، فإذا عارض قصيدة تحمل معاني الفخامة و الجزالة كقصائد المدح الجهادية، فإنه ينتقي لغة تلائم الجو العام للقصيدتين المعارضة والمعارضة، وإذا عارض قصيدة غزلية، فلابد من أن تتسم لغته بالسلاسة و الرقة فقد غلب على معارضتهم للمشارقة الطابع المشرقي في اللغة و الأسلوب.

وقد نعم الأندلسيون ببيئة حضرية مترفة ، وتطورت حياتهم الاجتماعية والثقافية والأدبية، وانعكس ذلك على أساليبهم اللغوية فتحضرت وتطورت بتطور أساليب الحياة الاجتماعية و الثقافية، إذ ابتعدوا عن الألفاظ المعجمة القديمة التي لا تتلائم وحياتهم المتحضرة فجاءت معارضتهم بلغة بسيطة تميل إلى الرقة والسلاسة، وساعدت ظاهرة الارتجال في القول التي شاعت في عصر الموحدين بشكل كبير، كما كان ظاهرة المراسلات و المجاوبات الشعرية بين الشعراء على ذلك أيضا[1]؛ لأن الذي ينظم ارتجالا

---

[1] فوزي سعد عيسى، الشعر في عصر الموحدين :٢٤١.

تأتي ألفاظه سهلة التي تناسب الموضوع والموقف الذي ينظم فيه، ومما يصور ذلك قول ابن ولاد[١] وقد طلب الإجازة من صبي تغدى عنده يوما، فقال:

أَكَلْنا الخبزَ مصبوغاً بزيتِ

فقال الصبي:

غذاءً نافعاً في وسط بيتِ

فقال ابن ولاد:

فلو شئٌ يردُّ الميت حيّاً

فقال الصبي: لكان الخبزُ يُحيي كلَّ مَيّتِ[٢]

فنلاحظ أنها لغة بسيطة وسهلة وتكثر هذه البساطة ورقة التراكيب أيضا في معارضات الغزل، ومن ذلك قول القاضي أبي عبد الوهاب بن علي بن نصر يشكو من ألم الهجر ويطلب وصل المحبوبة:

تملّكتَ يا مُهجتي مُهجتي وأسهرتَ يا ناظِري ناظِري

وما كان ذا أملي يا ملولُ ولا خطرَ الهَجْرُ في خاطِري

فجُدْ بالوصال فدتك النفو س فلست على الهجر بالقادرِ

وفيكَ تعلمت نظم الكلام فلقبني الناس بالشاعرِ[٣]

وعارضه أبو زيد الغازازي بلغة سهلة وبسيطة أيضا، فقال:

أأسلوا وقد غِبتَ عن ناظري ومثلكَ الشوق في خاطِري

أيا غائباً حاضراً في الحشا ويا واصلاً في حلى هاجرِ

دعاء فتىً صدعتْه النّوى فأصبحَ كالمثلِ السائرِ

أكابِدُ ليل النّوى مفرَداً ومالي- وحقّكَ- من ناصرِ

---

[١] هو أبو بكر محمد بن ولاد من أهل شلطش بغرب الأندلس. ترجمته في الوافي للصفدي: ١٧٦/٥، والمقتضب: ٢٥.

[٢] ابن الأبار، تحفة القادم: ٣٨.

[٣] الرعيني، برنامج الرعيني: ١٣٧.

وأذكـرَ غابـرَ أيـامـنـَـا فأبـكي على الزَّمن الغابرِ

فلا تنـكُرنَّ ادعاءَ الهـوى فحسبكَ من باطني ظاهري[١]

وكان لكثرة شعراء عصر الموحدين والعلاقات الإخوانية بينهم، أثر واضح في اتسام معارضاتهم باستخدام لغة الحوار، وتعددت الأساليب التي طرقوا في هذا المجال ومنها استخدام حرف النداء (يا) كما في قول أبي المجد مخاطبا ابن سعيد:

يـا ابن سَعيد إليكَ شوقي شوقك للغُصنِ والكثيبِ

نقضتَ بعد البعاد عَهدي فارجع إلى الله من قَريبِ[٢]

فأجابه ابن سعيد بقوله :

يـا ابن الكمال اطَّرح عِتاباً في الشوقِ للغصنِ والكثبِ

تبنا كـلانا وسوف ننسى لكنني عدتُ من قريبِ[٣]

وقد اتجهوا إلى لغة الحوار باستخدام أسلوب الاستفهام، ومن ذلك قول ابن مرج الكحل مخاطبا صفوان بن إدريس:

أعادتْكَ من ذكر الأحبةِ أشجانُ فقلبك خَفَّاقٌ ودمعُـكَ هتانُ

تحنّ على شحط المزار إليهمُ ومنْ دون لقياهُمْ قفارٌ وبلدانُ[٤]

فجاوبه صفوان بن إدريس بالأسلوب نفسه ، إذ قال:

سَلْ البانَ عنهم كيفَ بعدهمُ البانُ أشاقوه إذ ساروا وراعواهُ إذ بَانوا؟

ألم يتعاط دوحِه بـان قضـبه فتلكَ القدود الهيفُ في الدين إخوانُ

فما بالهَا لم تذرْ شـوقاً إلـيهمُ ولم تنقدِحْ فيها من الوجدِ نـيرانُ

ومنها:

أهذا الذي تُهدي الرِّياحُ سلامُهمْ فإني أرىٰ للريح عُرْفاً له شـانُ

---

[١] الرعيني، برنامج الرعيني : ١٣٨.

[٢] ابن سعيد، القدح المعلى: ٦.

[٣] المصدر السابق : ٦.

[٤] ابن خميس ، أدباء مالقة :٢١٠.

ومنها:

ألستَ الذي ارتاحُ العراق لذكرهِ كما ارتجّتْ إذ آتت جيادي صنعان[١]

وكان لابن مرج الكحل السبق في استخدام هذا الأسلوب وطرح الفكـــرة والمعـــاني وتبعه بذلك بن إدريس فجعل معارضته تزخر بالحوار والألفاظ والخطاب، وأكثر من استخدام أسلوب الاستفهام ونجده يتفوق بذلك على ابن مرج الكحل.

كما يعقد الشاعر حوارا داخليا بينه وبين نفسه، كما في قول ابن مرج الكحل يتعجب من هجاء ابن حريز له:

أيا عجباً ما للشريف يَذُمّنـــي ويُبغِضُني حتى كأني مسجدُ

ولا عيب عندي غيرَ أني مسلمٌ وأن اسمي الهاشميُّ محمـــدُ

وقد تأثر بذلك بقول الأعمى المخزومي:

مـــــا لزنديقٍ بني فاعـــلٍ يذمُ مني كلَّ ما يحـــمـــدُ

يلحظني شزراً إذا مرّ بـــــي كأنني في عينهِ مسجـــــدُ[٢]

ولو وازنا بينهما لوجدنا اتفاقا في أسلوب الحوار الذي تبعه كل منهما، وقد أخذه ابـن مرج الكحل من المخزومي وأخذ منه بعض الألفاظ أيضا فاســـتعار منـــه المعنـــى والأسلوب وبعض الألفاظ ، ولم يأت بشئ جديد ولم يبدع في ذلك.

كما عمدوا إلى التكرار في الكلمات، فيكرر الشاعر الكلمـــة الواحـــدة بـــالبيت أو المقطوعة أكثر من مرة، ونجد الشاعر المعارض يتبعه في هذا التكرار، كما في قول أبي الحجاج بن الشيخ المالقي وقد بعث به إلى الخطيب أبي محمد بن عبد الوهاب في مقطوعة يلتزم فيها بتكرار القوافي، فقال:

---

[١] ابن خميس ، أدباء مالقة : ٢١٠- ٢١٢.

[٢] صفوان بن إدريس، زاد المسافر: ١٢٥

أيا مَنْ له بالمعالي كَلَفْ ... ومن وجههُ البدرُ لا بالكَلَفْ[١]

أجزْ ذا الكلام وسقْ كلَّ لفظٍ ... بكافٍ وبعدُ أحتملْ ذي الكَلَفْ[٢]

كلامٌ فصيحٌ وخطبٌ فسيحٌ ... بنقسٍ كقارٍ وطرسٍ كلفْ

وإياكَ تكرارَ ما سْقْتُهُ ... فتلفى كحطّابةِ الشوكِ لَفْ

ولكن كلاماً كذا كُلُّهُ ... بكافٍ وكنْ بالكمالِ كَلِفْ[٣]

فنجده يكرر القوافي في كلمة (الكلف) وحرف الكاف في البيت الأخير ثماني مرات بينما يكرره في الأبيات الأخرى ما بين مرتين إلى ثلاثة، وقد عارضه أبو محمد بن عبد الوهاب بمقطوعة جعل كل كلمة منها بحرف الكاف، فقال:

كرمتَ فكنتَ كغيثٍ وكفْ ... وكاملتَ كعبًا فكعٌّ وكَفْ

فشكراً كثيراً لملكٍ كبيرٍ ... كفاكَ اكتسابَ كنوزِ الوكفْ

وكم كاشحٍ كاتمٍ كيدَهُ ... نكاتَ بكلم كلامٍ وكفْ

وكللت بالسّبك كانونَ ذكرٍ ... وتلك بالمسك أذكى وكفْ[٤]

فقد تبعه في تكرار القوافي، في كلمة (الوكف) وتكرار حرف الكاف ونجده يتفوق على ابن الشيخ في ذلك، إذ جعل حرف الكاف في كل كلمة.

وقد عني شعراء عصر الموحدين بضروب البديع بوصفها أحد مقاييس الذوق والجمال آنذاك، واستأثر الجناس باهتمامهم فأكثروا منه، حتى أنهم التزموا الجناس في قوافي المقطوعة الواحدة، كما في قول أبي عمر بن سالم متغزلا:

يا من جعلتُ هواهُ ... ووجهه لي قِبْلَهْ

قد أقبل العيد فاسمَحْ ... لذي الغرامِ بقُبْلَهْ

إنّ مات وجداً وشوقاً ... قد ماتَ غيلانُ قَبْلَهْ[٥]

---

[١] الكلف: نمش يعلو الوجه كالسمسم.

[٢] الكلف: نوع من رقيق النسيج والشرط تضاف الى الثوب حلية وزينة. والكلف: الرجل العاشق المولع.

[٣] المراكشي، الذيل والتكملة: س٥ق١/٩٠.

[٤] وكع الأمر سقط واتكع الشيء سقط.

[٥] الرعيني، برنامج الرعيني: ١٠٧.

وقد عارضه أبو علي بن كسرى بمقطوعة التزم فيها بجناس القوافي بالكلمات نفسها، إذ قال:

وما رأتْ عينايَ فيما مضىَ ولا رأتْ عين امرئ قَبْلَهْ
كشارب أشرب قلبي الردى وبرؤه – لو بذلت – قُبْلَهْ
إن لم تنلنيها ولو خِلْسَةً مالي في دين الهوى قِبْلَهْ[1]

فكان ابن كسرى مقلدا لابن سالم تقليدا تاما، إذ التزم أسلوبه في الجناس وانتقى الألفاظ نفسها، فنجدهما يتفقان في المجانسة بين الكلمات (قبله– قبله– قبله) جناسا تاما.

ومنهم من يتفق مع الشاعر المعارض في تجنيس القوافي جناسا ناقصا كما في قول الشاعر أبي الحجاج بن الشيخ كتب به إلى أبي محمد بن عبد الوهاب:

إملأ الطِرْسَ سحر نظمٍ ونثرٍ ملأ الله طِرْسكمْ حسناتِ
إن بعثتُمْ لنا بما لاحَ منه فبما عنَّ لي ولاحَ سِناتِ[2]

فكتب إليه أبو محمد:

قد بعثنا إليك نظمًا ونثراً جلَّ هذا وذا عن السقطاتِ
ولكم جاهِلٍ له صوت عير وتراه يعيب جرس قُطاتِ[3]

فنجده متأثرا ومقلدا لابن الشيخ إذ جانس بين القوافي في كلمتي (السقطات و قطات) جناسا ناقصا كما هو الحال عند ابن الشيخ إذ جانس بين (حسنات وسنات) جناسا ناقصا أيضا.

كما كانوا يعمدون إلى الطباق والمقابلة بين الكلمات في البيت الشعري، كما في قوله ابن مسلمة في معارضة بينه وبين والد ابن سعيد، إذ قال مقابلا بين الإقامة والسفر:

ولم تَرَ إلا خطابَ العُلا بطوعِ الإقامة أو بالسفر[4]

---

(١) الرعيني، برنامج الرعيني: ١٠٧

(٢) المراكشي، الذيل والتكملة: س٥ق١/٩٣ .

(٣) المصدر السابق : ٩٤.

(٤) ابن خميس، أدباء مالقة: ٦٤.

وقد تبعه والد ابن سعيد مقابلا بين كلمتي (البدو والحضر) ، إذ قال:

وتركُ التكلف تأميلُنا متى كنتَ بالبدوِ أو بالحَضَرْ[1]

كما وجدنا بعض المعارضات التي تقرب لغتنا من العامية، إذ يميل بعض الشعراء إلى تخفيف الهمزة أو إسقاطها، ومن ذلك كلمة (السويدا) بدل (السويداء)، ومن ذلك قول ابن مرج الكحل، إذ طلب منه صفوان بن إدريس الإجازة، بقوله:

أنتَ مع العينِ والفؤادْ دنوتَ أو كنتَ ذا بُعادْ

فقال ابن إدريس:

فأنتَ في القلبِ في السوَيدَا وأنتَ في العينِ في السوادْ[2]

وعلى أية حال، فقد كانت السمة الغالبة على اللغة في المعارضات الأندلسية في عصر الموحدين، السهولة والوضوح والبساطة، وقد تقيد الشعراء من حيث اللغة بالموضوع والجو العام للقصيدة المعارضة فتخيروا ما يناسبها، وقد استخدموا العديد من ألفاظهم ومعانيهم من القصيدة المعارضة فكان ذلك ملزما لهم في أن يتناولوا لغتهم ويتبعوا أسلوبهم.

- الصـــــور :

تعد الصورة الفنية وسيلة من وسائل التعبير عن التجربة الشعورية لدى الشعراء، ويقاس نجاحها بمدى التأثير الذي تحدثه في نفسية المتلقي، وبمدى مقدرتها على نقل الأفكار والعواطف بدقة متناهية، ولا يمكن أن تكون الصورة بمعزل عن العاطفة والخيال، وإلا فقدت قدرتها على التأثير، ويجب أن تكون سهلة قريبة الإدراك بحيث يتمكن المتلقي من التفاعل مع الشاعر والإحساس بما يحس به.

وما دام الأمر كذلك، فما هو نصيب المعارضات الشعرية من الصور؟ وكيف استعملها الشعراء في معارضاتهم؟

---

[1] ابن خميس، أدباء مالقة: ٦٤

[2] ابن سعيد، القدح المعلى: ٥٤.

ولعل أول ما يلاحظ في هذا المجال أن الشعراء أخذوا يوجهون اهتمامهم ويستهلكون قرائحهم في طلب الصورة الجديدة المبتكرة، إذا عدنا إلى نصوص المعارضات نجد العديد فيها، ومنها هذه المطارحة الشعرية بين أبي العباس الغساني[١] وابن يامن وأبي عبد الله بن أبي الحسن،[٢] في وصف زهرة الجلنار[٣] وهي محاطة بالماء من كل جانب، وقد اشترك هؤلاء الشعراء في رسم صورة جديدة ومبتكرة لهذه الزهرة فقد صورها ابن يامن ناراً متوقدة وملتهبة في وسط الماء الصافي لشدة احمرارها لكن أبا عبد الله بن الحسن أعطاها صورة أكثر ابتكارا فجعلها الشفق الأحمر المتلألئ في السماء الصافية وقت الغروب.

فقال أبو العباس:

ألا فانظُر لزهر الجُلّنار

فقال ابن يامن:

بمتن الماء منه جُلّ نار

فقال أبو عبد الله بن الحسين:

كأن الماءَ قد أمسى سماءً تُصاغ له من الشّفق الدّراري[٤]

ومن هذه الصورة الجديدة المبتكرة التي تميل إلى الغرابة والطرافة، قول أحد الشعراء وقد صور دخول ضوء القمر من خلال الشراجب لما رآه من الحسن والجمال الباهر، قد تقسم من فرط الحياء فأصبح نجوما متناثراً في السماء ؛ إذ قال:

تجلّى فلمّا أبصر الحُسنَ باهراً تقسّمَ من فَرطِ الحياء نُجومَا[٥]

---

[١] هو الفقيه أبو العباس أحمد بن إبراهيم الغساني كان عالما بالبلاغة وسائر فنونها ، كان حيا عام ٦٥٩هـ. ترجمته في رايات المبرزين لابن سعيد: ١٤٤ . وأزهار الرياض للمقري : ٣/ ٢٠٥.

[٢] هو الشيخ الفقيه أبوعبدالله بين أبي الحسين أحد رؤساء افريقيا، ترجمته في القدح المعلى لابن سعيد:٢٥٣.

[٣] الجلنار: زهر الرمان.

[٤] ابن سعيد، القدح المعلى: ٥٣.

[٥] المراكشي، الذيل والتكملة، س١ق٢/٥٢٤.

وقد أعجب الشاعر ابن يامن بهذه الصورة فعارضه بأبيات يصف بها مجلس أنس ليلي، فبدت كؤوسه وهي تقدح وتحث كأنها رجوم ترجم بها شياطين النجوم، وبدا ندماؤه وكأنهم أزهار روضة وقد أخذ هذه الصورة من البيت السابق فقال:

فأهدى لأجفانِ الشراجب نورَهُ وقصَّر عَنْهُ هيبةً ووجومـــا[١]

وانظر إلى أبي بكر بن مجبر وهو يتغزل بالأديب عبد المحسن بن علـــي، فـــهو يغري من ينظر إليه، فيبدو خده بما تعلوه من حمرة وما يتمتع به من حسن وجمال وكأنه مطرز بزهر الجلنار، وهو بنعومته وطراوته كأنه زهرة السوسن الغضة الطرية، فيقـول:

ظبيٌ غريرٌ الحُسْنِ طَرَّزَ خَدَّهُ بالجُلَنَارِ وغضَّ نَوْرِ السَّوْسَنِ[٢]

فيعارضه أبو محمد الباهلي[٣]، متغزلا بالأديب عبد المحسن بـــن علـــي أيضـــا، ويصور حسن خده بصورة جديدة مبتكرة تميل إلى الغرابة، استمدها من صـــورة ابـــن مجبر، فها هي أزهار خده تفوق بجمالها جميع الأزهار فتتمزق أجزاء زهـــرة السوســـن الغضة الطرية خجلا منها، فيقول:

وتشَوَّفَتْ أزهار سوسن خدّه فتمزقت أجزاءُ رطب السَّوسَنِ[٤]

ويرسم ابن مجبر لوحة فنية جميلة، فيصور فيها شدة لوعته واشتياقه لمحبوبه الذي يصده ويبعد عنه، فيراه من بعيد دون أن يتمكن من وصاله، وهو بذلك كالشكل الذي تراه في المرآة، قريب منك ولكنه صعب المنال، فيقول بذلك:

فبتُّ أظلما إلى مَنْ لا يحلوْني والوردُ صافٍ ولا شئ يكدِّرُهُ

تراهُ عيني وكفّي لا تباشِرُه حتى كأَني في المرآةِ أُبصِرُهُ[٥]

---

[١] المراكشي، الذيل والتكملة، س١ق٢/٥٢٤.

[٢] ابن خميس أدباء مالقة: ٩٢.

[٣] هو أبو محمد عبد الله بن محمد الباهلي من أدباء مالقة وشعرائها، وهو من تلاميذ أبي عمر بن سالم من شعراء القرن السادس. ترجمته، والمغرب لابن سعيد : ١/ ٤٤٣ والذيل والتكملة للمراكشي: ٤/٤، وفي مختارات من الشعر الأندلسي والمغربي : ٨٠ .

[٤] ابن خميس، أدباء مالقة: ٩٣.

[٥] صفوان بن إدريس، زاد المسافر: ٩٦.

وقد أعجب سهل بن مالك بهذه الصورة الجديدة المبتكرة، فأخذها منه ووظفها بألفاظها ومعانيها والتراكيب التي استعملها في أبيات عارضه بها يحن فيها إلى بلدته ، فهو يعاينها من بعيد ولا يتمكن من الوصول إليها، وهي بذلك كالشكل في المرآة قريبة مسافته وعز منالـه، فيقول في ذلك:

عاينتُ من بلد الجزيرة مكنساً ... والبحرُ يمنعُ أن يصادُ غزالَهَ

كالشكلِ في المرآةِ تبصرُهُ وقدْ ... قَرُبتَ مسافتهُ وعـزَّ منالَهُ[1]

وقد يتقيد شعراء المعارضات تقيدا واضحا بالأسلوب الذي يختارونه في إنشاء صورهم الشعرية بأسلوب الشاعر المعارض فإذا جاءته الصورة باستخدام إحدى أدوات التشبيه أو الاستعارات والكنايات، جاءت صورة الشاعر المعارض على ذلك ، وإذا عمد الشاعر إلى التشبيهات المتلاحقة المتتابعة وإلى الصورة الجزئية التي تشكل بمجموعها لوحة متكاملة لا تخلو من الحركة والحياة، تبعه الشاعر المعارض بذلك، ومن ذلك معارضة ابن مرج الكحل للرصافي في وصف بستان عمران بن رزق، فقد استخدم الرصافي التشبيهات المتلاحقة المتتابعة والصور الجزئية فشكل منها لوحة فنية متكاملة تزخر بروح الحركة والحياة فهو بستان لا مثيل له فزهره يرف وجداوله مندفعة وكان الله جمع مظاهر الجمال كلها ووضعها فيه، فيقول:

ما مثلُ موضعُكَ ابن رزقٍ موضعُ ... زهرٌ يرفُ وجدولٌ يتدفـعُ

وكأنما هو من بنانِـك صفحـةٌ ... فالحسنُ ينبتُ في ثراه وينبـعُ

وعشيةٌ لبست رداء شحوبِـهـا ... والجوُّ بالغيمِ الرقيقِ مـقنَّـعُ[2]

وعارضه ابن مرج الكحل مقتبسا أسلوبه في التصوير، فقال:

طفل المساء وللنسـيم تضوُّعٌ ... والأنسُ ينظم شملَنا ويجـمَّـعُ

والزهرُ يضحَكُ عن بكاءِ غمامةٍ ... ريعتْ لشيم سيوفَ برق تلْـمَعُ

والنهرُ من طربٍ يصفقُ موجهُ ... والغصنُ يرقصُ والحمامةُ تُسجع[3]

---

[1] صفوان بن إدريس، زاد السافر : ٢٤.

[2] الرصافي، الديوان: ١٠٥ -١٠٦.

[3] ابن خميس، أدباء مالقة: ٢٠١.

وبرز عنصر التشخيص في شعر المعارضات بشكل كبير، فوجدت لهم لوحات كثيرة في استنطاق الأشياء وتشخيصها وإضفاء روح الحركة والحياة عليها، فمن ذلك معارضة بين ابن ثعلبة[1] وصفوان بن إدريس، نجد فيها للياسمين مباسم تضحك ولألأس مسامع تصغي، إذ قال ابن ثعلبة:

خليلي أبا بحرٍ وما قرقفَ اللّمى ... بأعذبَ من قولي خليلي أبا بحرِ

أجز غير مأمور قسيما نظمتَه ... تأمّل على مجرى المياه حلى الزهرِ

فقال أبو بحر:

تأمّلْ على مجرى المياه حلى الزهرِ ... كعهدكَ بالخضراءِ والأنجم الزُّهرِ

وقد ضَحِكَتْ للياسمين مباسمٌ ... سرورا بآداب الوزير أبي بكرِ

وأصغتْ من الأس النظير مسامعٌ ... لتسمعَ ما تتلوه من سورِ الشعرِ[2]

ويشخص ابن سيد النهر ويخلع عليه صفة الإنسان إذ جعله يرتدي الكرى كما يرتدي الإنسان الثياب ، فقال في وصفه:

اخلَعْ على النهرِ ثوبَ الـ ... ـكرى فذلك واجبٌ

ويجعله أبو جعفر بن سعيد إنسانا يصفق والكواكب شخصا ينقطه، فيقول معارضا:

وانظُرْ إلى السرج فيهِ ... كالزّهر ذاتَ الذوائبْ

وحين صفّق للأفـ ... ـقِ نَقْطَتَهُ الكواكِبْ[3]

ويشخص ابن غالب الرصافي بلدته بلنسية فيشبهها بالعروس المتحلية بأبهى حلله، والتي أبدع الله حسنها، فقال:

كأنّ عروساً أبدعَ الله حُسنها ... فصّير من شرح الشبابِ لها عُمرا[4]

---

[1] هو أبو بكر محمد بن ثعلبة الكاتب من أهل غرناطة، ترجمته في المقتضب : ١١١.

[2] المقري، النفح: ٣/ ٢٧٠- ٢٧١.

[3] المصدر السابق : ٤/ ١٩٩.

[4] الرصافي ، الديوان: ٧٠- ٧١.

فيعارضه بن إدريس في وصف مرسية ويخلع عليها صفة الكاعب الحسناء التي تمم الله حسنها، فقال:

هي الكاعبُ الحسناءُ تمم حسنها وقدَّتْ لها صفةَ أوراقِها حُللاً خَضْرَا

إذا خطبتْ أعطت دراهمَ زهرها وما عادة الحسناء أن تنقدَ المهرَا[1]

كما عني شعراء المعارضات بالصور اللونية؛ إذ عمدوا إلى الألوان الزاهية في شعرهم، ومن ذلك قول ابن الأبار في وصف النخل فقال وهو يصف لون تمرها وثمارها بلون الذهب:

وتبرّيةِ الأكمام شهديّة الحنّى حلتْ وتحلّتْ زاكياتِ الخلائقِ

ويقول في وصفه أيضا:

كأنّ بأعلاها إذا احمرّ بُسْرُها مشاعِلَ تهدى في الدُّجى كلّ طارقِ

كأنّ بها الماذيّ يجمد تارةً ويقطر من راقي المكانة رائقِ[2]

كما في قول أبي علي عمر في وصفه للتمر:

عثاكلُها مثل الشذور تذلّلتْ بسالفةِ الغيداءِ أو كالقراطِقِ

فللنّظرِ منْها حسن لونٍ لناظرٍ وللزهوِ منها طيبٌ طعمٍ لذائقِ

ومنها:

لها جسمٌ أواهٍ شحوباً ومن نوى فؤاد حكى من قسوةٍ قلب فاسقِ[3]

ومن ذلك أيضا قول ابن مرج الكحل في وصف النهر :

والنهرُ بين مُذَهِب ومفضضٍ والزهرِ بين مدرهمٍ ومدنرِ

فقد عارض بذلك قول الثعالبي :

والأرضُ قد برزت لنا في أخضرٍ في أصفرٍ في أبيضٍ في أحمرِ

---

[1] صفوان بن إدريس، زاد المسافر: ٢٧- ٢٢٨.

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء: ٢/٢٨٢.

[3] المصدر السابق : ٢٨٢.

كما عني الشعراء بالصورة الشمية أيضاً ، فتحدثوا عن شذى الزهور كما في قول ابن شاكر الحضرمي في زهرة :

ظفرتَ بلثمٍ من بنانٍ معذّبي بحيثُ ذكيَ النشرِ منتخب العطرِ

فعارضه ابو عمر بقوله :

سرتْ لكَ من أنفاسِهِ طيبُ نكهةٍ فجرّرِ بها أذيال فخرٍ على الزهر

وقد مزجها الشعراء بالصورة الذوقية أيضاً كما في قول أبي علي عمر في وصف مذاق التمرة ؛ إذا قال :

وما ضرّها إذ قد أبيحت لطاعمٍ حلاوتُها ألا تفوحَ لناشِقِ

فيعارضه ابن الأبار بقوله ، إذ يصف حلاوتها بالعسل وهو بذلك كريق المحبة ، فيقول:

كأن بها الماذيُّ يجمد تارةً ويقطر من راقي المكانة رائقُ

كأنّ الذي تهديه من تمرها اغتدى بريقة مرموق ورقة وامقُ

وإذا كانت الطبيعة تحتل جزءا كبيرا من الصور في شعر المعارضات، فالمرأة وما يتصل بها من صفات حسية أسعفت شاعر المعارضات باستجلاب العديد من صوره، ومن ذلك نجد أن أبا محمد بن حامد يستقي من المرأة الناعمة التي تختال بثوب سندس، صورة لوردة حمراء ناعمة مغلقة:

ومحمرةٍ تختالُ في ثوبِ سُنْدُسٍ كوجنةِ محبوبٍ أطلَّ عِذارُهُ[1]

فعارضه صفوان بن إدريس في وصفها، مستقيا من كف المرأة المخضب صورة لها، فقال:

كتطريفِ كفٍ قد أحاطتْ بنانَهُ بقلبِ محبٍ ليس يخبو أوارُهُ[2]

وقد تتوارد إلى ذهن الشاعر صورة بعينها لشاعر اطلع على شعره فيضمنها

---

[1] صفوان بن إدريس، زاد المسافر : ٨٢.

[2] المصدر السابق : ٨٢.

شعره كتصوير خفقات الرايات بخفقات قلوب الأعداء لإظهار مدى خوفهم، في قول ابن الزقاق:[١]

رايَاتُهُ وَالنَّصرُ معقودٍ بِها كقلوبِ أَهلِ الشِّرْكِ فِي الخَفَقَانِ[٢]

فقد أخذها ابن الأبار وضمنها شعره، وقد تفوق عليه إذ زاد عليها خفقات أجنحة الطيور، فقال: ورايَاتٍ كأفئدةِ الأَعادي إذا خفقَتْ وأجنحة الطيورِ[٣]

ومن الصور التي خطيت باهتمام شعراء المعارضات واجتهدوا في طلبها في معارضات المديح بخاصة صورة الممدوح القائد الشجاع، وما يحققه من انتصارات، ومن ذلك قول ابن المنخل في مدح الخليفة عبد المؤمن مادحا له ولجنوده مبينا بسالته وشجاعته:

ومن تَخِذ الأساد عدة حربه أعد مجاجات الكلوم له سرَبَا

يلوذون في الهيجا بأروع ماجد إذا دارت الهيجاء كان لها قُطْبَا

وإن عصفتْ ريح الوغى أحد قوابه فكانوا له جسماً وكان لهم قَلْبَا

مليك كأن الأرض قبضة كفه فلا بعد فيما ينتحيه ولا قُرْبَا[٤]

وقد استمد صورته هذه من قول المتنبي في مدح سيف الدولة:

ومن تكن الأسد الضواري جدوده يكن ليلة صبحاً ومطعمهُ غَصْبَا

فربَّ غلامٍ علَّم المجدُ نفسه كتعليمِ سيفَ الدولةِ الطعن والضَّرْبَا

تهاب سيوف الهند وهي حدائد فكيف إذا كانت نزارية عُرْبَا

---

[١] هو أبو الحسن بن علي بن عطية بن الزقاق، من أهل بلنسية ومن أكثر شعراء الأندلس إجادة ، توفي عام ٥٣٠هـ. ترجمته في مختارات من الشعر الأندلس والمغربي: ٥١.

[٢] ابن الزقاق، الديوان: ٢٣٦.

[٣] ابن الأبار، الديوان: ٩٥.

[٤] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ١٥١/٢

ويبدو لنا مما تقدم أن ميدان الصورة في شعر المعارضات الأندلسية، هو فن الوصف وخاصة وصف الطبيعة، فقد استقى منها الشعراء معظم لوحاتهم الفنية التي لا تخلو من حركة أو لون أو تشخيص حتى ليخيل للقارئ أنه أمام منظر طبيعي حي.

وقد تميزت الصورة في شعر المعارضات بأن يستمدها الشاعر ويستقيها من قصيدة الشاعر المعارض فيتبعه بذلك ويرسمها بريشته مع احتفاظه بمضمونها، وقد استقى الشعراء كثيرا من الصورة من البيئة الأندلسية بدافع التفاعل والتأثير الذي تولد بينهما، وهذا أكسب الصورة في شعر المعارضات سمة السهولة والابتعاد عن التعقيد.

أثر البيئة الأندلسية :

عاش الأندلسيون في بيئة حضارية مترفة، فأثرت في نفوسهم وانعكس ذلك على أدبهم – شعرا ونثرا ؛ إذ فتن الأندلسيون بما حوته بيئتهم من مظاهر طبيعية وثقافية وسياسية وغيرها، إلا أن شغفهم بالطبيعة كان أشد وأقوى فقد كان للطبيعة أثرها الواضح في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، فغنى لها الشعراء وتغنوا بعها ووقفوا أمام مجاليها فوصفوا سماءها و ماءها، وخضرتها وجفافها، وحر صيفها وزمهرير شتائها، وإلى غير ذلك مما نبضت به قلوبهم وحرك مشاعرهم فصاغوا شعرا جميلا يصور دخائل نفوسهم ويرسم مظاهرها.

وتتوالى العصور فينمو إحساس الشاعر بما حوله وتتسع مداركه وترق مشاعره، فإذا بشعراء الأندلس في عصر الموحدين تسيطر عليهم الطبيعة وتسم شعرهم بسمات تظهر واضحة جلية في شعر معارضات هذا العصر، فهي المنبع الذي يستقي منه الشعراء مادتهم وصورهم، وقد صرح بذلك صفوان بن إدريس في قوله:

هنالك بين الغصن والقطر والصبا ... وزهر الربى ولدت آدابي الغرا

إذا نظم الغصن الحيا قال خاطري ... تعلم نظام النثر من ههنا شعرا

وإن نثرت ريح الصبا زهر الربى ... تعلمت حل الشعر أسبكه نثرا

فوائد أسحار هناك اقتبستها ولم أر روضا غيره يقرأ السحرا [١]

وبرز أثر الطبيعة جليا في شعر المعارضات الأندلسية وساعد على نماء هذا الفن وازدهاره، إذ كانت زهرة واحدة في روض من رياض الأندلس دافعا قويا لإنشاء معارضة بين شاعرين، ومن ذلك أن دخل أبو علي بن كسرى بستانا فوجد الكتندي يحمل إناء يسقي به زهرة بهار[٢]ظهرت في غير أوانها، فأعجبته وطلب من الكتندي أن يصفها، فقال فيها وفي الروض الذي وحدت فيه:

وحقكم إنه البهار يوجب أن تصبح العقار[٣]

غرة تشريق أي يوم إليه من حسنه يشار

بعد احتجاب وطول عهد أبدى فما خده البهار

في روضة سال كل شرب منها كما تنتضى الشفار

سقيت وسميه هموعا[٤] يا روضة حثها ابتكار[٥]

وفي موسم البهار كتب ابن كسرى إلى الكتندي يدعوه لزيارة الروض نفسه، والاستمتاع بمشاهدة زهر البهار وقد حل فيه، فقال في مقطوعة معارضا للكتندي مقتفيا أثره في وصف الطبيعة، فوصف البهار والروض ومزجه بمعنى المدح للكتندي، ويدعوه الى مجلس شرب في رحابه واصفا الخمر أيضا :

يا مولعا بالبهار زرنا فروضنا زاره البهار

وانشط إلى قهوة ارتنا شمس نهار ولا نهار

في روضة ان حللت فيها حل بها الأنس الوقار

باكر أبا بكر المفدى كأسا وزهرا له ابتكار

---

[١] صفوان بن إدريس، زاد المسافر: ٢٦.

[٢] هو نبت طيب الرائحة من نبات الربيع، وقيل أنه العرار، وهو نبت جعد له قفاعة صفراء يقال لها: العرارة.

[٣] العقار: الخمر. اللسان، مادة (عقر).

[٤] همعت السحابة: أمطرت، والهموع مبالغة في الهامع وهو السيال. اللسان، مادة (همع).

[٥] ابن خميس، أدباء مالقة: ٨٨.

كـــأن كـأسُـنـا الـمُـدارَ فـذا زجـاجٌ وذا عُـقَـارُ

يَبْسِـمُ ثغْـرُ الريـاضِ مِـنْـهُ عـن صـرّة حشوها نضار[١]

وعظمت أهمية البيئة وكثر تواردها بصورها ومعانيها في شعر المعارضات الأندلسية؛ وذلك لأن الشاعر الاندلسي فتن بطبيعته فضمنها شعره بألوانها وحركاتها وسمائها، بمياهها ورياضها وما تحويه، فاذا أعجب به شاعر آخر وأراد معارضته نجده يتقيد بما جاء به فيتجه الى الطبيعة وينهل من معينها. ولو عدنا إلى معارضة صفوان بن ادريس لأبي الوليد يونس القسطلي نجده يضمن قصيدته بعد وصفه للمنزل ومدحه لابن حسون بعض مظاهر جمال الطبيعة الأندلسية فيصف الدوحة الغناء والغدير بمياهه الصافية المتلألئة ويرسم له صورا جميلة، يقول:

وفوق الدوحةِ الغَنّا غـديرٌ تلألأَ صفحةً وصفا قرارا

إذا ما انْصبّ أزرقَ مستقيماً تدوّم في البحيرةِ واستدارا

يجرّدُهُ فَمُ الأنبوبِ صـلْتاً حساماً ثم يفتِلهُ سـوارا[٢]

وعندما عارضه صفوان بن إدريس ضمن معارضته جزءا من وصف الطبيعة الأندلسية كما هو الحال عند القسطلي وقد استمد ذلك منه، فقال:

لَبِسْتنَا للغديرِ به دُرُوعَا وجَرْدَنا جداولَهُ شِـفَارا

بيومٍ لو يكونُ أبو فراسٍ مشاهداً أنْسَهُ نَسي النّوارا[٣]

وليلٍ لو رمى الكسعيُ فيه رأى من قوسهِ سرا توارى

وروضٍ راق منظرُهُ وإلاّ فلمَ خلع الحمام به العِذارا[٤]

ومما يبين مدى تأثير البيئة الطبيعية في شعر المعارضات وتمكنها من نفوس الشعراء أن الشاعر يمزج مزجا حقيقيا بين الطبيعة والغرض الذي يطرقه، فلو أخذنا على

---

[١] ابن خميس، أدباء مالقة: ٨٩.

[٢] صفوان بن إدريس ، زاد المسافر: ٥٩- ٦٠.

[٣] هو أبو فراس الشاعر المشهور بالفرزدق، والنوار زوجته التي كان يحبها وطلقها فندم على ذلك ندما شديدا. صفوان بن إدريس: زاد المسافر : ٦١

[٤] صفوان بن ادريس، زاد المسافر: ٦٠-٦١

سبيل المثال بيتا واحدا ليكن بيت أبي زكريا يحيى بن عائد في وصفه لمجالس السماع وهو:

مجالسُ أصحابِ الحديثِ حدائقٌ تنزه فيها أعينٌ وقلوبُ

لوجدنا أنه يسلخ من الطبيعة معانيه وألفاظه ويوظفها لإبراز صورة مطابقة تعبر عما يجول في مخيلته، فيصف المجالس بما فيها من علم بالحدائق التي تجمع أصنافا شتى من الأزهار والثمار وما بها من جمال يسر العين ويستهوي الفؤاد.

وقد تأثر بذلك طلحة الإشبيلي في معارضته لهذا البيت، فأضاف إلى هذه الصورة صورا جديدة ومعان أخرى استجلبها من الطبيعة أيضا جاء مكملا لما جاء به ابن زكريا، وإذ بعلوم الشريعة التي تدرس في هذه المجالس ينبوع متدفق وسط هذه الدوحة الغناء يروي غصون العلم المتفرعة فيها؛ وإذ بها تقوى وتشتد فأصبحت يانعة رطبة وأثمرت أزهارها الفنون وإذ بنشرها العبقة تفوح بأرجاء هذه الحديقة، فقال:

مجالسَ أصحاب الحديث حدائق تنزّه فيها أعينٌ وقلوبُ

تفجر ينبوع الشريعة وسطها فأينع غصنُ العلم فهو رطيبُ

وأثمرتْ الأزهار زهرَ فنونِها ريح الصبا عن نشرهن تطيبُ

ويبدو لنا من هذه المعارضة أن تأثر الشعراء بالبيئة لم يقف عند البيئة الطبيعية فحسب وإنما تعداه إلى البيئة الثقافية، فكان الغرض الأصلي من المعارضة السابقة وصف مجالس السماع والعلم فتأثروا بثقافة العصر وانصهرت في معارضتهم ووجدت في بعضها بعض المعاني والأفكار التي تعبر عن مفاهيم العبادات التي حث عليها الدين الإسلامي، كالصلاة والحج والعمرة مثلا، ومن ذلك في معارضة بين والد ابن سعيد وابن مسلمة، في وصفها لمالقة، فقال ابن مسلمة في أحد أبياته:

فلم تَر رحلَتنا دونَ أنْ نُسَرَّ بِبِشرٍ وسقيا دُرر

فقال والد ابن سعيد:

ولم نقضِ من كعبةِ الجودما يُقضي الذي حجّها واعتمر[1]

---

[1] ابن خميس ، أدباء مالقة: ٦٤.

كما ضمن بعض الشعراء معارضاتهم معاني الحديث الشريف المروي عن الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – ومن ذلك قوله علية الصلاة والسلام:

((الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف))

فقد ضمنه الشاعر أحمد بن علي إبراهيم أبو الحسن (ت٦٠٨هـ) في قوله:

أرواحُنا هيَ أجنادٌ مجنّدةٌ بالبعدِ تُنكَر أو بالقربِ تُعْتَرَفُ

فما تناكرَ منها فهو مختلفٌ وما تعارَف منها فهو مؤتلفُ[١]

معارضا بذلك قصيدة لأبي نواس يقول فيها:

إن القلوبَ لأجنادٌ مجندةٌ لله في الأرضِ بالأهواءِ تعترِفُ

فما تناكرَ مِنْها فهو مخَتلِف وما تعارَف منها فهو مؤتلف[٢]

كما ورد في معارضاتهم ما يدل على تأثرهم بالتاريخ وما جرى به من حوادث، كما في قول الأصم المرواني مشبها أيام الفتح الذي حققه الخليفة عبد المؤمن بأيام معركة (بدر):

ويلبس الدين غضا ثوب عزته كأن أيام بدر عنه لم تغب[٣]

فتأثر بذلك بقول أبي تمام في مدح المعتصم:

فبين أيامِكَ اللاتي نصرت بها وبين أيام بدر أقرب النسبِ[٤]

كما استخدموا الألفاظ والمعاني الحربية وذلك تأثرا بالحالة السياسية وكثرة المعارك والحروب في ذلك الوقت، ومن ذلك قول ابن دمام المرسي:

تهزُّ هلالاً للمكارم هَزَّةً كهزِّ القنا يومَ الكريهةِ والظبا[٥]

معارضا بها أبا الغمر في قوله:

---

(١) المراكشيي، الذيل والتكملة: س٥ ق ١/١٥٥.

(٢) أبو نواس، الديوان: ٤٢٢.

(٣) المراكشيي ، المعجب: ٣٨٥.

(٤) أبو تمام، الديوان : ١/٤٠.

(٥) ابن الأبار ، تحفة القادم: ١٠٦.

صحا القلبُ عن سلمى وعُلّق زَيْنَبا وعاوَدَهُ أضعافَ ما قد تجنّبا[١]

ومنه أيضا قول الكتندي في مدح أحد أعيان مالقة:

والسيفَ يَفخَرُ أن تمسّ رياسَةٌ

فعارضه أبو الحسن بن فرحون القيسي:

ويردُ شفرَتَهُ الصقيلة سلّها[٢]

التأثر والتأثير :

لا بد أن الأندلسيين قد اطلعوا على نتاج سابقيهم من المشرق و المغـــرب، ومـــن الطبيعي أن يتأثر الشاعر ببعض ما اطلع عليه ودرسه بشكل مباشر أو غير مباشر، ومـــن الطبيعي كذلك أن يتفاوت الشعراء بمدى تأثرهم بالشعر الـــذي اطلعـــوا عليـــه واهتمـــوا بدراسته، فقد يكون قليلا ضحلا لا يكاد يذكر، وقد يكون في بعض الأحيان علـــى شـــكل ومضات تتداعى إلى ذهن الشاعر بقصد أو بدون قصد، وقد يتسع ويزيد في أحيان أخـــرى حتى يصل لدرجة التقليد المقصود، الذي ينبئ عن وعي الشاعر وإدراكه لما يقلد فيعمـــد إليه، وقد حظي المتنبي وأبو تمام بمكانة عالية عند شعراء المعارضات الأندلســـية، كمـــا تأثروا بغيرهم وأعجبوا بنتاجهم وقلدوهم أيضا.

وأول ما يلاحظ في هذا المجال تنوع مظاهر هذا التأثر، فقد يعجب الشاعر بقصيدة معينة بشكلها وجوها العام وموضوعها فضلا عن معانيها وألفاظها وقافيتـــها فيعارضـــها بقصيدة مشابهة لها تماما، ومن ذلك قصيدة أبي تمام في رثائه للمعتصم وتهنئـــة الواثـــق بالخلافة، والتي مطلعها:

ما للدُّموعِ تَرُومُ كلَّ مرامِ والجفْنُ ثاكِلُ هَجْعَةٍ ومَنامِ[٣]

فقد عارضها ابن الأبار في قصيدته التي مطلعها:

---

[١] ابن الأبار، تحفة القادم: ١٠٦.

[٢] ابن خميس، أدباء مالقة: ٣١٥.

[٣] أبو تمام، الديوان: ٤٠٢.

بيني ثلاثا سَلْوَةَ الأيـــام أودىٰ الحِمامُ بناصرِ الإسلامِ[١]

والدارس لهاتين القصيدتين يجد أن ابن الأبار تأثر بالجو العام لقصيدة أبي تمام، إذ كانت في رثاء المعتصم بالله وتهنئة الواثق بالخلافة فوجد فيها مثالا يحتذى في رثاء أبـــي زكريا الحفصي (ت٦٤٧هـ) وتهنئة المستنصر بالخلافة وقد أعجب بالمنهج العام للقصيدة إذ نظمها على قسمين كما هو الحال عند أبي تمام فجعل الأول منها فـــي رثـــاء الخليفـــة الراحل وإظهار شدة الحزن والبكاء على فقده وتعداد بعض مناقبه وفضائله، أما الثـــاني: فهو في مدح الخليفة الجديد وبيان مكانته والإشارة بجدارته بالخلافة. وقد صرح في نهاية معارضته بذلك إذ قال :

كُنْتَ المُطِيلُ مهنّئاً ومُعزياً لَكِنْ كفانِيَها أَبو تمامِ[٢]

وقد تأثر ببعض المعاني والألفاظ والصور والتراكيب التي وردت في قصيدة أبـــي تمام فاستعارها وضمنها لمعارضته، ولتأكيد هذا القول لا بد من إيراد بعض الأمثلة التـــي تبين اقتباسه بشكل جلي متعمد منه.

ففي بيان فاجعة الموت التي أودت بالخليفة حامي ديار الإسلام وناصره قال ابـــن الأبار:

بيني ثلاثاً سلْوة الأيّامِ أودىٰ الحِمامُ بناصرِ الإسلامِ[٣]

وقد استعار ذلك من قول أبي تمام:

هدمَتْ صُروفُ المَوْتِ أرفَعَ حائطٍ ضربتْ دعائِمُه على الإسلامِ[٤]

وفي بيان لوعة الرعية وحزنها على الخليفة، أجفانها تدرف دموعا لشدة حرقتـــها ولوعتها لفقده، وكأنها تنبع من القلوب وتذرف مداراة على صفحات الخدود ، فقال ابـــن الأبار:

وتقاضت الأجفان حمر دموعها فمن القلوب على الخدود دوام

---

[١] ابن الأبار ، الديوان: ٢٦٢.

[٢] المصدر السابق : ٢٦٥.

[٣] المصدر السابق : ٢٦٣.

[٤] أبو تمام، الديوان: ٤٠٣/٣.

فقد استعار ذلك من قول أبي تمام، إذ يبين غزارة الدموع وشدة الحزن والألم وكأن الجفن لكثرة بكائه ثاكل هاجع، فقال:

ما للدّموعِ تروم كلَّ مرامِ والجفْنُ ثاكلُ هجعةٍ ومنامِ !

وقد استعار العديد من الألفاظ والتراكيب ، مثل "دار المقام" في قوله:

ودعا دعامَتَهُ إلى تعويضِها تأسيسَهُ بالتُرْبِ دارَ مُقامِ

وذلك في قول أبو تمام:

مفتاحَ كُلِّ مدينةٍ قد أُبهِمَتْ غلقاً ومُخلّي كلِّ دارِ مُقامِ

ومن ذلك أيضا كلمة الصمصام، فقد استعملها وكررها في قوله:

سيفُ الهدىٰ أوديٰ به سَيفُ الرّدى قد يفتك الصّمصَامُ بالصمصَامِ

وقد قال أبي تمام فيه:

أو يفتقدْ ذو النُّونِ في الهَيْجا فَقَدْ دفع الإلهُ لنا عن الصَّمْصَامِ[1]

كما أن القصيدتين على وزن واحد فكلاهما على وزن بحر (الكامل) وقافية الميم المكسورة

وقد تأثر ابن الأبار بطول نفس المتنبي بقصيدته، إذ جاءت قصيدته في تسعة وخمسين بيتا في حين جاءت قصيدة أبي تمام في اثنين وخمسين بيتا، وبذلك يكون قد فاق أبا تمام في عدد الأبيات.

وقد كان لكثرة المعارك والحروب التي شهدتها الأندلس أكبر الأثر في اهتمام الشعراء بالمعارضات الجهادية وقد اتجهوا بذلك إلى المشرق يستقون من معينه، وخاصة شعر أبي تمام والمتنبي، وقد يكون الدافع وراء ذلك كثرة ما سجله هذان الشاعران من ملاحم وبطولات في قصائدهم الحربية، ولكن هذا لم يصل إلى درجة أن تنعدم شخصية الشاعر الأندلسي أمامهم يعني أن يتصنع الشاعر في عاطفته، بل على ضوء ما وجدنا من معارضات جهادية نجد فيها بروز العاطفة الصادقة وحرارتها والانفعال والتأثير بالمواقف

[1] ذو النون والصمصام، هما سيفان كانا لعمرو بن معدى كرب. ديوان أبي تمام : ٣/ ٢٠٥.

والتصوير الصادق لكثير من الأحداث. ولعل أول ما يلاحظ هنا هو تركيز الأندلسيين في حذوهم حذو المشارقة على شخصية القائد المسلم، والتركيز على وصف الخيول المحاربة وهجاء الأعداء والاستهزاء بهم، ومن ذلك قول ابن المنخل الشلبي في مدح الخليفة عبد المؤمن، إذ يقول:

فتحتمْ بِلادَ الشرقِ فاعتمدوا الغربا ... فإنّ نسيم النصرِ بالفتح قد هبّا

أصرْتمْ إليه الخيلُ وهي أجادلُ[1] ... فسالت بكم بحرا وطارت بكم ركبا

أتوكمْ يجرونَ الحديد سوابغا ... كأنهم البحر الغمالط قد عبّا

فلو لم تجزها السفنُ نحو عدوّها ... لجازت إليه البحر تقطعه وثبا

ومن تَخِذَ الأساد عدّة حَرْبِهِ ... أعدّ مجاجات الكلوم له سِرْبا

ولو عَلِمَ الناس الخفيات أمرَهُ ... لما درسوا صُحُفاً ولا صنّفوا كُتْبا

فما أعطت العَربَ القياد طواعةً ... ولا سمحت وداً ولا أذعنتْ حُبّا

ولكن رأتْ شهب الهدى مستنيرة ... فخافت رجوما من أسنتِهِ شُهبا[2]

وهو بذلك يعارض قصيدة المتنبي التي مطلعها:

فديناك من ربع وإن زدتنا كربا ... فإنك كنت الشرق للشمس والغربا[3]

وقد جاءت المعارضة مشابهة لقصيدة المتنبي في الوزن والقافية والمعنى واستعار منه طائفة من الألفاظ والمعاني والأساليب، وقد تبعه في الإشادة بالممدوح والإعلاء من شأنه ومكانته، فإذا نظرنا إلى الأبيات الثلاثة الأولى من معارضة ابن المنخل نجد أنه استعار القوافي من أبيات المتنبي التالية:

نزلنا عن الأكوارِ نمشي كرامةً ... لمن بان عَنْهُ أن نلم به رُكْبا

ويخشَى عباب البَحْرِ وهو مكانهُ ... فكيف بمن يغشى البلاد إذا عَبّا

ذكرت به وصلا كأن لم أفز به ... وعيشاً كأني كُنْتُ أقطعُه وثْبا

---

[1] جمع أجدل هو الصقر.

[2] ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة: ٢/١٥١.

[3] المتنبي الديوان: ١/ ٢٣.

أما بقية الأبيات فنجده يأخذ معانيها وصياغتها من أبيات المتنبي التالية:

ومن تكُنِ الأُسد الضَّواري جُدودَهُ ... يكن ليلَةً صُبْحا ومطْعَمُهُ غَصَبَا

عليمٌ بأسرارِ الدِّياناتِ واللُّغَى ... له خطراتٌ تفضحُ النَّاسَ والكُتبَا

لم تفترِقْ عنهُ الأسنةُ رحمةً ... ولم تترُكَ الشام الأعادي له حُبَّا

ولكن نفاها عَنْهُ غير كريمةٍ ... فريقُ رياح واجهتْ غصنا رَطْبَا

كما تأثر الشعراء الأندلسيون بالشعراء القدامى تأثرا جزئيا في هذا اللون من التأثر لا يعمد فيه الشاعر إلى قصيدة كاملة يحاكيه فيها فيضمن أحد أبيات معارضته معنى من معاني القصيدة المعارضة، ومن ذلك قول أبي حفص عمر السلمي إذ ارتفع بممدوحه يعقوب المنصور إلى آفاق سامقة حيث قال:

أطاعَتْك الذوابلَ والشِّفارَ ... ولبَّى أمرَك الفَلكَ المُدارُ[1]

فهو بذلك ينهل من معين قصيدة المتنبي في سيف الدولة، إذ يقول:

كأن القسيَّ العاصيات تطيعُهُ ... هوى أو بها في غير أنمُلِهِ زهد

يكاد يصيبُ الشئ من قَبْل رميه ... ويمكنه في سهمهِ المرسِلُ الرد[2]

وقد تتوارد الى ذهن الشاعر صورة بعينها أو معنى بعينه لشاعر اطلع على شعره، فيعارضه آخر بقصيدة يضمن معناها أحد أبياته، كتصوير عجز ثهلان عن تحمل ما يتحمله الممدوح، في قول أبي تمام:

حمّال ما لو حلّ أصغرهُ على ... ثهلانَ لانهدّتْ ذرى ثهلانِ[3]

فيقول ابن الأبار متأثرا بذلك:

لو أنّ ثهلانا تحمّل بعض ما ... حُمِّلتَهُ خرّتْ ذرى ثهلانِ[4]

---

(١) ابن سعيد، الغصون اليانعة: ٩٦.

(٢) المتنبي، الديوان: ١/ ٢٠٧.

(٣) أبو تمام، الديوان: ٧١١

(٤) ابن الأبار، الديوان: ٣٢٧

ومن مظاهر تأثر شاعر المعارضة بغيره، أن يضمن معارضته نصاً كاملاً، كأن يضمنها بيتاً كاملاً من القصيدة المعارضة، مما ينبيء عن وعي الشاعر وإدراكه لما يقلد وقصده إليه، وذلك كما في قول صفوان بن إدريس :

لقد علّمتَني كيف تصفو مودّتي "أعادّتكَ من ذِكر الأحبة أَشجان"؟

فنجده يقتبس نصاً كاملاً من قصيدة ابن مرج الكحل، إذ استعار الشطر الأول من مطلع قصيدته وهو :

أعادّتكَ من ذكرِ الأحبة أشجانُ فقلْبكَ خفّاقٌ ودمعُكَ هتّانُ

ومن ذلك نجد قصيدة ابن الأبار التي عارض بها المتنبي في قصيدته التي مطلعها:

ما للدّموع تروم كلَّ مَرامِ والجفنَ ثاكلُ هَجعةٍ ومنامِ[١]

تتضمن بيتا كاملا من قصيدة ابي تمام وهو:

تلك الرزيةُ لا رزيةَ مثلَها والقِسمُ ليسَ كسائرِ الأقسامِ[٢]

ومن مظاهر تأثرهم بالمشارقة أيضا، ان قد يتأثر الشاعر بتقسيم البيت أو موسيقاه، ومن ذلك قول ابن الأبار :

الحمدُ لله لا أهلٌ، ولا ولد ولا قرارٌ ولا صبرٌ ولا جلَدُ[٣]

فهو شبيه بقول المتنبي:

بم التعللُ، لا أهلٌ، ولا وطنٌ ولا نديمٌ، ولا كأسٌ، ولا سكَنُ[٤]

ولم يقتصر تأثر الأندلسيين على ما ذكرناه فحسب، بل تعداه إلى تأثرهم وتأثيرهم فيما بينهم؛ فقد احتذى الأندلسيون حذو سابقيهم من الأندلسيين وتأثروا بشعر من عاصرهم فضمنوا معارضاتهم بعض أساليبهم وألفاظهم ومعانيهم، مما ينبيء عن دراسة متعمقة

---

[١] ابن الأبار، الديوان:١٦٢.

[٢] أبو تمام، الديوان: ٤٠٣. والقسم بالكسر : النصيب والحظ.

[٣] ابن الأبار، الديوان: ١٧٨.

[٤] المتنبي، الديوان: ٤٦١/٤.

وتقليد واضح، فنجد ابن ادريس التجيبي مثلا يعجب بقصيدة لابن غالب الرصافي في وصف بلنسية[١] فيرى فيها مثالا يحتذى ويعارضها في قصيدة يصف بها بلدته مرسية[٢]، والناظر للقصيدتين يجد انهما متشابهتان في الجو العام فكلا الشاعرين يجعل قصيدته في قسمين رئيسين، أولهما : الشوق والحنين ووصف لوعة الهجر ومرارة الحرمان الذي يلاقيانه في بعدهما عن بلديهما، في حين نجد القسم الثاني : في وصف بلدتيهما وكل ما فيهما من مظاهر جمال فيصورانهما تصويرا دقيقا يوحي بعمق المعاناة التي يلاقيانها في بعدهما، وعلى الرغم من ان ابن ادريس كان متأثرا بشكل كبير بقصيدة الرصافي، إلا أني لم أجد في معارضته تقليدا مخلا يودي بشخصيته ويلاشيها ويذهب بعاطفته بعيدا عن الصدق، بل نجد فيها عاطفة حارة صادقة نابعة عن معاناة حقيقية.

وقد جاءت القصيدتان متشابهتين في الوزن والقافية والغرض أيضا، فكلاهما على وزن (الطويل) وكلاهما في الحنين والشوق والوصف وكلاهما يتحدثان عن بلدة كل منهما.

ولم يقف الأمر عند ابن إدريس على ذلك، بل نجده ينزع بعض الألفاظ والمعاني والتراكيب من قصيدة ابن غالب، ففي حين نجده يستوقف أصحابه ويسألهم أن يعوجا به عليها ويحدثانه عنها فالحديث عنها يطفي نار الشوق المتأججة في أحشائه، إذ يقول:

خليليَّ عوجا بي عليها فإنَّه ... حديثٌ كبردِ الماءِ في الكبدِ الحرَّى

نجد ابن ادريس يستعير منه هذا المعنى وهذه الألفاظ ؛ إذ يكررها في قوله:

خليليَّ قومَا فاحبِسا طُرُقَ الصِّبَا ... مخافةَ أَنْ يحمى بزفرتي الحرَّا

ويستذكر ابن غالب بلاده ويصفها بأنها الوكر الذي آوته وهو فريخ صغير ويستذكر أيام لين العيش التي قضاها بها، إذ يقول:

بلادي التي رِيشَتْ قويدمتي بها ... فُريخاً وآوتني قرارتُها وكْرَا

مباديء لينَ العيشِ في رِيقِ الصِّبا ... أَبى الله أن أنسى لها أبداً ذِكْرَا

---

[١] التي مطلعها: خليلي ما للبيد قد عبقت نشرا ... وما لرؤوس الركب قد رنحت سكرا

[٢] ومطلعها: لعل رسول البرق يغتنم الأجرا ... فيجري عني ماء عبرته نثرا

فيأخذه منه ابن إدريس في قوله:

محليَّ بل جـويَّ الذي عَبقتْ بـه نـواسمَ آدابـي معـطـرةً نشـرَا

ووكري الذي منـه درجْتُ فليتني فُجِعْتُ بريشِ العزمِ كي ألزم الوكرَا

ويرسم لنا ابن غالب صورة جميلة لبلنسية فهي كالعروس التي ابدع الله حسنها:

كأن عروساً أبدعَ الله حُسنَها فصير من شَرخ الشباب لها عُمرا

فقال صفوان بن إدريس في وصف مرسيه:

هي الكاعبَ الحسناء تُمم حُسنها وقدتْ لها أوراقها حُللاً خَضرا

وقصيدة ابن غالب طويله تبعه في ذلك ابن إدريس، إلا ان ابن إدريس قـد فاقـه بطول القصيدة وعدد أبياتها.

وقد ترد الى ذهن الشاعر صورة بعينها لشاعر اطلع عليه مـن نتـاج السـابقين فيعارضه ببيت ويضمنه معناها، كصورة الفراش الحائم حول النار والمحترق بها لبيـان شدة حبه وكلفه كما في قول ابن الأبار:

كأنَّ قلبي فراشٌ في تقحُّمِهِ ناراً لها بأكف الغيدِ إشعالُ[1]

وهو بذلك يعارض ابن سهل بقوله:

إن فؤادي فراشٌ شوقِكمُ صادف نار الغرامِ فاجترما[2]

وقد يعمد شاعر المعارضة إلى قول من يعارضه فيضمن معارضته نصـاً مـن شعره كأن يضمنها بيتاً كاملاً من القصيدة المعارضة، كما في قول أبي بحر بن إدريـس التجيبي:

تأمَّل على مجرىً المياهِ حَلى الزهر كعهدكِ بالخضراءِ والأنجُم الزُهر

وهو بذلك معارضا لابن ثعلبه بقوله من إجازة بينهما:

---

[1] ابن الأبار، الديوان: ١١٦

[2] ابن سهل، الديوان: ٢٥٣

أجز غيرَ مأمورٍ قسيماً نظمتُه تأمل على مجرى المياهِ حُلى الزهرِ

ومن مظاهر التأثر بين الشعراء، أن يعمد الشاعر المعارض الى ذكر الشاعر المعارض في معارضته كما فعل ابن الأبار في معارضته لأبي تمام، اذ قال:

كنتَ المطيلَ مهنئاً ومعزّيا

لكن كفانيها أبو تمام

وكقول صفوان بن ادريس في معارضته لأبي الربيع ابن سالم، إذ قال في خاتمة معارضته

أحيي برياها جناب ابن سالمٍ

فيقرع فيه الباب في زمن الورد

وقد تأثر الأندلسيون بتقسيم البيت او موسيقاه الداخلية ايضا: كما في قول الشاعر رضي بن رضا المالقي ،ت ٥٩٠هـ):

نسبتُ بها في الهوى معلنا بذكرى، فقالوا : نسيبٌ نسيبٌ

وأُعْربت في حبها طالبا رضاها، فقالوا : غريبٌ غريبٌ

أهاب التصابي فلبيته وهبت ، فقالوا : مهيبٌ مهيبٌ

وكم قد كذبت فلم انخدع لقيل ، فقالت : كذيبٌ كذيبٌ

أرابوا واني لذو إربة وأرب ،فقالت: أريبٌ أريبٌ

عسى وطن سمعت منشدا يقول ،فقالت: حبيبٌ حبيبٌ[1]

وقد كان متأثرا بذلك، بقطعة لأحد الشعراء شاعت في مالقة وهي:

أرادوا بعادي فادنيتهم فقالوا : عجيبٌ عجيبٌ

فأهملت ودمعي على وجنتي فقالوا : مريبٌ مريبٌ

فناديت في الحي يا غربتي فقالوا : غريبٌ غريبٌ

---

[1] ابن الأبار ، تحفة القادم: ١١٠

فقلت: متى الوصل يا سادتي؟ فقالوا : قريبٌ قريـــبٌ قريـــبٌ

فسلمت تسليم صب بهم فقالوا : حبيبٌ حبيبٌ حبـــيـــبٌ[١]

وتكثر هذه الظاهرة في المعارضات في المطارحات والإجـازات الشـعرية، كمـا فـي مطارحة لابن سعيد وابن سيد، إذ قال أبو جعفر:

نـثـر الـطـّل عـقـودَهْ ونَضَا الليـلُ بـــــرودَهْ

فقال ابن سيد:

وبـــدا الصـبح بـــوجهٍ مُطلِعٌ فـيـنا سـعـــــودَهْ[٢]

ولكن تقليدهم لم يصل بهم الى انعدام الشخصية ولا ينفي صدق العاطفة وحرارتها، وإنما كان تقليدا واعيا مقصودا يعمد اليه الشاعر فيضمنه في معارضته. فلم يفقد شـــاعر المعارضة الأندلسية ملامحه شخصيته لشعرية بل يصور لنا تصويرا صادقا أمينا لمعظـم ما يتصل بالبيئة والأحداث التي حاطت بها، فلكل منهم أسلوبه الخاص الذي يصدر فيـــه عن عاطفة وانفعال صادق؛ وإنما كان تقليدهم للمشارقة في الفترة الزمنية ينبع من عشقهم للتراث الشعري العربي الأصيل وإجلاله وتقديرهم وتمجيدهم للشعراء القدمـــاء الفحـول ومحاولة الرقي إلى ما يقاربهم والإتيان بشبيه له.

---

[١] ابن الأبار، تحفة القادم: ١١٠.

[٢] المقري، النفح: ٤/١٩٩-٢٠٠.

الخاتمة

وبعد أن انتهيت من إنجاز فصول الرسالة بعون الله تعالى ، أجمل أبرز النتـــائج التي أسفرت عنها فيما يلي :

- إن فن المعارضات الشعرية في الأدب العربي بعامة، فن ضارب في القدم يعـــود إلى جذور العصر الجاهلي، هو كذلك في الشعر الأندلسي ؛ إذ يعود في نشأته إلى العصور الأندلسية الأولى.
- تقسم المعارضات الشعرية إلى قسمين : معارضات تامة وهي تلك القصائد التـــي تتفق مع القصائد المعارضة اتفاقاً تاماً مـــن حيـــث: الـــوزن والقافيـــة والـــروي والغرض. أما الناقصة فهي التي تختل في بعض هذه الشروط، كأن تحتـــل فـــي الوزن والقافية مثلاً – ؛ لأنها تأتي عن قصد ملحوظ للمعارضة ومحاكاة الغير، إلا أن صاحبها يقصر عن الوصول إلى الغاية المطلوبة.
- تقسم المعارضات إلى فنون متعـــددة كالمفـــاخرات والإجـــازات والمطارحـــات والمعاظمات الشعرية، وهذه كلها صور من صور المعارضات بل ربمـــا تكـــون المعارضة الشكل المتطور لفني المفاخرات والمعاظمات بحكم أقدميتها.
- وتوضح لنا أن شعراء الأندلس فيما قبل القرن الخامس الهجري، لم يكترثوا كثيراً بفن المعارضات. ولم يولوه عنايتهم واهتمامهم، فلم يبرز في مجـــال المعارضـــة منهم سوى شعراء قليلين. في حين بدأت تتضح معالم هذا الفن بعد مطلع القـــرن الخامس وأخذت تزدهر في القسم الثاني منه (عصر المرابطين) وقوي واشتد عوده ووصل حد النضج والاكتمال في القرن السادس (عصر الموحدين) لما شهدته هذه الفترة من تطور فكري وحضاري. فضلاً عن دور الطبيعة الـــذي لا ينكـــر فـــي استحثاث قرائح الشعراء وحثهم على الإبداع. وعقد المجالس والمنـــاظرات التـــي ساهمت في إغناء فن المعارضات آنذاك .

- ان الإعجاب والسعي وراء التفوق والإبداع عاملان مرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً وكانا من أبرز العوامل التي ساعدت على تطور فن المعارضات الأندلسية وازدهاره .

- وقد اتضح من الدراسة أن شعراء الأندلس في عصر الموحدين تفننوا في شعر المعارضات فاتجهوا اتجاهات متعددة في بناء قصيدة المعارضات فوجدناها تقسم ضربين معارضات قائمة على الردية، معارضات قائمة على البداهة والارتجال في اثني عشر ضرباً ولم يلتزموا فيها اتجاهاً واحداً ، وهذا انما يدل على غزارة النتاج من شعر المعارضات ونضوجه واكتماله في هذه الفترة .

- كما تبين من الدراسة أن شعراء المشرق الذين نالوا اهتمام الأندلسيين فكانوا بمثابة أساتذة لهم، مثلوا فحول الشعراء كالمتنبي وأبي تمام وأبي فراس الحمداني وغيرهم.

- إن الموضوعات التي طرحها شعراء المعارضات في عصر الموحدين لم تخرج عن الموضوعات المألوفة في الشعر الأندلسي ، واشتملت على موضوعات الشعر كافة ؛ إلا أنها جاءت بدرجات مختلفة فنجد وصف الطبيعة يتصدرها في معارضات الأندلسيين فيما بينهم ثم الغزل فالاخوانيات ثم الأغراض الأخرى، في حين نجد أن الشعراء الأندلسيين في معارضاتهم للمشارقة يميلون إلى المديح وذلك لكثرة ما نظم فيه المشارقة وأبدعوا في نظمه، ثم الغزل والوصف فالأغراض الأخرى.

- وتبين لنا من الدراسة أن معارضات الأندلسيين للمعاصرين من أبناء جلدتهم تفوق معارضاتهم للقدماء بنسبة ٨٠% وذلك لكثرة شعراء هذا العصر وتعدد مظاهر النشاط الأدبي فيه.

- كانت المعارضات بشكل عام بين الأندلسيين والمشارقة وبين الأندلسيين أنفسهم يتصدر التام منها على الناقص، ويفوقه بنسبة كبيرة تقدر بنسبة ٨٥% من مجمل المعارضات التي أجريت عليها الدراسة .

ومن دراسة البحور التي اعتمدتها المعارضات الأندلسية، نجد أنها حققت تنوعاً كبيراً، إذ إن عدد البحور المستخدمة فيها خمسة عشر بحراً، وقد تصدرها بحر الطويل

ويليه الكامل والبسيط وكانت أقل البحور استخداماً المديد والمتقارب من البحور الطويلة وغيرها من البحور القصيرة التي لم يأت فيها سوى معارضة أو معارضتين .

وقد غلب على البحور التي استخدمت في معارضات المشارقة البحور الطويلة بينما تنوعت البحور في معارضات الأندلسيين فيما بينهم ما بين طويلة وقصيرة.

وتبين لنا من الدراسة أن قصائد المعارضات جاءت متنوعة في عدد أبياتها ما بين المطولات والقصائد والمقطوعات والاجازات والمطارحات وتتصدرها المقطوعات الشعرية البسيطة.

كما توضح الدراسة أن المرأة الأندلسية لم تسهم في مجال المعارضة إلا بشيء بسيط إذ بلغت نسبة ١% مما من مجمل المعارضات التي قامت عليها الدراسة.

وتوضح الدراسة أن الشاعر المعارض يترسم خطا الشاعر المعارَض من حيث اللغة والأسلوب ؛ حيث تتكرر بعض الألفاظ والمعاني أو يستعير منه بيتاً كاملاً أو نصاً صريحاً، وفي استخدام المحسنات البديعية أيضاً .

- وتبين الدراسة أن البيئة تؤثر في الشعر من حيث الأسلوب وانتقاء الألفاظ.
- تتعدد مظاهر التأثير والتأثر بين الشاعر المعارض والمعارَض فقد يتأثر به تأثيراً جزئياً كأن تعجبه فكرة أو معنى طرقه السابق وقد يتأثر به تأثراً كلياً من حيث الصياغة والألفاظ والتراكيب والموضوع فضلاً عن الوزن والقافية.
- ويتضح لنا من الدراسة أن الشاعر المعارِض لا يلتزم نهج الشاعر المعارَض في بنائه لقصيدته والأسلوب والصياغة اللفظية والتصويرية دائماً، ولا يعد ذلك شرطا من شروط المعارضة وإنما يكون بقدر تأثر اللاحق بالسابق.

المصادر والمراجع

المصادر :

- ابن الأبار – أبو عبدالله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ). التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق عزت العطار الحسيني ، مطبعة السعادة بمصر.
- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٥م.
- تحفة القادم ، تحقيق إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٧٩م
- الأزدي، علي بن ظافر الأزدي، بدائع البدائة، تحقيق عمر أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.
- الأصفهاني – أبو عبدالله محمد بن حامد بن عبدالله بن علي المعروف بالعماد الكاتب الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ) ، خريد القصر وجريدة العصر، القسم الرابع، تحقيق محمد الدسوقي وعلي عبد العظيم، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، ١٩٦٤م.
- ابن بسام – أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.
- التجيبي – صفوان بن إدريس التجيبي أبو بحر (ت ٥٩٨هـ)، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، أعده وعلق عليه عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م.
- الثعالبي – أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (ت ٤٣٠هـ):
  - خاص الخاص ، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤.
  - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

- حازم القرطاجني أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجاني (ت ١٢٨٥هـ) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد بن الحبيب بن الخوجة، تونس، ١٩٦٦.
- ابن حزم الأندلسي – أبو محمد علي بن الصيرفي (ت ٤٥٦هـ) ، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق الطاهر مكي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧ .
- ابن خاقان – أبو الفتح محمد بن محمد القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان (ت ٥٢٩هـ) :
  - مطمح الأنفس ومرح التأنس ، تحقيق محمد علي الشوابكه، دار عمان، ط١، ١٩٨٣.
  - قلائد العقيان، تحقيق حسين خربوش، مكتبة المنار، ط١، ١٩٨٩م .
- ابن خلكان – أبو العباس شمس الدين محمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ١٩٦٨م .
- ابن خميس – أبو بكر محمد بن علي بن خميس المالقي (ت ٦٣٩هـ)، أدباء مالقة تحقيق صلاح جرار ، دار البشير، عمان، ط١، ١٩٩٩م .
- ابن دحية – أبو الخطاب عمر بن حسين بن علي بن دحية الكلبي الأندلسي، (ت ٦٣٣هـ) ، تحقيق الاستاذ إبراهيم الأبياري والدكتور حامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية ، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ابن رشيق أبو علي الحسن بن رشيق، القيرواني، الأزدي (ت٤٥٦هـ) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٣، ١٩٦٤م .
- الرعيني– أبو الحسن علي بن محمد علي الإشبيلي (ت ٦٦٦هـ) ، تحقيق إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٢م.
- ابن سعيد المغربي – أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ) :
- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي، تحقيق إبراهيم الأبياري الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة، ١٩٥٩م .
- المغرب في حُلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٨٣م.

- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبيـــاري، دار المعارف ، مصر، ط٣، ١٩٧٧م .
- رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي للمجلـس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ابن صاحب الصلاة – عبد الملك بن صاحب الصلاة (ت ٥٩٤هـ) ، تاريخ المـن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين. القسـم الثـاني، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٦٤م.
- الصفدي – صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ) الوافي بالوفيـات، الجـزء التاسع، باعتناء يوسف فان إس ، دار صادر ، بيروت، ط٣، ١٩٩١م .
- الضبي – أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ)، بغية الملتمـس فـي تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ابن عبد ربه – أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريـد، شرحه وضبطه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري دار الأندلس للطباعـة والنشر، بيروت، ١٩٩٦.
- ابن قتيبة – أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت (٢٧٦هـ)، الشـعر والشعراء، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- القفطي – أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)، المحمدون مـن الشـعراء، تحقيق حسين مغمري، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشـر، المملكـة العربيـة السعودية، ١٩٧٠م.
- الكتاني – أبو عبدالله محمد بن الكتاني الطبيب (ت ٤٢٠هـ)، التشـبيهات مـن أشعار اهل الأندلس تحقيق إحسان عباس، دار الشروق، ط٢، ١٩٨١م .
- الكتبي – محمد بن شاكر الكتبي (ت ١٦٤٨هـ) ، فوات الوفيات، تحقيق إحسـان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

- لسان الدين بن الخطيب، ذو الوزرتين لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢ ، ١٩٧٣م .
- مجهول المؤلف، مختارات من الشعر الأندلسي والمغربي تنشر لأول مرة، تحقيق إبراهيم مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- المراكشي – ابن عذاري المراكشي (ت ٦٩٥هـ) ، البيان المغرب، الجزء الثالث، تحقيق ومراجعة ج س. كولان وإليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م .
- المراكشي – ابو عبدالله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت ٧٠٣هـ)، الذيل التكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس الجزء الأول، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- بقية السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.
- المقري – شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ):

  –نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م .
- المراكشي، عبدالواحد (٦٤٧) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٦٣.

  –أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، الجزء الثالث، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٣م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب ، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه مكتب تحقيق التراث، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٣م .
- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٢.
- ياقوت الحموي – شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٤٦هـ)، دار صادر بيروت، ١٩٧٩م.

المراجع :

- القرآن الكريم.
- أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٢ ،١٩٥٤م .
- أحمد بلافريج ، الأدب الأندلسي،مطبعة الوحدة المغربية – المغرب، ١٩٤١م.
- جودت الركابي، الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٦م.
- حنا فاخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية بيروت، ط٢، ١٩٥٣م .
- زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- شفيق الرقب ، شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٤م.
- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط٣، ١٩٤٥ .
- صلاح جرار، مرج الكحل الأندلسي، سيرته وشعره، دار البشير للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٣ .
- الطاهر مكي، الشعر العربي المعاصر وروائعه، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م .
- عبد العظيم علي قناوي، الوصف في الشعر العربي، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٤٩م.
- مجدي وهبه، معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م .
- محمد حسن آل ياسين، معجم النبات والزراعة، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦م.
- محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، دار الأنوار بيروت، ١٩٦٨م.

- محمد رضا الشبيبي، أدب المغاربة و الأندلسيين، دار أقرا للنشر التوزيع بـــيروت، ط٢، ١٩٨٤م .
- محمد سيد الكيلاني، الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربـــي القـــاهرة، دار الفرجاني، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م.
- محمد قاسم نوفل، تاريخ المعارضات في الشعر العربي، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٨٣م.
- محمد مجيد السعيد، الشعر الأندلسي في عهد المرابطين و الموحدين، دار الرشـــيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠.
- نافع محمود، اتجاهات الشعر الأندلسي حتى نهاية القـــرن الثـــالث، دار الثقافـــة، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٠م.

دواوين الشعراء :

١- ديوان ابن الأبار القضاعي- أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي (ت ٦٥٨هـ)، قراءة وتعليق عبد السلام الهراس، الدار التونسية للطباعة والنشر، ١٩٥٨م.

٢- ديوان إمرئ القيس (٨٠ ق.هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

٣- ديوان البحتري (ت ٢٨٤هـ)، شرح حنا فاخوري، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٤- ديوان بشار بن برد، جمع وتعليق الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٦م.

٥- ديوان جميل بن معمر، جميل بن عبدالله بن محمد العذري ٢٠هـ تحقيق فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٩.

٦- ديوان الحكيم أبي الصلت أمية بن أبي الصلت (ت ٥٢٨هـ) تحقيق محمد المرزوقي، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٤م ، بلا طبعة.

٧- ديوان ابن خفاجة (ت ٥٣٣هـ) ، تحقيق سيد مصطفى غازي، ط١، دار المعارف، ١٩٦٦م .

٨- ديوان ابن درّاج القسطلي - أبي عمر أحمد بن درّاج الأندلسي (ت ٤٢١هـ)- تحقيق محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ط١ ، ١٩٦١م.

٩- ديوان الرصافي البلنسي (ت ٥٧٢هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار الشروق ط١، ١٩٨٣م.

١٠- ديوان ابن الزقاق - أبي الحسن علي بن عطية بن مطرف - تحقيق عفيفة محمود، دار الثقافة ، بيروت.

١١- ديوان ابن زيدون (ت ٤٦٣هـ) - أبي الوليد أحمد بن عبدالله، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٠.

١٢- ديوان ابن سهل الإسرائيلي ، إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي، أبي اسحاق (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق محمد فرج زعيم، دار العرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٨ .

١٣- ديوان ابن شهيد أحمد بن مروان عبد الملك بن شهيد- (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق يعقوب السيد مصطفى غازي، دار المعارف الإسكندرية.

١٤- ديوان صريع الغواني، -مسلم بن الوليد- (ت ٢٨هـ)، تحقيق سامي الدهان، دار المعارف مصر.

١٥- ديوان الطفيل الغنوي طفيل بن عوف الغنوي، (ت نحو ١٣ ق.هـ)- تحقيق محمد عبد القادر، أحمد دار الكتاب الجديد بيروت، ١٩٦٨.

١٦- ديوان ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) ، دراسة محمد الترنجي، منشورات مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق، ط١، ١٩٧٧ .

١٧- ديوان عبيد بن الأبرص - أبي زياد عبيد بن الأبرص (ت ٢٥هـ) شرحه أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب، بيروت، ١٩٩٤ .

١٨- ديوان عمر بن أبي ربيعة أبي الخطاب عمر بن عبدالله المخزومي، (ت ٩٣هـ)، شرح شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

١٩- ديوان كعب بن زهير، (٢٦هـ) ، شرح مفيد قميحه، دار الشواف، الرياض، ١٩٨٩.

٢٠- ديوان أبي فراس الحمداني (٣٥٧هـ) ، رواية أبي الحسين بن خلويه، دار صادر، بيروت.

٢١- ديوان لبيد بن ربيعة أبي عقيل - لبيد بن ربيعة بن مالك- (٤١هـ) ، تحقيق رضا نصر الحتي، شرح الطوسي، دار الكتاب، بيروت، ١٩٩٣م.

٢٢- ديوان المتنبي -أبي الطيب المتنبي- (ت ٣٥٤هـ)، شرح العلامة ابي البقاء الكعبري البغدادي، ضبط وتحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م .

٢٣- ديوان أبي نواس - أبو علي الحسن بن هاني- (ت ١٤٦هـ)، ضبط وشرح إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٣م.

٢٤- ديوان ابن هاني الأندلسي - محمد بن هاني الأزدي الأندلسي أبو القاسم- (ت ٣٦٢هـ)، تحقيق فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م .

الرسائل الجامعية :

- جمانة رجب باشا ، الأندلسية وأثرها في أدب الأندلس حتى نهاية عصر الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة حلب، دمشق، ١٩٩٦.

الدوريات :

- علي الجارم ، المعارضات في الشعر العربي، مجلة الكتاب، المجلد الثاني، مصر، ١٩٤٦ .

Abstract

Poetic Immitation
In the Muwahedeen period

Prepared by : Suad Mohammd Husein Al-Akeel

Supervised by : prof. Dr. Salah Jarrar

The art of poetic Imitations has received very little attention from literary studies despite its great importance in activiting the literary movement and its development through the various literary periods.

This study intends to show the importance of such an art and its role in activiting the poetic movement in Arabic literature in general , and in the Andalusi literature in particular , together with showing the factors that led to the maturity and elegance during the Muwahedeen era in particular.

The study came in an introduction , prelude, three chapters and a conclusion. In the introduction, I pointed out the subject of the study, its justifications, methodology, importance, the hoped for aims, the difficulties that faced this research , and the previous literature.

In the preface I dealt with the literary and intellectual life that prevailed during the Muwahedeen era, showing the factors that affected the literary movement of that lime, in addition of showing the various aspects of the literary activities of the Muwahedeen era.

Chapter one was divided into two parts, the first was concerned with the study of oppositions in Arabic poetry in general, showing it's historical dimension, development , and the factors leading to its existence in Arabic poetry in general; where as the second part emphasized the study of poetical oppositions in Al-Andalus in particular, tracing its early beginnings there through out the periods this literary art reached a very high level of elegance and sophistication, represented by the mawahedeen era, and the period shortly preceding it. The factors that helped the appearance of oppositions art and its development in Al-Andalus were also discussed. Besides. I dealt with the forms and patterns of the Andalusi poetic oppositions of that time.

In chapter two, I studied the Thomas of poetic oppositions during Al-Muwahedeen period, and attempted to classify them as to their importance and abundance of the poetic production in the poetry of the oppositions poets during the Muwahedeen period. As such , the thomes came as follows, description, love poetry, brotherly poems, praise, satire, and other purposes.

I discussed in chapter three the artistic characteristics of the poetic oppositions in Al-Andalus during the Muwahedeen period; emphasizing the extent of co strict commitment of the opposing poet of the general structure of the opposed one. That structure included the language, images and the general style of oppositions poems. I showed , also, the aspects of mutual influence among the opposing and opposed poets , together with the extent of the effect of the Andalus environment in the oppositions poetry in the Muwahedeen period.

Finally, the study arrived of the following conclusions :

The art of oppositions in Arabic poetry, in general , is avery deeply rooted art, as it goes back to the pre Islamic era or Al-Jahili period ; and is especially so in the Andalusi period; as its appearance goes back to the earl andalusi periods.

The forms of poetic oppositions during the Muwhaedeen period in Al-Andalus vary widely, from poems to shout poetic pieces, poetic approvals and poetic competitions.

The distinct appearance of the Andalusi oppositions poetry and its distinctive feature were not seen clearly until after the beginning of the fifth Hijri century; then it began to flourish and develop up to the end of sixth Hijri century. Before that , the poetic production of that hind was so little that could not be noticed; and that was because the Andulsis were busy there in wars and the defense of Al-Andalus against the Spaniards attacks, so they did not have enough time to care about poetry and literature, which was reflected on the opposition poetry. Besides, their strong attachment with the oriental literature and the great care they made to imitate that one had its impact on such art as oppositions poetry and so they didn't receive enough care and attention.

The aspects of influencing and being influenced among poetry vary greatly. The effect might be partial or wholly between poets. But, as to the effect of the environment, the Andalusi environment had it's strong impact on the oppositions poetry very clear, indeed, in regard of diction's and style; as its simplicity and ease if flow were reflected in such poetry.